المعنى لما تقدم سبحانه ذكر الادلة على وحدانيته عقبه بتنبيه عباده على انه الاله المستحق للطاعة والعبادة وتعليم الاستدلال بافعاله
عليه فقال ذلكم اى ذلك الذي خلق هذه الاشياء ودبر هذه التدابير لكم ايها الناس هو الله ربكم اى خالقكم ومالككم ومدبركم وسيدكم
لا اله الا هو خالق كل شئ اى كل مخلوق من الاجسام والاعراض التى لا يقدر عليها غيره فاعبدوه لانه المستحق للعبادة وهو على كل شئ
وكيل اي حافظ ومدبر وحفيظ على خلقه فهو وكيل على الخلق ولا يقال وكيل لهم لا تدركه الابصار اى لا تراه العيون لان الادراك متى
قرن بالبصر لم يفهم منه الا الرؤية كما انه اذا قرن بالة السمع فقيل ادركت باذنى لم يفهم منه الا السماع وكذلك اذا اضيف الى كل واحد من الحواس
افاد ما تلك الحاسة الرفيه فقولهم ادركته بفمى معناه وجدت طعمه وادركته بانفى معناه وجدت رائحته وهو يدرك الابصار تقديره
لا يدركه الابصار وهو يدرك ذوى الابصار اى المبصرين ومعناه انه يرى ولا يرى وبهذا خالف سبحانه جميع الموجودات لان منها ما يرى
ويرى كالاحياء ومنها ما يرى ولا يرى كالجمادات والاعراض المدركة ومنها ما لا يرى ولا يرى كالاعراض غير المدركة فالله سبحانه خالف
جميعها وتفرد بان يرى ولا يرى وتمدح سبحانه فى الاية بمجموع الامرين كما تمدح فى الاية الاخرى بقوله وهو يطعم ولا يطعم وروى العياشى
باسناده المتصل ان الفضل بن سهل ذا الرياستين سال ابا الحسن على بن موسى الرضا عليه السلم فقال اخبرنى عما اختلف الناس فيه من
الرؤية فقال من وصف الله بخلاف ما وصف به نفسه فقد اعظم الفرية على الله لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهذه الابصار
ليست هى الاعين انما هى الابصار التى فى القلوب ولا تقع عليه الاوهام ولا يدرك كيف هو وهو اللطيف قيل فى معناه وجوه احدها
انه اللاطف بعباده بسبوغ الانعام غير انه عدل عن وزن فاعل الى فعيل للمبالغة والثانى ان معناه لطيف التدبير الا انه حذف لدلالة
الكلام عليه والثالث ان اللطيف الذى يستقل الكثير من نعمه ويستكثر القليل من طاعة عباده والرابع ان اللطيف الذي اذا دعوته لباك
وان قصدته اواك وان احببته ادناك وان اطعته كافاك وان عصيته عافاك وان اعرضت عنه دعاك وان اقبلت اليه هداك والخامس
اللطيف من يكافى الوافى ويعفو عن الجانى والسادس اللطيف من يعز المفتخر به ويغنى المفتقر اليه والسابع اللطيف من يكون عطاؤه خيره
ومنعه ذخيره الخبير العليم بكل شئ من مصالح عباده فيدبرهم عليها وبافعالهم فيجازيهم عليها قوله تعالى قد جاءكم بصائر من ربكم
فمن ابصر فلنفسه ومن عمى فعليها وما انا عليكم بحفيظ وكذلك نصرف الايات وليقولوا درست ولنبينه لقوم يعلمون
ايتان القراءة قرا ابن كثير وابو عمرو دارست وقرا ابن عامر ويعقوب وسهل درست بفتح السين وسكون التاء والباقون درست وفى
قراءة عبد الله وابى درس اى ليقولوا درس محمد وروى عن ابن عباس والحسن درست الحجة من قرا دارست فمعناه انك دارست
اهل الكتاب وذاكرتهم ويقوى قوله واعانه عليه قوم آخرون ومن قرا درست فحجته ان ابن مسعود قرا درس فاسند الفعل فيه الى الغيبة
كما اسند الى الخطاب ومن قرا درست فهو من الدروس الذي هو تعفى الاثر وامحاء الرسم ويكون اللام فى ليقولوا على هذا بمعنى لكراهية ان
يقولوا وكان لا يقولوا انها اخبار قد تقدمت فطال العهد بها وباد من كان يعرفها لان تلك الاخبار لا تخلو من خلل فاذا سلم الكتاب
منه لم يكن لطاعن فيه مطعن واما على القراءتين الاولتين فاللام فى ليقولوا كالتى فى قوله ليكون لهم عدوا وحزنا ولم يلتقطوه لذلك كما لم نصرف
الايات ليقولوا درست ودارست ولكن لما قالوا ذلك اطلق على هذا للاتساع واما قراءة ابن عباس درست ففيه ضمير الايات معناه
درستها انت يا محمد ويجوز ان يكون معناه عفت وتنوسيت فيكون كقولهم ان هذا الا اساطير الاولين اللغة البصيرة البينة والدلالة
التى يبصر بها الشئ على ما هو به والبصائر جمعها والبصيرة مقدار الدرهم من الدم والبصيرة الترس والبصيرة الثار والدية قال الشاعر
جاؤا بصائرهم على اكتافهم وبصيرتي يعدو بها عتد وأي اخذوا الديات فصارت عارا وبصيرتي على فرسى اطلب بها ثارى وقيل اراد
ثقل دمائهم على اكتافهم لم يثاروا بها وقال الازهرى البصيرة ما اعتقد فى القلب من تحقيق الشئ والشئ تكون على الخباء والابصار
الادراك بحاسة البصر والدرس اصله استمرار التلاوة ودرس الاثر درسا اذا امحى لاستمرار الزمان ودرست الريح الاثر درسا محته
باستمرارها عليه الاعراب وكذلك موضع الكاف منه نصب بكونه صفة للمصدر اى نصرفها مثل ذلك التصريف واللام فى وليقولوا معطوف
على محذوف تقديره ليجحدوا وليقولوا درست واللام لام العاقبة المعنى ثم بين سبحانه انه بعد هذه الايات قد ازاح العلة للمكلفين
فقال قد جاءكم ايها الناس بصائر بينات ودلالات من ربكم تبصرون بها الهدى من الضلال وتميزون بها بين الحق والباطل ووصفها البينة

بانها

بانها جاءت تفخيما لشانها كما تقول جاءت العافية وانصرف المرض واقبل السعد فمن ابصر فلنفسه اى من تبين هذه الحجج بان نظر
فيها حتى اوجبت له العلم فمنفعة ذلك يعود عليه ولنفسه نظر ومن عمى فلم ينظر فيها وصدف عنها حتى جهل فعليها اى على نفسه وباله
وبها اضر واياها ضر فسمى العلم والتبين ابصارا والجهل عمى مجازا او توسعا وفى هذا دلالة على ان المكلفين مخيرون فى افعالهم غير
مجبرين ثم امر سبحانه نبيه عليه السلم بان يقول لهم وما انا عليكم بحفيظ اى لست انا الرقيب على اعمالكم قال الزجاج معناه لست اخذكم
بالايمان اخذ الحفيظ عليكم والوكيل وهذا قبل الامر بالقتال فلما امر النبي ص بالقتال صار حفيظا عليهم ومسيطرا على كل من تولى وكذلك
اى وكما صرفنا الآيات قبل نصرف هذه الايات قال على بن عيسى والتصريف اجراء المعنى الدائر فى المعاني المتعاقبه فلما كانت الآية
دائرة فى وجوه المعانى المتعاقبه كان ذلك تصريفا لها وكذلك كل معنى تصرف فى المعانى المتعاقبة لتجتمع فيه وجوه الفائدة وليقولوا
درست ذلك يا محمد اى تعلمته من اليهود قال الزجاج وهذه اللام يسميها اهل اللغة لام الصيرورة اى ان السبب الذي اداهم
الى ان قالوا درست هو تلاوة الايات وكذلك دارست اي دارست اهل الكتاب وقاريتهم وذاكرتهم عن الحسن ومجاهد والسدي
وابن عباس ولنبينه لقوم يعلمون معناه لنبين الذي هذه الايات دالة عليه للعلماء الذين يعقلون ما نورده عليهم وانما خصهم بذلك
لانهم انتفعوا به دون غيرهم قوله تعالى اتبع ما اوحي اليك من ربك لا اله الا هو واعرض عن المشركين ولو شاء الله
ما اشركوا وما جعلناك عليهم حفيظا وما انت عليهم بوكيل ايتان اللغة الاتباع ان يتصرف الثاني بتصريف الاول والنبي عليه السلم
كان يتصرف فى الدين بتصرف الوحي فكذلك كان متبعا وكذلك كل متدبر بتدبير غيره فهو متبع له والايحاء هو القاء المعنى الى
نفس على وجه يخفى والاعراض اصله الانصراف بالوجه الى جهة العرض ومنه واعرضت اليمامة واشمخرت اى ظهرت كالظهور بالعرض
ومنه المعارضة لظهور المساواة بها كالظهور بالعرض والاعتراض المنع من الشيء بحاجز عنه عرضا ومنه العرض الذي يظهر كالظهور
بالعرض ثم لا يلبث وحدا يضا بانه ما يظهر فى الوجود ولا يكون له لبث كلبث الجواهر المعنى ثم امر سبحانه نبيه صلى الله عليه واله باتباع
الوحي فقال اتبع ايها الرسول ما اوحي اليك من انه لا اله الا هو وانما اعاد هذا القول لان المراد ادعهم الى انه لا اله الا هو عن الحسن وقيل
معناه ما اوحي اليك من انه لا اله الا هو واعرض عن المشركين قال ابن عباس نسخته اية القتال وقيل معناه اهجرهم ولا تغلظهم
ولا تلاطفهم ولم يرد به الاعراض عن دعائهم الى الله تعالى وحكمه ثابت ولو شاء الله ما اشركوا اى لو شاء الله ان يتركوا الشرك قهرا
واجبارا لاضطرهم الى ذلك الا انه لم يضطرهم اليه بما ينافي التكليف وامرهم بتركه اختيارا ليستحقوا الثواب والمدح عليه فلم يتركوه
فاتوا من قبل نفوسهم وفى تفسير اهل البيت عليهم السلم لو شاء الله ان يجعلهم كلهم مؤمنين معصومين حتى كان لا يعصيه احد لما كان
يحتاج الى جنة ولا الى نار ولكنه امرهم ونهاهم وامتحنهم واعطاهم ما له عليهم به الحجة من الالة والاستطاعة ليستحقوا الثواب والعقاب
وما جعلناك عليهم حفيظا مراقبا لاعمالهم وما انت عليهم بوكيل اى لست بموكل عليهم وانما انت رسول عليك البلاغ وعلينا الحساب
جمع بين حفيظ ووكيل لاختلاف معنى اللفظين فان الحافظ للشيء هو الذي يصونه عما يضره والوكيل على الشيء هو الذي يجلب الخير اليه
اية تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم كذلك زينا لكل امة عملهم ثم الى ربهم مرجعهم
فينبئهم بما كانوا يعملون اية القراءة قرا يعقوب عدوا بضم العين والدال وتشديد الواو وهو قراءة الحسن وابي رجا وقتادة
وقراء الباقون عدوا بفتح العين وسكون الدال الحجة العدو والعدو جميعا الظلم والتعدي للحق ومثلهما العدوان والعداء وانما
انتصب عدوا لانه مصدر فى موضع الحال اللغة السب الذكر بالقبيح ومنه الشتم والذم واصله السبب كانه يتسبب الى ذكره بالقبيح
وسبك الذي يسابك قال لا تسبنني فلست بسبي ان سبي من الرجال الكريم وقيل اصل السب القطع النزول قال ابن عباس لما نزلت
انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم الاية قال المشركون يا محمد لتنتهين عن سب الهتنا او لنهجون ربك فنزلت الاية وقال
قتادة كان للمسلمون يسبون اصنام الكفار فنهاهم الله عن ذلك لئلا يسبوا الله فانهم قوم جهلة المعنى ثم نهى الله سبحانه المؤمنين
ان يسبوا الاصنام لما فى ذلك من المفسدة فقال ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله اي لا تخرجوا من دعوة الكفار ومحاجتهم الى ان
تسبوا ما يعبدونه من دون الله فان ذلك ليس من الحجاج فى شيء فيسبوا الله عدوا اى ظلما بغير علم وانتم اليوم غير قادرين على معاقبتهم

بما يستحقون لان الدار دارهم ولم يؤذن لكم في القتال وانما قال من دون الله لان المعنى يدعونه الها وفي هذا دلالة على انه لا ينبغي لاحد ان
يفعل او يقول ما يؤدي الى معصية غيره وسئل ابو عبد الله عليه السلم عن قول النبي صلى الله عليه وآله ان الشرك اخفى من دبيب النمل على
صفوانة سوداء في ليلة ظلماء فقال كان المؤمنون يسبون ما يعبد المشركون من دون الله فكان المشركون يسبون ما يعبد المؤمنون فنهى
الله المؤمنين عن سب الهتهم لكيلا يسب الكفار اله المؤمنين فيكون المؤمنون قد اشركوا من حيث لا يعلمون كذلك زينا لكل امة عملهم
قيل في معناه اقوال احدها ان المراد كما زينا لكم اعمالكم زينا لكل امة ممن قبلكم اعمالهم من الدعاء الى الله تعالى وترك السب للاصنام
ونهيناهم ان يأتوا من الافعال ما ينفر الكفار عن قبول الحق عن الحسن والجبائي والرماني ويسمى ما يجب على الانسان ان يعمله بانه عمله كما تقول
لولدك او غلامك اعمل عملك اي ما ينبغي لك ان تفعله وثانيها ان معناه كذلك زينا لكل امة عملهم بميل الطباع اليه ولكن قد عرفناهم الحق
مع ذلك ليأتوا الحق ويجتنبوا الباطل وثالثها ان المراد زينا عملهم بذكر ثوابه فهو كقوله ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره
اليكم الكفر والفسوق يريد حبب الايمان بذكر ثوابه ومدح فاعليه على فعله وكره الكفر بذكر عقابه وذم فاعليه على فعله ولم يرد سبحانه
بذلك انه زين عمل الكافرين لان ذلك يقتضي الدعاء اليه والله تعالى ما دعا احدا الى معصيته لكنه نهى عنها وذم فاعليها وقد قال سبحانه و
زين لهم الشيطان اعمالهم ولا خلاف ان المراد بذلك الكفر والمعاصي وفي ذلك دلالة على ان المراد به في الآية ما بين من اعمال الطاعة ثم الى ربهم
مرجعهم اي مصيرهم فينبئهم بما كانوا يعملون اي باعمالهم من الخير والشر نهى الله سبحانه في هذه الاية عن سب الاصنام لئلا يؤدي ذلك الى
سبه فاذا كان سبحانه لا يريد ما ربما يكون سببا الى سبه فلان لا يريد سب نفسه اولى واجدر وايضا فاذا لم يرد سب الاصنام اذا كان
زيادة في كفر الكافرين فلان لا يريد كفرهم اخرى فبطل قول المجبرة قوله تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن
بها قل انما الآيات عند الله وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة ونذرهم
في طغيانهم يعمهون آيتان القراءة قرأ ابن كثير واهل البصرة وابو بكر عن عاصم ونصير عن الكسائي و
خلف انها بكسر الالف وقرأ الباقون انها بفتح الالف وقرأ ابن عامر وحمزة لا تؤمنون بالتاء والباقي يؤمنون بالياء وفي الشواذ ويذرهم بالياء
والجزم قراءة الاعمش الحجة قال ابو علي وما يشعركم ما فيه استفهام وفاعل يشعركم ضميرها ولا يجوز ان يكون نفيا لان الفعل فيه يبقى بلا
فاعل فان قلت يكون ما نفيا ويكون فاعل يشعركم ضمير اسم الله تعالى قيل ذلك لا يصح لان التقدير يصير وما يشعركم الله انتفاء ايمانهم وهذا
لا يستقيم لان الله تعالى قد اعلمنا انهم لا يؤمنون بقوله ولو اننا نزلنا الآية واذا فسد ان يكون ما للنفي ثبت انها للاستفهام ويكون اسما فيه
في الفعل ضميره ويكون المعنى وما يدريكم ايمانهم اذا جاءت فحذف المفعول وحذف المفعول كثير ثم قال انهم لا يؤمنون مع مجيء الاية فمن
كسر الهمزة فانه استانف على القطع بانهم لا يؤمنون ومن فتح الهمزة جاز ان يكون يشعركم منقولا من شعرت الشيء وشعرت به مثل
دريته ودريت به في انه يتعدى مرة بحرف ومرة بلا حرف فاذا عديته بالحرف جاز ان يكون ان في قول من لم يجعلها بمعنى لعل في موضع
جر لان الكلام لما طال صار كالبدل منه وجاز ان يكون في موضع نصب والوجه في هذه القراءة على تاويلين احدهما ان يكون بمعنى
لعل كقول الشاعر وهو دريد بن الصمة ذريني اطوف في البلاد لانني ارى ما ترين او بخيلا مخلدا وقال هل انتم عائجون بنا لانا نرى العرصات
او اثر الخيام وقال عدي بن زيد اعاذل ما يدريك ان منيتي الى ساعة في اليوم او في ضحى الغد اي لعل منيتي فالمعنى وما يشعركم لعلها اذا جاءت
لا يؤمنون وهذا ما فسر الخليل بقولهم ائت السوق انك تشتري لنا شيئا اي لعلك وقد جاء في التنزيل لعل بعد العلم قال سبحانه وما يدريك لعله
يزكى وما يدريك لعل الساعة قريب والتاويل الاخر الذي لم يذهب اليه الخليل وسيبويه ان يكون لا في قوله لا يؤمنون زائدة والتقدير
وما يشعركم انها اذا جاءت يؤمنون ومثل لا هذه في كونها في تاويل زائدة وفي اخر غير زائدة قول الشاعر ابى جوده لا البخل واستعجلت به
نعم من فتى لا يمنع الجوع قاتله ينشد ابى جوده لا البخل ولا البخل فمن نصب البخل جعلها زائدة كانه قال ابى جوده البخل ومن قال لا البخل اضاف
لا الى البخل ووجه القراءة بالياء في يؤمنون ان المراد بهم قوم مخصوصون بدلالة قوله ولو اننا نزلنا اليهم الملئكة الاية وليس كل الكفار بهذه الصفة
اي لا يؤمن هؤلاء المقسمون ووجه القراءة بالتاء انه انصراف من الغيبة الى الخطاب والمراد بالمخاطبين هم الغيب المقسمون الذين اخبر عنهم
انهم لا يؤمنون ومن قرأ ويذرهم فانه اسكن المرفوع تخفيفا اللغة الجهد بالفتح المشقة والجهد بالضم الطاقة وقيل الجهد بالفتح المبالغة فقوله

جهد

جهد ايمانهم اى بالغوا فى اليمين واجتهدوا فيه وهو منصوب على المصدر لانه مضاف والمضاف الى المصدر مصدر فان الايمان جمع اليمين

واليمين هى القسم والتقدير واقسموا جهدا اقسامهم النزول قالت قريش يا محمد تخبرنا ان موسى كان معه عصا يضرب بها الحجر فينفجر منه اثنتا

عشرة عينا وتخبرنا ان عيسى عليه السلم كان يحيى الموتى وتخبرنا ان ثمود كانت لهم ناقة فأتنا باية من الايات حتى نصدقك فقال رسول الله

صلى الله عليه وآله فان فعلت بعض ما تقولون اتصدقونني قالوا نعم والله لئن فعلت لنتبعنك اجمعين وسال المسلمون رسول الله ان ينزلها

عليهم حتى يؤمنوا فقام رسول الله صلى الله عليه وآله يدعوا ان يجعل الصفا ذهبا فجاءه جبريل فقال له ان شئت اصبح الصفا ذهبا ولكن ان لم

يصدقوا عذبتهم وان شئت تركتهم حتى يتوب تائبهم فقال عليه السلم بل يتوب تائبهم فانزل الله تعالى هذه الآية عن الكلبى ومحمد بن كعب القرظى

المعنى ثم بين سبحانه حال الكفار الذين سالوه الايات فقال واقسموا اى حلفوا بالله جهد ايمانهم اى مجدين مجتهدين مظهرين الوفاء به لئن

جاءتهم اية مما سالوه ليؤمنن بها قل يا محمد انما الايات اى الاعلام والمعجزات عند الله والله تعالى مالكها والقادر عليها فلو علم صلاحكم فى انزالها

لانزلها وما يشعركم الخطاب متوجه الى المشركين عن مجاهد وابن زيد وقيل هو متوجه الى المؤمنين عن الفراء وغيره لانهم ظنوا انهم لو اجيبوا

الى الايات لامنوا انها اذا جاءت لا يؤمنون قد مر معناه ونقلب افئدتهم وابصارهم اخبر سبحانه انه يقلب افئدة هؤلاء الكفار وابصارهم

عقوبة لهم وفى كيفية تقليبهما قولان احدهما انه يقلبهما فى جهنم على لهب النار وحر الجمر كما لم يؤمنوا به اول مرة فى الدنيا عن الجبائى قال وجمع

بين صفتهم فى الدنيا وصفتهم فى الاخرة كما قال وجوه يومئذ خاشعة يعنى فى الاخرة عاملة ناصبة يعنى فى الدنيا والاخر ان المعنى نقلب

افئدتهم وابصارهم بالحيرة التى تغم وتزعج النفس وقوله كما لم يؤمنوا به اول مرة قيل انه متصل بما قبله وتقديره واقسموا بالله ليؤمنن بالاية

والله تعالى قد قلب قلوبهم وابصارهم وعلم ان فيها خلاف ما يقولون يقال فلان قد قلب هذه المسئلة وقلب هذا الامر اذا عرف

حقيقته ووقف عليه وما يدريكم انها اذا جاءت لا يؤمنون كما لم يؤمنوا بما انزل من الايات اول مرة عن ابن عباس ومجاهد وقيل معناه

لو اعيدوا الى الدنيا ثانية لم يؤمنوا به اول مرة فى الدنيا كما قال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه عن ابن عباس فى رواية اخرى وقيل معناه يجازيهم

فى الاخرة كما لم يؤمنوا به فى الدنيا عن الجبائى والهاء فى به يحتمل ان يكون عائدة على القرآن وما انزل من الآيات ويحتمل ان يكون عائدة على

النبى عليه السلم ونذرهم فى طغيانهم اى نخليهم وما اختاروه من الطغيان فلا نحول بينهم وبينه يعمهون يترددون فى الحيرة قال الحسين بن

على المغربى قوله ونقلب افئدتهم وابصارهم حشو بين الجملتين ومعناه انا نحيط علما بذات الصدور وخائنة الاعين اى نختبر قلوبهم فنجد

باطنها بخلاف ظاهرها قوله تعالى ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شىء

قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله ولكن اكثرهم يجهلون آية القراءة قرا ابن كثير وابو عمرو ويعقوب قبلا بضمتين ههنا وفى

الكهف قبلا بكسر القاف وفتح الباء وقرا ابو جعفر ههنا بكسر القاف وفى الكهف بالضم وقرا نافع وابن عامر قبلا بكسر القاف الموضعين وقرا

اهل الكوفة بضم القاف فى السورتين الحجة قبلا يحتمل ان يكون جمع قبيل بمعنى الكفيل ويجوز ان يكون بمعنى الصنف كما فسر ابو عبيدة و

يجوز ان يكون بمعنى قبل اى مواجهة كما فسر ابو زيد فى قولهم لقيت فلانا قبلا وقبلا ومقابلة وقبيلا كله واحد وهو المواجهة فالمعنى فى القرائتين

على قول واحد وان اختلف اللفظان اللغة الحشر الجمع مع سوق وكل جمع حشر المعنى ثم بين سبحانه حالهم فى عنادهم وترددهم فى طغيانهم

كذ هم فقال ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة حتى يروهم عيانا يشهدون لنبينا بالرسالة وكلمهم الموتى اى واحيينا الموتى حتى كلموهم بالتوحيد

وشهدوا لمحمد بالرسالة وحشرنا اى جمعنا عليهم كل شىء اى كل اية وقيل كلما سالوه قبلا اى معاينة ومقابلة حتى يواجهوها عن ابن عباس وقتادة

ومعناه انه من شدة عنادهم وتركهم الانقياد والاذعان للحق يشكون فى المشاهدات التى لا يشك فيها ومثله قوله وان يروا كسفا من

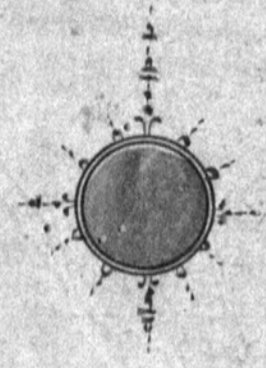
السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم وقبلا اى قبيلا قبيلا يعنى جماعة جماعة عن مجاهد هذا اذا حملت قبلا على جمع القبيل الذى هو الصنف

ولما كانت تمر هذه الآية لانه ليس فى العرف ان يجتمع جميع الاشياء ويحشر الى موضع وقيل كفلاء عن الفراء وهذا الوجه فيه بعد لانهم

اذا لم يؤمنوا عند انزال الملئكة اليهم وكلام الموتى فان لا يؤمنوا بالكفالة اجدر الا ان يكون المراد حشر كل شىء وفى الاشياء المحشورة ما لا ينطق

فاذا نطق بالكفالة ما لا ينطق كان خارقا للعادة ما كانوا ليؤمنوا عند هذه الايات الا ان يشاء الله ان يجبرهم على الايمان عن الحسن

وهو المروى عن اهل البيت عليهم السلم والمعنى انهم قط لا يؤمنون مختارين الا ان يكرهوا ولكن اكثرهم يجهلون ان الله قادر على ذلك





وقيل معناه يجهلون انهم لو اتوا بكل آية ما امنوا طوعا وقيل معناه يجهلون مواضع المصلحة فيطلبون مالا فايدة فيه وفي الاية دلالة
على ان الله سبحانه لو علم انه اذا فعل ما اقترحوه من الايات امنوا لفعل ذلك ولكان ذلك من الواجب في حكمته لانه لو لم يجب ذلك لم يكن
لتعليله بانه لم يظهر هذه الايات لعلمه بانه لو فعلها لم يؤمنوا معنى وفيها ايضا دلالة على ان ارادته محدثة لان الاستثناء يدل على
ذلك اذ لو كانت قديمة لم يجز هذا الاستثناء ولم يصح كما كان لا يصح لو قال ما كانوا ليؤمنوا الا ان يعلم الله او الا ان يقدر الله لحصول
هاتين الصفتين فيما لم يزل ومتى قيل فلم لا يقال انهم لم يؤمنوا لانه سبحانه يعلم انه لم يشأ فالقول فيه انه لو كان كذلك لكان وقوع
الايمان منهم موقوفا على المشية سواء كانت الايات ام لم تكن وفي هذا ابطال للايات قوله تعالى وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا
شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ وَلِتَصْغَى
إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ آيتان القراءة في الشواذ عن الحسن ولتصغى اليه
وليرضوه وليقترفوا بسكون اللام في الجميع والقراءة الظاهرة بكسر اللام في سايرها الحجة قال ابو الفتح هذه اللام هي الجارة اعني لام كي
وهي معطوفة على الغرور من قوله يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا اي للغرور ولان تصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالاخرة
وليرضوه وليقترفوا الا ان اسكان هذه اللام شاذ في الاستعمال على قوته في القياس لان هذا الاسكان انما كثر عنهم في لام الامر نحو قوله
ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا وانما اسكنت تخفيفا لثقل الكسرة فيها وفرقوا بينها وبين لام كي بان لم يسكنوها وكانهم انما اختاروا
السكون للام الامر والتحريك للام كي من حيث كانت لام كي نايبة في اكثر الامر عن ان وهي ايضا في جواب كان سيفعل اذا قلت ما كان
ليفعل بحذفه مع اللام البتة فلما نابت عنها قووها باقرار حركتها لان الحرف المتحرك اقوى من الساكن والاقوى اشبه بان ينوب عن
غيره من الاضعف اللغة الزخرف المزين يقال زخرفه زخرفة اذا زينه والزخرف كمال حسن الشيء وفي الحديث انه عليه السلم لم يدخل
الكعبة حتى امر بالزخرف فنحي بقيل كانت نقوش وتصاوير زينت الكعبة بها وقيل اريد بالزخرف الذهب والغرور ما له ظاهر تحبه وفيه
باطن مكروه والشيطان غرور لانه يحمل على محاب النفس ووراءه سوء العاقبة وبيع الغرر ما لا يكون على ثقة وصغوت اليه اصغى
صَغوا وصغوا وصُغوا وصغيت اصغى بالياء ايضا واصغيت اليه اصغاء بمعنى قال الشاعر ترى السفيه به عن كل محكمة زيغ وفيه
الى التشبيه اصغاء ويقال اصغيت الاناء اذا املته ليجتمع ما فيه ومنه الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وآله يصغي الاناء للهر
فالاصل فيه الميل الى الشيء لغرض من الاغراض والاقتراف اكتساب الاثم ويقال خرج يقترف لاهله اي يكتسب لهم وقارف فلان هذا
الامر اذا واقعه وعمله وقرف الذنب واقترفه عمله وقرفه بما ادعاه عليه اي رماه بريبة وقرف القرحة اي قشر منها واقترف كذبا الاعراب
نصب عدوا على احد وجهين اما ان يكون مفعول جعلنا وشياطين بدل منه ومفسر له وعدو في معنى اعداء واما ان يكون اصله
خبرا ويكون هنا مفعولا ثانيا لجعلنا على تقدير جعلنا شياطين الانس والجن عدوا اي اعداء وقوله غرورا نصب على المصدر من معنى الفعل
المتقدم لان معنى ايحاء الزخرف من القول معنى الغرور فكانه قال يغرون غرورا عن الزجاج وقيل انه مفعول له عن ابن جني وقيل
نصب على البدل من زخرف عن ابي مسلم المعنى ثم بين سبحانه ما كان عليه حال الانبياء عليهم السلم مع اعدائهم تسلية لنبيه صلى الله
عليه وآله فقال وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن اي وكما جعلنا لك شياطين الانس والجن اعداء كذلك جعلنا
لمن تقدمك من الانبياء اعداء وقيل في معنى قوله وجعلنا هنا وجوه احدها ان المراد كما امرناك بعداوة قومك من المشركين فقد
امرنا من قبلك بمعاداة اعدائهم من الجن والانس ومتى امر الله رسوله بمعاداة قوم من المشركين فقد جعلهم اعداء له وقد يقول الامير
للمبارز من عسكره جعلت فلانا قرنك في المبارزة وانما يعني بذلك انه امره بمبارزته لانه اذا امره بمبارزته فقد جعل من يبارزه قرنا
له وثانيها ان معناه حكمنا بانهم اعداء واخبرنا بذلك ليعاملوهم معاملة الاعداء في الاحتراز عنهم والاستعداد لدفع شرهم وهذا
كما يقال جعل القاضي فلانا عدلا وفلانا فاسقا واذا حكم بعدالة هذا وفسق ذاك وثالثها ان المراد خلينا بينهم وبين اختيارهم العداوة
لم نمنعهم عن ذلك كرها ولا جبرا لان ذلك يزيل التكليف ورابعها انه سبحانه انما اضيف ذلك الى نفسه لانه سبحانه لما ارسل اليهم الرسل
وامرهم بدعائهم الى الاسلام والايمان وخلع ما كانوا يعبدون من الاصنام والاوثان نصبوا عند ذلك العداوة لانبيائه عليهم السلم

ومثله

ومثله قوله سبحانه مخبرا عن نوح عليه فلم يزدهم دعائي الا فرارا والمراد بشياطين الانس والجن مردة الكفار من الفريقين عن الحسن وقتادة
ومجاهد وقيل ان الشياطين الانس الذين يغوونهم وشياطين الجن الذين هم من ولد ابليس عن السدى وعكرمة وفى تفسير الكلبي عن ابن عباس
ان ابليس جعل جنده فريقين فبعث فريقا منهم الى الانس وفريقا الى الجن فشياطين الانس والجن اعداء الرسل والمؤمنين فتلتقي شياطين
الانس وشياطين الجن في كل حين فيقول بعضهم لبعض اضللت صاحبي بكذا فاضل صاحبك بمثلها فكذلك وحي بعضهم الى بعض
وروى عن ابي جعفر عليه السلم ايضا انه قال ان الشياطين يلقى بعضهم بعضا فيلقي اليه ما يغوى به الخلق حتى يتعلم بعضهم من بعض
يوحي اي يوسوس ويلقي خفية بعضهم الى بعض زخرف القول اى المموه المزين الذى يستحسن ظاهره ولا حقيقة له ولا اصل غرورا اي
يغرونهم بذلك غرورا ولم يغروهم بذلك ولو شاء ربك ما فعلوه اخبر سبحانه انه لو شاء ان يمنعهم من ذلك جبرا وحال بينهم وبينه لقدر
على ذلك ولو حال بينهم وبينه لما فعلوه ولكنه خلى بينهم وبين افعالهم ابقاء للتكليف وامتحانا للمكلفين وقيل معناه ولو شاء
ربك ما فعلوه بان ينزل عليهم عذابا او آية تظل اعناقهم لها خاضعين فذرهم وما يفترون اى دعهم وافتراءهم الكذب فاني اجازيهم
واعاقبهم امر سبحانه نبيه عليه السلم بان يخلي بينهم وبين ما اختاروه ولا يمنعهم منه بالقهر تهديدا لهم كما قال اعملوا ما شئتم دون ان يكون
امرا اباحيا او ندبا ولتصغى اليه اى ولتميل الى هذا الوحي بزخرف القول او الى هذا القول المزخرف افئدة اى قلوب الذين لا يؤمنون
بالاخرة والعامل في قوله ولتصغى قوله يوحي ولا يجوز ان يكون العامل فيه جعلنا لان الله سبحانه لا يجوز ان يريد اصغاء القلوب
الى الكفر ووحي الشيطان الا ان يجعلها لام العاقبة كما في قوله فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا على انه غير معلوم ان كل
من اراد وامنه الصغو قد صغا الى كلامهم ولم يصح ذلك ايضا في قوله وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون لانه غير معلوم حصول ذلك على
ما قلناه ويكون جميع ذلك معطوفا بعضه على بعض والمراد بالافئدة اصحاب الافئدة ولكن لما كان الاعتقاد في القلب وكذلك الشهوة
اسند الصغو الى القلب وليرضوه اي وليرضوا ما اوحي اليهم من القول المزخرف وليقترفوا اي وليكتسبوا من الاثم والمعاصي ما هم مقترفون
اى مكتسبون في عداوة النبي والمؤمنين عن ابن عباس والسدى وقال ابو على الجبائي ان اللام في قوله ولتصغى وما بعده لام الامر والمراد بها
التهديد كما قال سبحانه اعملوا ما شئتم واستفزز من استطعت وهذا غلط فاحش لانه لو كان كذلك لقال ولتصغ بحذف الالف وقال البلخي
اللام في ولتصغى لام العاقبة وما بعده لام الامر الذي يراد به التهديد وهذا جائز الا ان فيه تعسفا فالاصح ما ذكرناه قوله تعالى
أفغير الله أبتغي حكما وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلا والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق
فلا تكونن من الممترين • آية القراءة قرأ ابن عامر وحفص والباقون بالتخفيف الحجة حجة التشديد قوله سبحانه تنزيل الكتاب من

منزل بالتشديد م

الله وما اشبهه وحجة التخفيف انا انزلنا اليك الكتاب وما اشبهه المعنى امر الله سبحانه نبيه عليه السلم ان يقول لهؤلاء الكفار الذين مضى
ذكرهم افغير الله ابتغي حكما اى اطلب سوى الله حاكما والحكم والحاكم بمعنى واحد الا ان الحكم امدح لان معناه من يستحق ان يتحاكم اليه فهو لا يقضي
الا بالحق وقد يحكم الحاكم بغير حق والمعنى هل يجوز لاحد ان يعدل عن حكم الله رغبة عنه او هل يجوز ان يكون حكم سوى الله يساويه في حكمه وهو
الذى يعني والله الذي انزل اليكم الكتاب اى القرآن مفصلا فصل فيه جميع ما يحتاج اليه وقيل فصل فيه بين الصادق والكاذب في الدين
وقيل فصل بين الحلال والحرام والكفر والايمان عن الحسن ومعنى التفصيل تبيين المعاني بما ينفي التخليط المعمي للمعنى وينفي ايضا التداخل
الذى يوجب نقصان البيان عن المراد والذين آتيناهم الكتاب يعني بهم مؤمني اهل الكتاب والكتاب هو التورية والانجيل وقيل
يعني بهم كبراء الصحابة واصحاب بدر والكتاب هو القرآن عن عطاء يعلمون انه اى ان القرآن منزل من ربك بالحق يعني ببيان الحق
اى يعلمون ان كل ما فيه بيان عن الشئ على ما هو به من ترغيبه وترهيبه ووعده ووعيده وقصصه وامثاله وغير ذلك جميعه هذه
الصفة وقيل ان معنى بالحق والبرهان الذي تقدم لهم حتى علموه به فلا تكونن من الممترين اى من الشاكين في ذلك والخطاب للنبي عليه السلم
والمراد به الامة وقيل الخطاب لغيره اى فلا تكن ايها الانسان او ايها السامع وقيل الخطاب له عليه السلم والمراد به الزيادة في شرح صدره
ويقينه وطمأنينة قلبه وتسكينه كقوله سبحانه فلا يكن في صدرك حرج منه عن ابي مسلم قوله تعالى وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا
لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم • آية القراءة كلمة ربك بالتوحيد عراقي غير ابي عمرو والباقون كلمات ربك الحجة من قرأ

كلمة ربك قال ووقع المفرد على الكثرة فلذلك اغنى عن الجمع قالوا ان زهيرا قال في كلمة يعنون قصيدته وقال قيس في كلمة يعنون خطبته
ومن قرأ بالجمع فلانه لما كان جمعا في المعنى جمعوا اللغة التبديل وضع الشيء مكان غيره والصدق الخبر الذي مخبره على وفق ما اخبر به والعدل
ضد الجور وقيل ان افعال الله تعالى كلها عدل لانها كلها على الاستقامة وقيل انما يوصف بذلك فيما يعامل به عباده الاعراب
صدقا وعدلا نصب على التمييز وقيل انهما مصدران انتصبا على الحال من الكلمة وتقديره ذلك صادقة وعادلة عن ابي علي الفارسي وقد تقدم
مثل هذا فيما مضى المعنى ثم بين سبحانه صفة الكتاب المنزل فقال وتمت اي كملت على وجه لا يمكن احد الزيادة فيه والنقصان منه
كلمة ربك اي القرآن عن قتادة وغيره وقيل معناه انزل شيئا بعد شيء حتى كملت على ما تقتضيه الحكمة وقيل ان المراد بالكلمة دين الله كما في
قوله وكلمة الله هي العليا عن ابي مسلم وقيل المراد بها حجة الله على الخلق صدقا وعدلا ما كان في القرآن من الاخبار فهو صدق لا يشوبه
كذب وما فيه من الامر والنهي والحكم والاباحة والحظر فهو عدل لا مبدل لكلماته اي لا مغير لاحكامه عن قتادة لانه وان امكن التغيير و
التبديل في اللفظ كما بدل اهل الكتاب التورية والانجيل فانه لا يعتد بذلك قال وقد تطلق الكلمة بمعنى الحكم قال سبحانه وكذلك حقت
كلمة ربك اي حكم ربك ويقال عقوبة ربك وقال النبي صلى الله عليه وآله في صفة النساء انهن عوان عندكم استحللتم فروجهن بكلمة
الله تعالى وقيل معناه ان القرآن محروس عن الزيادة والنقصان فلا مغير لشيء منه وذلك ان الله تعالى ضمن حفظه في قوله وانا له
لحافظون ولا يجوز ان يعني بالكلمات الشرايع كما عنى بقوله وصدقت بكلمات ربها لان الشرايع قد يجوز فيها النسخ والتبديل وهو السميع لاقوالكم
العليم بضمايركم قوله تعالى وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون
إن ربك هو أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين آيتان اللغة الفرق بين الاكثر والاعظم ان الاعظم قد يوصف به واحد
ولا يوصف بالاكثر واحد بحال ولهذا يقال في صفة الله تعالى عظيم واعظم ولا يوصف باكثر وانما يقال اكبر بمعنى اعظم والخرص الكذب
يقال خرص يخرص خرصا وتخرص واخترص واصله القطع قال الشاعر ترى قصد المران فيهم كانه تذرع خرصان بايدي الشواطب يعني
جريدا يقطع طولا ويتخذ منه الحصر وهو جمع الخرص ومنه خرص النخل يخرص خرصا اذا حزره والخرص حبة القرط اذا كانت منفردة والخرص
العود لانقطاعه عن نظايره بطيب ريحه ولفظه اعلم اذا لم يذكر معها من فله معنيان احدهما اعلم من الكل ويجري عن ذكر من كقولهم الله اكبر
اي من كل شيء والثاني بمعنى فعيل كقول الفرزدق ان الذي سمك السماء بنى لنا بيتا دعايمه اعز واطول اي عزيزة وطويلة الاعراب موضع
من يضل عن سبيله فيه وجوه احدها انه نصب على حذف الباء حتى يكون مقابلا لقوله وهو اعلم بالمهتدين والثاني ان موضع من رفع
بالابتداء ولفظها لفظ الاستفهام والمعنى ان ربك هو اعلم اي الناس يضل عن سبيله وهذا مثل قوله تعالى لنعلم اي الحزبين احصى عن
الزجاج وفي هذه المسألة خلاف وسيأتي شرح ذلك في موضعه ان شاء الله تعالى والثالث ان موضعها نصب بفعل مضمر يدل عليه
قوله اعلم فكانه قال ان ربك هو اعلم يعلم من يضل عن سبيله وصفة افعل من كذا لا يتعدى لانها غير جارية على الفعل ولا معدولة
عن الجارية عن الفعل كما عدل ضروب عن ضارب ومعطار عن عاطر عن ابي علي الفارسي وزعم قوم ان اعلم ههنا بمعنى يعلم كما قال حاتم الطائي
فحالفت طي من دوننا حلفا والله اعلم ما كنا لهم خذلا وقالت الخنساء القوم اعلم ان جفنته تغدو غداة الريح او تسري وهذا فاسد
لانه لا يطابق قوله وهو اعلم بالمهتدين ولا يجوز ان يكون من في موضع جر باضافة اعلم اليه لان افعل لا يضاف الا الى ما هو بعضه جل و
تقدس عن ان يكون بعض الضالين ولا بعض المضلين المعنى لما تقدم ذكر الكتاب بين سبحانه في هذه الاية ان من تبع غير الكتاب
ضل واضل فقال وان تطع يا محمد خاطبه عليه السلم والمراد غيره وقيل المراد هو وغيره والطاعة هي امتثال الامر وموافقة المطيع المطاع فيما
يريده منه اذا كان المريد فوقه والفرق بينها وبين الاجابة ان الاجابة عامة في موافقة الارادة الواقعة موقع المسألة ولا يراعى فيها الرتبة
اكثر من في الارض يعني الكفار واهل الضلالة وانما ذكر الاكثر لانه علم سبحانه ان منهم من يؤمن ويدعوا الى الحق ويذب عن الدين ولكنهم الاقل
والاكثر الضلال يضلوك عن سبيل الله اي عن دينه وهذا دال على انه لا عبرة في دين الله تعالى ومعرفة الحق بالقلة والكثرة لجواز ان يكون
الحق مع الاقل وانما الاعتبار فيه بالحجة دون القلة والكثرة ان يتبعون الا الظن اي ما يتبع هؤلاء المشركون فيما يعتقدونه ويدعون
اليه الا الظن وان هم الا يخرصون اي ما هم الا يكذبون وقيل معناه انهم لا يقولون عن علم ولكن عن حزر وتخمين وقال ابن عباس كانوا يدعون

النبي عليه السلم والمومنين الى اكل الميته ويقولون اناكلون ما قتلتم ولا تاكلون ما قتل ربكم فهذا اضلالهم ان ربك هو اعلم من يضل عن
سبيله خاطب سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله وان عنى به جميع الامة ويسال فيقال كيف جاز في صفة القديم سبحانه اعلم مع انه سبحانه
لا يخلو من ان يكون اعلم بالمعنى ممن يعلمه او ممن لا يعلمه وكلاهما لا يصح فيه افعل والجواب ان المعنى هو اعلم به ممن يعلمه لانه يعلمه من
وجوه تخفى على غيره وذلك انه يعلم ما يكون منه وما كان وما هو كائن الى يوم القيمة على جميع الوجوه التي يصح ان يعلم الاشياء عليها وليس
كذلك غيره لان غيره لا يعلم جميع الاشياء وما يعلمه لا يعلمه من جميع وجوهها واما من هو غير عالم اصلا فلا يقال الله سبحانه اعلم منه لان لفظه
اعلم يقتضي الاشتراك في العلم وزيادة لمن وصف بانه اعلم وهذا لا يصح فيمن ليس بعالم اصلا الا مجازا وهو اعلم بالمهتدين المعنى انه سبحانه
اعلم بمن يسلك سبيل الضلال المودي الى الهلاك والعقاب ومن يسلك سبيل الهدى المفضي به الى النجاة والثواب وفي هذا دلالة على ان
الضلال والاضلال من فعل العبد خلاف ما يقوله اهل الجبر وعلى انه لا يجوز التقليد واتباع الظن في الدين والاغترار بالكثرة والى هذا اشار
امير المومنين عليه السلم حيث قال للحرث الهمداني يا حار الحق لا يعرف بالرجال اعرف الحق تعرف اهله قوله تعالى فكلوا مما ذكر اسم
الله عليه ان كنتم باياته مومنين * وما لكم الا تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم الا ما اضطررتم
اليه وان كثيرا ليضلون باهوائهم بغير علم ان ربك هو اعلم بالمعتدين * وذروا ظاهر الاثم وباطنه ان الذين
يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون * ثلث آيات القراءة قرا اهل الكوفة غير حفص فصل لكم بالفتح ما حرم بالضم وقرا اهل المدينة
وحفص ويعقوب وسهل فصل لكم ما حرم كليهما بالفتح وقرا الباقون فصل لكم ما حرم بالضم فيهما وقرا ابن كثير وابو عمرو ويعقوب ليضلون
بفتح الياء هنا وفي يونس ليضلوا عن سبيلك وفي ابرهيم ليضلوا عن سبيله وفي الحج ليضل عن سبيل الله وفي لقمن والزمر في المواضع
السته وقرا اهل الكوفة بضم الياء في هذه المواضع وقرا الباقون هنا وفي سورة يونس بفتح الياء وفي الاربعة بعد هذين الموضعين بضم
الياء الحجة حجة من ضم الفاء من فصل والحاء من حرم قوله حرمت عليكم الميتة والدم فهذا تفصيل هذا العام المجمل بقوله حرم وقوله وهو
الذي انزل اليكم الكتاب مفصلا فمفصلا يدل على فصل وحجة من قرا فصل وحرم بفتح الفاء والحاء قوله قد فصلنا الايات وقوله اتل ما حرم
ربكم وقوله الذين يشهدون ان الله حرم هذا وحجة من ضم الياء من يضلون ويضلوا انه يدل على ان الموصوف بذلك في الضلالة اذهب
ومن الهدى ابعد الا ترى ان كل مضل ضال وليس كل ضال مضلا لان الضلال قد يكون مقصورا على نفسه لا يتعداه الى سواه ومن قرا
بفتح الياء فانه يريد انهم يضلون في انفسهم من غير ان يضلوا غيرهم من اتباعهم بامتناعهم من اكل ما ذكر اسم الله عليه وغير ذلك اي يضلون
باتباع اهوائهم اللغة وذروا الواو للعطف وانما استعمل منه الامر والمستقبل ولا يستعمل وذر ولا واذر استغنوا بذلك كراهية الابتداء
بالواو حتى لم يزيد وها هناك اصلا مع زيادتهم اخواتها واستغنوا فيه بترك وتارك وهذا كما استعملوا الماضي دون المستقبل واسم
الفاعل في عسى والظاهر الكاين على وجه يمكن ادراكه والباطن الكاين على وجه يتعذر ادراكه والكسب ما يفعل لاجتلاب النفع او دفع الضرر
وانما يوصف به العبد دون الله تعالى لاستحالة النفع والضرر عليه سبحانه والكواسب الجوارح من الطير لانها تكسب ما تنتفع به وقد
بينا ان معنى الاقتراف الاكتساب المعنى ثم عطف سبحانه على ما تقدم من الكلام فقال فكلوا ثم اختلف في ذلك فقيل انه لما ذكر المهتدين
[illegible] من الهداية ان تحلوا ما احل الله وتحرموا ما حرم الله فكلوا وقيل ان المشركين لما قالوا للمسلمين اتاكلون ما قتلتم انتم ولا
تاكلون ما قتل ربكم فكانه قال سبحانه لهم اعرضوا عن جهلكم فكلوا والمراد به الاباحة وان كانت الصيغة صيغة الامر مما ذكر اسم الله
عليه يعني ذكر اسم الله عند ذبحه دون الميته وما ذكر عليه اسم الاصنام والذكر هو قول بسم الله وقيل هو كل اسم يختص الله تعالى به او صفة
تختصه كقول باسم الرحمن او باسم القديم او باسم القادر لنفسه او العالم لنفسه وما يجري مجراه والاول مجمع على جوازه ويقتضي جواز غيره
لقوله سبحانه قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسني ان كنتم باياته مؤمنين يعني ان كنتم مؤمنين بان عرفتم الله
ورسوله وصحة ما اتيكم به من عند الله فكلوا ما احل دون ما حرم وفي هذه الاية دلالة على وجوب التسمية على الذبيحة وعلى ان
ذبايح الكفار لا يجوز اكلها لانهم لا يسمون الله عليها ومن سمى منهم لا يعتقد وجوب ذلك ولانه يعتقد ان الذي يسميه هو الذي ابد شرع
موسى او عيسى فاذا لا يذكرون الله تعالى حقيقة وما لكم الا تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد ذكرنا اعرابه في سورة البقرة عند قوله وما لنا الا نقاتل

في سبيل الله وتقديره اي شيء لكم في ان لا تاكلوا فيكون ما للاستفهام وهو اختيار الزجاج وغيره من البصريين ومعناه ما الذي يمنعكم ان تاكلوا
مما ذكر اسم الله عند ذبحه وقيل معناه ليس لكم الا تاكلوا فيكون ما للنفي وقد فصل لكم اي بين لكم ما حرم عليكم قبل ما هو ذكر في سورة المائدة من
قوله حرمت عليكم الميتة والدم الاية واعترض على هذا بان سورة المائدة نزلت بعد الانعام بمدة فلا يصح ان يقال انه فصل الا ان يحمل
على انه بين على لسان الرسول عليه السلم وبعد ذلك نزل به القرآن وقيل انه ما فصل في هذه السورة في قوله قل لا اجد فيما اوحي الي محرما الاية
الا ما اضطررتم اليه معناه الا ما خفتم على نفوسكم الهلاك من الجوع اذا تركتم التناول منه فح يجوز لكم تناوله وان كان مما حرمه الله واختلف
في مقدار ما يسوغ تناوله عند الاضطرار فعندنا لا يجوز ان يتناول الا ما يمسك به الرمق وقال قوم يجوز ان يشبع المضطر منها وان
يحمل منها معه حتى يجد ما ياكل وقال الجبائي في هذه الاية دلالة على ان ما يكره على اكله من هذه الاجناس يجوز اكله لان المكره يخاف على
نفسه مثل المضطر وان كثيرا ليضلون باهوائهم اي باتباع اهوائهم ومن قرا بالضم اراد انهم يضلون اشياعهم فحذف المفعول به وفي
امثاله كثرة وانما جعل النكرة اسم ان لان الكلام اذا طال احتمل ذلك ودل بعضه على بعض وذروا ظاهر الاثم وباطنه امر سبحانه بترك الاثم
مع قيام الدلالة على كونه اثما ونهى عن ارتكابه سرا وعلانية وهو قول قتادة ومجاهد والربيع بن انس وقيل اراد بالظاهر افعال الجوارح
وبالباطن افعال القلوب عن الجبائي وقيل الظاهر من الاثم هو الزنى والباطن اتخاذ الاخدان عن السدي والضحاك وقيل ظاهر الاثم
امراة الاب وباطنه الزنى عن سعيد بن جبير وقيل ان اهل الجاهلية كانت ترى ان الزنا اذا ظهر كان فيه اثم واذا استسر به صاحبه
لم يكن اثما ذكره الضحاك والاصح القول الاول لانه يعم الجميع ان الذين يكسبون الاثم اي يعملون المعاصي التي فيها الاثام ويرتكبون
القبائح سيجزون اي سيعاقبون بما كانوا يقترفون ما كانوا يكتسبونه ويرتكبونه قوله تعالى ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه
وانه لفسق وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم وان اطعتموهم انكم لمشركون آية المعنى
ثم اكد سبحانه ما تقدم بقوله ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه يعني عند الذبح من الذابح وهذا تصريح في وجوب التسمية على الذبيحة لانه
لو لم يكن كذلك لكان ترك التسمية غير محرم لها وانه لفسق يعني وان اكل ما لم يذكر اسم الله عليه لفسق وفي هذا دلالة على تحريم اكل ذبائح الكفار
كلهم اهل الكتاب وغيرهم من سمى منهم ومن لم يسم لانهم لا يعرفون الله تعالى على ما ذكرناه من قبل فلا يصح منهم القصد الى ذكر اسمه فاما
فاما ذبيحة المسلم اذا لم يسم الله تعالى عليها فقد اختلف في ذلك فقيل لا يحل اكلها سواء ترك التسمية عمدا او نسيانا عن مالك وداود
وروي ذلك عن الحسن وابن سيرين وبه قال الجبائي وقيل يحل اكلها في الحالين عن الشافعي وقيل يحل اكلها اذا ترك التسمية ناسيا بعد ان
يكون معتقدا لوجوبها ويحرم اكلها اذا تركها متعمدا عن ابي حنيفة واصحابه وهو المروي عن ائمتنا عليهم السلم وان الشياطين يعني علماء
الكافرين ورؤساءهم المتمردين في كفرهم ليوحون اي يومون ويشيرون الى اوليائهم الذين اتبعوهم من الكفار ليجادلوكم في استحلال
الميتة قال الحسن كان مشركوا العرب يجادلون المسلمين فيقولون لهم كيف تاكلون ما تقتلونه انتم ولا تاكلون ما يقتله الله تعالى
وقتيل الله اولى بالاكل من قتيلكم فهذه مجادلتهم وقال عكرمة ان قوما من مجوس فارس كتبوا الى مشركي قريش وكانوا اولياءهم في الجاهلية
ان محمدا واصحابه يزعمون انهم يتبعون امر الله ثم يزعمون ان ما ذبحوه حلال وما قتله الله حرام فوقع ذلك في نفوسهم فذلك ايحاؤهم
اليهم وقال ابن عباس معناه وان الشياطين من الجن وهم ابليس وجنوده ليوحون الى اوليائهم من الانس والوحي القاء المعنى الى النفس
من وجه خفي وهم يلقون الوسوسة الى قلوب اهل الشرك ثم قال سبحانه وان اطعتموهم ايها المؤمنون فيما يقولونه من استحلال الميتة
وغيره انكم اذا لمشركون لان من استحل الميتة فهو كافر بالاجماع ومن اكلها محرما لها مختارا فهو فاسق وهو قول الحسن وجماعة المفسرين
وقال عطا انه مختص بذبائح العرب التي كانت تذبحها للاوثان قوله تعالى اومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به
في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر
مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون الا بانفسهم وما يشعرون ايتان القرآءة قرا اهل المدينة ويعقوب ميتا بالتشديد والباقون
ميتا بالتخفيف الحجة ابو عبيدة الميتة تخفيف ميتة ومعناهما واحد قال ابو الرعلاء الغساني ليس من مات فاستراح بميت انما الميت
ميت الاحياء انما الميت من يعيش كئيبا كاسفا باله قليل الرجاء والمحذوف من الياءين الثانية المنقلبة عن الواو اعلت بالحذف كما

اعلت

اعلت بالقلب **اللغة** الاكابر جمع الاكبر وقد قالوا الاكابرة والاصاغرة كما قالوا الاساورة والاحامرة قال الشاعر ان الاحامرة الثلثة
اهلكت مالي وكنت بهن قديما مولعا الخمر واللحم السمين احبه والزعفران وقد ابيت مردعا واصل المكر الفتل ومنه جارية ممكورة اي ملتفة
البدن فكان المكر معناه الفتل الى خلاف الرشد **الاعراب** اومن هذه همزة الاستفهام دخلت على واو العطف وهو استفهام يراد به التقرير
وموضع الكاف في قوله وكذلك جعلنا نصب معطوفة على ما قبلها وهو قوله كذلك زين للكافرين مجرميها يجوز ان يكون منصوبا على التقديم
والتاخير تقديره في كل قرية مجرميها اكابر ويجوز ان يكون منصوبا باضافة اكابر اليه **النزول** الاية الاولى قيل انها نزلت في حمزة بن عبد المطلب
وابي جهل بن هشام وذلك ان ابا جهل اذى رسول الله صلى الله عليه وآله فاخبر بذلك حمزة وهو على دين قومه فغضب وجاء ومعه قوس فضرب بها
راس ابي جهل وآمن عن ابن عباس وقيل انها نزلت في عمار بن ياسر حين آمن وابي جهل عن عكرمة وهو المروي عن ابي جعفر عليه السلم وقيل نزلت في
عمر بن الخطاب عن الضحاك وقيل انها عامة في كل مؤمن وكافر وجماعة وهذا اولى لانه اعم فايدة فيدخل فيه جميع الاقوال المذكورة **المعنى**
ثم ذكر سبحانه مثل الفريقين فقال اومن كان ميتا فاحييناه اي كافرا فاحييناه بان هديناه الى الايمان عن ابن عباس والحسن ومجاهد
شبه سبحانه الكفر بالموت والايمان بالحيوة وقيل معناه من كان نطفة فاحييناه كقوله وكنتم امواتا فاحياكم وجعلنا له نورا يمشي به في الناس
قيل فيه وجوه احدها ان المراد بالنور العلم والحكمة سمى سبحانه ذلك نورا والجهل ظلمة لان العلم يهتدى به الى الرشاد كما يهتدى بالنور في الطرقات
وثانيها ان المراد بالنور هنا القران عن مجاهد وثالثها ان المراد به الايمان عن ابن عباس كمن مثله في الظلمات لم يقل سبحانه كمن هو في الظلمات
لان تقديره كمن مثله مثل من هو في الظلمات يعني به الكافر الذي هو في ظلمة الكفر وقيل معناه كمن هو في ظلمات الكفر ليس بخارج منها لكنه
ذكره بلفظ المثل ليبين انه بلغ في الكفر والحيرة غاية يضرب به المثل فيها وانما سمى الله سبحانه الكافر ميتا لانه لا ينتفع بحيوته ولا ينتفع
غيره بحيوته فهو اسوء حالا من الميت اذ لا يوجد من الميت ما يعاقب عليه ولا يتضرر غيره به وسمى المؤمن حيا لان له ولغيره المصلحة والمنفعة
في حيوته وكذلك سمى الكافر ميتا والمؤمن حيا في عدة مواضع مثل قوله انك لا تسمع الموتى ولينذر من كان حيا وقوله وما يستوي الاحياء
ولا الاموات وسمى القران والايمان والعلم نورا لان الناس يبصرون بذلك ويهتدون من ظلمات الكفر وحيرة الضلالة كما يهتدي
بساير الانوار وسمى الكفر ظلمة لان الكافر لا يهتدي هداه ولا يبصر امر رشده وهذا كما سمى الكافر اعمى في قوله افمن يعلم انما انزل اليك
من ربك الحق كمن هو اعمى وقوله وما يستوي الاعمى والبصير كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون وجه التشبيه بالكاف ان معناه زين
لهؤلاء الكفر فعملوه مثل ما زين لاولئك الايمان فعملوه فشبه حال هؤلاء في التزيين بحال اولئك فيه كما قال سبحانه كل حزب بما لديهم
فرحون ويروى عن الحسن انه قال زينه والله لهم الشيطان وانفسهم واستدل بقوله وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم وقوله زين
لا يقتضي مزينا غيرهم لانه بمنزلة قوله تعالى انى يصرفون وانى يؤفكون وقول العرب اعجب فلان بنفسه واولع بكذا ومثله كثير وكذلك
جعلنا في كل قرية اكابر اي مثل ذلك الذي قصصنا عليك زين للكافرين عملهم ومثل ذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها وجعلنا ذا المكر
من المجرمين كما جعلنا ذا النور من المؤمنين فكل ما فعلنا بهؤلاء فعلنا باولئك الا ان اولئك اهتدوا بحسن اختيارهم وهؤلاء ضلوا
بسوء اختيارهم لان في كل واحد منهما الجعل بمعنى الصيرورة الا ان الاول باللطف والثاني بالتمكين من المكر وانما خص اكابر المجرمين
بذلك دون الاصاغر لانه اليق بالاقتدار على الجميع لان الاكابر اذا كانوا في قبضة القادر فالاصاغر بذلك اجدر واللام في قوله
ليمكروا فيها لام العاقبة وتسمى لام الصيرورة كما في قوله سبحانه ليكون لهم عدوا وحزنا وكما قال الشاعر فاقسم لو قتلوا مالكا لكنت لهم حية
راصدة وام سماك فلا تجزعي فللموت ما تلد الوالدة وما يمكرون الا بانفسهم لان عقاب ذلك يحل بهم ولا يصح ان يمكر الانسان بنفسه على
حقيقة لانه لا يصح ان يخفي عن نفسه معنى ما يحتال به عليها ويصح ان يخفي ذلك عن غيره وفايدة الاية ان الاكابر من المجرمين لم يمكروا بالمؤمنين
على وجه المغالبة لله اذ هم كانه سبحانه جعلهم ليمكروا وهذه مبالغة في انتفاء صفة المبالغة **قوله تعالى** وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَن
نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِندَ اللَّهِ وَعَذَابٌ
شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ آية **القراءة** قرا ابن كثير وحفص رسالته على التوحيد ونصب التاء والباقون رسالاته على الجمع **الحجة**
من وحد فلان الرسالة تدل على القلة والكثرة لكونها مصدرا ومن جمع فلما تكرر من رسالات الله سبحانه مرة بعد اخرى **اللغة** الاجرام

الاقدام على القبيح بالانقطاع اليه لان اصل الجرم القطع فكانه قطع ما يجب ان يوصل من العمل ومنه قيل للذنب الجرم والجريمة والصغار
الذل الذي يصغر الى المرء نفسه يقال صغر الانسان يصغر صغارا وصغرا الاعراب الله اعلم حيث يجعل رسالاته لا يخلوا حيث هنا
من ان يكون ظرفا متضمنا الحرف او غير ظرف فان كان ظرفا فلا يجوز ان يعمل فيه اعلم لانه يصير المعنى اعلم فى هذا الموضع او فى هذا الوقت
ولا يوصف الله تعالى بانه اعلم فى مواضع او فى اوقات كما يقال زيد اعلم فى مكان كذا منه فى مكان كذا واعلم فى زمان كذا منه فى زمان كذا
واذا كان الامر كذلك لم يجز ان يكون حيث هنا ظرفا واذا لم يكن ظرفا كان اسما وكان انتصابه انتصاب المفعول به على الاتساع ويقوي
ذلك دخول الجار عليها فكان الاصل الله اعلم بمواضع رسالاته ثم حذف الجار كما قال سبحانه اعلم بمن ضل عن سبيله وفى موضع اخر اعلم
من يضل عن سبيله فمن يضل معمول فعل مضمر دل عليه اعلم ولا يجوز ان يكون معمول اعلم لان المعانى لا تعمل فى مواضع الاستفهام و
نحوه انما تعمل فيها الافعال التى تلغى نتعلق كما تلغى ومثل ذلك فى انه لا يكون الا محمولا على فعل قوله واضرب منا بالسيوف القوانسا
فالقوانس منصوب بفعل مضمر دل عليه قوله اضرب لان المعاني لا تعمل فى المفعول به وما جعل حيث فيه اسما متمكنا غير ظرف متضمن
لمعنى فى قول الشاعر كان منها حيث تلوى المنطقا حقفا نقاما لا على حقفى نقا الا ترى ان حيث هنا فى موضع نصب بكان وحقفا نقا
مرفوع بانه خبره وقال القاضي ابو سعيد السيرافي فى شرح كتاب سيبويه ان من العرب من يضيف حيث الى المفرد فيجر ما بعدها انشد بن
الاعرابي بيتا اخره حيث لى العمايم وانشد ايضا ابو سعيد وابو على فى اخراج حيث من حد الظرفيه بالاضافة اليها الى حد الاسماء المحضه
قول الشاعر يصف شيخا يثقل الفعل يهز الهرانع عقده عند الحصى باذل حيث يكون من يتذلل ومن ذلك قول الفرزدق فهجر
به عذبا رضايا غروبه رقاق واعلى حيث ركبن اعجف وقوله صغار عند الله قال الزجاج عند متصله بسيصيب الذين اجرموا صغار
ثابت لهم عند الله ولا يصح ان يكون من محذوفة من عند انما المحذوف من عند فى اذا قلت زيد عند عمرو فالمعنى زيد فى حضرة عمرو قال
ابو على اذا قلت ان عند معمول لصغار لم تحتج الى تقدير محذوف فى الكلام لكن نفس المصدر يتناوله ويعمل فيه ويكون التقدير ان يصغروا عند الله
فلا وجه لتقدير ثابت فى الكلام فان قدرت صغارا موصوفا بعند لم يكن عند معمولة لصغار ولكن يكون متعلقا بمحذوف فلا بد على
هذا من تقدير ثابت ونحوه مما يكون فى الاصل الصفة ثم حذف واقيم الظرف مقامه للدلالة عليه وهذا كقولك وانت تريد الصفة هذا رجل عندك
فالمعنى ثابت عندك او مستقر ونحوه وكلا الوجهين جاين النزول نزلت فى الوليد بن المغيرة قال والله لو كانت النبوة حقا لكنت اولى
بها منك لانى اكبر منك سنا واكثر منك مالا وقيل نزلت فى ابي جهل بن هشام قال زاحمنا بني عبد مناف فى الشرف حتى اذا صرنا كفرسى
رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نؤمن به ولا نتبعه ابدا الا ان يأتينا وحي كما يأتيه عن مقاتل المعنى ثم حكى سبحانه عن الاكابر الذين
تقدم ذكرهم اقتراحاتهم الباطلة فقال واذا جاءتهم اية اي دلالة معجزة من عند الله تعالى تدل على توحيده وصدق نبيه عليه السلم قالوا
لن نؤمن اي لن نصدق بها حتى نؤتى اى نعطى اية معجزة مثل ما اوتي اي اعطي رسل الله حسدا منهم للنبي عليه السلم ثم اخبر سبحانه على وجه
الانكار عليهم بقوله الله اعلم حيث يجعل رسالاته انه اعلم منهم ومن جميع الخلق بمن يصلح لرسالاته ويتعلق مصالح الخلق ببعثه وانه يعلم
من يقوم باعباء الرسالة ومن لا يقوم بها فيجعلها عند من يقوم باداءها ويحتمل ما يلحقه من المشقة والاذى على تبليغها ثم توعدهم سبحانه فقال
سيصيب اى سينال الذين اجرموا اى انقطعوا الى الكفر واقدموا عليه يعني بهم المشركين من الاكابر القوم الذين سبق ذكرهم صغار عند الله
اي سيصيبهم عند الله ذل وهوان وان كانوا اكابر فى الدنيا عن الزجاج ويجوز ان يكون المعنى سيصيبهم صغار معد لهم عند الله او سيصيبهم
ان يصغروا عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون فى الدنيا اى جزاء على مكرهم قوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره
للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد فى السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون ٥ اية
القراءة قرا ابن كثير ضيقا بتخفيف الياء وسكونها ههنا وفى الفرقان والباقون بتشديدها وكسرها وقرا اهل المدينة وابو بكر وسهل حرجا
بكسر الراء والباقون بفتحها وقرا ابن كثير يصعد بتخفيف الصاد والعين وسكون الصاد وقرا ابو بكر يصاعد بتشديد الصاد والف بعدها
وتخفيف العين والباقون يصعد بتشديد الصاد والعين وفتح الصاد الحجة الضيق والضيق بمعنى مثل الميت والميت ومن فتح الراء
من حرجا فقد وصف بالمصدر كما قيل فى قمن ودنف ونحوهما من المصادر التى توصف بها ومن كسر الراء من حرجا فهو مثل دنف وقمن وقراءة ابن كثير

يصعد

يصعد من الصعود ومن قرا يصاعد اراد يتصاعد فادغم ومعنى يصعد انه يثقل الاسلام عليه فكانه يتكلف ما يثقل عليه شيئا بعد شيء كقولهم
يتجرع ويتفوق ونحو ذلك مما يتعاطى فيه الفعل شيئا بعد شيء ويصاعد مثل يصعد في المعنى فهو مثل ضاعف وضعف وناعم ونعم وهاس
المشقة وصعوبة الشيء ومن ذلك قول عمر بن الخطاب ما تصعدني شيء كما تصعدني خطبة النكاح اي ما شق علي شيء مشقتها اللغة الحرج والحرج
اضيق الضيق قال ابو زيد حرج عليه السحر يحرج حرجا اذا اصبح قبل ان يتسحر وحرم عليه حرما وهما بمعنى واحد وحرجت على المراة الصلوة و
حرمت بمعنى واحد وحرج فلان اذا هاب ان يتقدم على الامر او قاتل فصبر وهو كاره وقد ذكرنا معاني الهداية والهدى والضلال والاضلال
في سورة البقرة وما يجوز اسناده الى الله تعالى من كلي الامرين وما لا يجوز عند قوله وما يضل به الا الفاسقين المعنى لما تقدم ذكر المومنين
والكافرين بين عقيبه ما يفعله سبحانه بكل من الفريقين فقال فمن يرد الله ان يهديه قد ذكر في تاويل الاية وجوه احدها ان معناه من يرد
الله ان يهديه الى الثواب وطريق الجنة يشرح صدره في الدنيا للاسلام بان يثبت عزمه عليه ويقوي دواعيه على التمسك به ويزيل عن قلبه
وساوس الشيطان وما يعرض في القلوب من الخواطر الفاسدة وانما يفعل ذلك لطفا له ومنا عليه وثوابا على اهتدائه بهدى الله وقبوله اياه و
نظيره قوله سبحانه والذين اهتدوا زادهم هدى ويزيد الله الذين اهتدوا هدى ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا يعني ومن يرد ان
يضله عن ثوابه وكرامته يجعل صدره في كفره ضيقا حرجا عقوبة له على تركه الايمان من غير ان يكون سبحانه مانعا له عن الايمان وسالبا اياه القدرة
عليه بل ربما يكون ذلك سببا داعيا له الى الايمان فان من ضاق صدره بالشيء كان ذلك داعيا له الى تركه والدليل على ان شرح الصدر قد يكون
ثوابا قوله سبحانه الم نشرح لك صدرك الايات ومعلوم ان وضع الوزر ورفع الذكر يكون ثوابا على تحمل اعباء الرسالة وكلفها فكذلك ما قرن
به من شرح الصدر والدليل على ان الهدى قد يكون الى الثواب قوله والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل اعمالهم سيهديهم ويصلح بالهم و
معلوم ان الهداية بعد القتل لا تكون الا الى الثواب فليس بعد الموت تكليف وقد وردت الرواية الصحيحة انه لما نزلت هذه الاية سئل
رسول الله صلى الله عليه وآله عن شرح الصدر ما هو فقال نور يقذفه الله في قلب المؤمن فينشرح له صدره وينفسح قالوا فهل لذلك امارة
يعرف بها قال عليه السلم نعم الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت وثانيها ان معنى الاية فمن
يرد الله ان يثبته على الهدى يشرح صدره من الوجه الذي ذكرناه جزاء له على ايمانه واهتدائه وقد يطلق لفظ الهدى والمراد به الاستدامة
كما قلناه في قوله اهدنا الصراط المستقيم ومن يرد ان يضله ان يخذله ويخلي بينه وبين ما يريده لاختياره الكفر وتركه الايمان يجعل صدره
ضيقا حرجا بان يمنعه الالطاف التي ينشرح لها صدره لخروجه من قبولها باقامته على كفره فان قيل انا نجد الكافر غير ضيق الصدر لما هو
فيه ونراه طيب القلب على كفره فكيف يصح الخلف في خبره سبحانه قلنا انه سبحانه بين انه يجعل صدره ضيقا ولم يقل في كل حال ومعلوم من
حاله في احوال كثيرة انه يضيق صدره بما هو فيه من ورود الشبه والشكوك عليه وعند ما يجازي الله سبحانه المؤمن على استعمال الادلة الموصلة
الى الايمان وهذا القدر هو الذي يقتضيه الظاهر وثالثها ان معنى الاية من يرد الله ان يهديه زيادة الهدى التي وعدها المؤمن يشرح
صدره لتلك الزيادة لان من حقها ان تزيد المؤمن بصيرة ومن يرد ان يضله عن تلك الزيادة بمعنى يذهبه عنها من حيث اخرج هو نفسه
من ان يصح عليه يجعل صدره ضيقا حرجا لمكان فقد تلك الزيادة لانها اذا اقتضت في المؤمن ما قلناه اوجب في الكافر ما يضاده ويكون
الفائدة في ذلك الترغيب في الايمان والزجر عن الكفر وهذا التاويل قريب مما تقدمه وقد روي عن ابن عباس انه قال انما سمي قلب الكافر
حرجا لانه لا يصل الخير الى قلبه وفي رواية اخرى لا تصل الحكمة الى قلبه ولا يجوز ان يكون المراد بالاضلال في الاية الدعاء الى الضلال ولا الامر
به ولا الاجبار عليه لاجماع الامة على ان الله تعالى لا يامر بالضلال ولا يدعوا اليه فكيف يجبر عليه والدعاء اليه اهون من الاجبار عليه
وقد ذم الله سبحانه فرعون والسامري على اضلالهما عن دين الهدى في قوله واضل فرعون قومه وما هدى وقوله واضلهم السامري ولا خلاف
في ان اضلالا لهما اضلال امر واجبار ودعاء وقد ذمهما الله سبحانه عليه مطلقا فكيف يتمدح بما ذم عليه غيره وقوله كانما يصعد في السماء
فيه وجوه احدها ان معناه كانه قد كلف ان يصعد الى السماء اذا دعي الى الاسلام من ضيق صدره عنه او كان قلبه يصعد في السماء
نبوا عن الاسلام والحكمة عن الزجاج وثانيها ان معنى يصعد كانه يتكلف مشقة في ارتقاء صعود وعلى هذا قيل عقبة عنوت وكؤود
عن ابي علي الفارسي قال ولا يكون السماء في هذا القول المظلة للارض لكن كما قال سيبويه القيدود الطويل في غير سماء اي في غير ارتفاع صعدا

وقريب منه ما روي عن سعيد بن جبير ان معناه كانه لا يجد مسلكا الا صعدا وثالثها ان معناه كانما ينزع قلبه الى السماء لشدة المشقة

عليه في مفارقة مذهبه كذلك يجعل الله الرجس اي العذاب عن ابن زيد من اهل اللغة وقيل هو ما لا خير فيه عن مجاهد على الذين

لا يؤمنون وفي هذا دلالة على صحة التاويل الاول لانه سبحانه بين ان الاضلال المذكور في الاية كان على وجه العقوبة على الكفر ولو كان

المراد به الاجبار على الكفر لقال كذلك لا يؤمن من جعل الله الرجس على قلبه ووجه التشبيه في قوله كذلك يجعل الله الرجس انه يجعل الرجس

على هؤلاء كما يجعل ضيق الصدر في قلوب اولئك وان كل ذلك على وجه الاستحقاق وروى العياشي باسناده عن ابي بصير عن خيثمة قال

سمعت ابا جعفر عليه السلم يقول ان القلب يتقلب من لدن موضعه الى حنجرته ما لم يصب الحق فاذا اصاب الحق قر ثم قرا هذه الآية قوله تعالى

وَهٰذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ۝ لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ آيتان

المعنى ثم اشار سبحانه الى ما تقدم من البيان فقال وهذا صراط ربك اي طريق ربك وهو القران عن ابن مسعود والاسلام عن ابن

عباس وانما اضافه الى نفسه لانه سبحانه هو الذي دل عليه وارشد اليه مستقيما لا اعوجاج فيه وانما انتصب على الحال وانما وصف

الصراط الذي هو الادلة على الحق بالاستقامة مع اختلاف وجوه الادلة لانها مع اختلافها تؤدي الى الحق فكانها طريق واحد لسلامة

جميعها من التناقض والفساد قد فصلنا الايات اي بيناها وميزناها لقوم يذكرون واصله يتذكرون خص المتذكرين بذلك لانهم

المنتفعون بالحجج كما قال هدى للمتقين لهم دار السلام اي للذين تذكروا وتدبروا وعرفوا الحق وتبعوه دار السلامة الدايمة الخالصة من

كل آفة وبلية مما يلقاه اهل النار عن الزجاج والجبائي وقيل ان السلام هو الله سبحانه وداره الجنة عن الحسن والسدي عند ربهم

اي هي مضمونة لهم عند ربهم يوصلهم اليها لا محالة كما يقول الرجل لغيره لك عندي هذا المال اي في ضماني وقيل معناه لهم دار السلم

في الاخرة يعطيهم اياها وهو وليهم يعني الله يتولى ايصال المنافع اليهم ودفع المضار عنهم وقيل وليهم ناصرهم على اعدائهم وقيل يتولاهم

في الدنيا بالتوفيق وفي الآخرة بالجزاء بما كانوا يعملون المراد جزاء بما كانوا يعملونه من الطاعات فحذف لظهور المعنى فان من المعلوم

ان ما لا يكون طاعة من الاعمال فلا ثواب عليه قوله تعالى وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ

أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا

إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ۝ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝ آيتان القراءة

قرا حفص وروح ويوم يحشرهم بالياء والباقون بالنون الحجة من قرا بالياء فلقوله عند ربهم والنون كالياء في المعنى ويقوى

النون قوله وحشرناهم ونحشره يوم القيمة اعمى الاعراب قال الزجاج خالدين فيها منصوب على الحال والمعنى النار مقامكم في حال خلود

دايم قال ابو علي المثوى عندي في الآية اسم للمصدر دون المكان لحصول الحال في الكلام معملا فيها الا ترى انه لا يخلو من ان يكون موضعا

او مصدرا فلا يجوز ان يكون موضعا لان اسم الموضع لا يعمل عمل الفعل لانه لا معنى للفعل فيه واذا لم يكن موضعا ثبت انه مصدر والمعنى

النار ذات اقامتكم فيها خالدين اي اهل ان تقيموا وتثووا خالدين فيها فالكاف والميم في المعنى فاعلون وان كان في اللفظ خفض بالاضافة المعنى

ثم عطف سبحانه على ما تقدم فقال ويوم نحشرهم جميعا اي نجمعهم يريد جميع الخلق وقيل الانس والجن لانه يتعقبه حديثهم وقيل يريد الكفار

وانتصب اليوم بالقول المضمر لان المعنى ويوم نحشرهم جميعا نقول يا معشر الجن اي يا جماعة الجن قد استكثرتم من الانس اي استكثرتم

ممن اضللتموه من الانس عن الزجاج وهو ماخوذ من قول ابن عباس معناه من اغواء الانس واضلالهم وقال اولياؤهم اي متبعوهم من

الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض اي انتفع بعضنا ببعض وقد قيل فيه اقوال احدها ان استمتاع الجن بالانس ان اتخذهم الانس

قادة ورؤساء فاتبعوا اهواءهم واستمتاع الانس بالجن انتفاعهم في الدنيا بما زين لهم الجن من اللذات ودعوهم اليه من الشهوات و

ثانيها ان استمتاع الانس بالجن ان الرجل كان اذا سافر وخاف الجن في سلوك طريق قال اعوذ بسيد هذا الوادي ثم يسلك فلا يخاف و

كانوا يرون ذلك استجارة بالجن وان الجن يجيرهم كما قال سبحانه وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا

واستمتاع الجن بالانس ان الجن اذا اعتقدوا ان الانس يتعوذون بهم ويعتقدون انهم ينفعونهم ويضرونهم كان لهم في ذلك سرور

ونفع عن الحسن وابن جريج والزجاج وغيرهم وثالثها ان المراد بالاستمتاع طاعة بعضهم لبعض وموافقة بعضهم بعضا عن محمد بن كعب قال

البلخي

نصف الحزب

والانس

البلخي ويحتمل ان يكون الاستمتاع مقصورا على الانس فيكون الانس استمتع بعضهم ببعض دون الجن وقوله وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا
يعني بالاجل الموت عن الحسن والسدي وقيل البعث والحشر لان الحشر اجل الجزاء كما ان الموت اجل استدراك ما مضى قال الجبائي وفي هذا
دلالة على انه لا اجل الا اجل واحد لانه لو كان اجلان لكان الرجل اذا اقتطع دون الموت بان يقتل لم يكن بلغ اجله والاية تتضمن انهم اجمع
قالوا بلغنا اجلنا الذي اجلت لنا وقال علي بن عيسى وغيره من البغداديين لا دلالة في الآية على ذلك بل لا يمتنع ان يكون للانسان اجلان
احدهما ما يقع فيه الموت والاخر ما يقع فيه الحشر وما كان يجوز ان يعيش اليه قال الله تعالى لهم النار مثويكم اي مقامكم والثوى الاقامة
خالدين فيها اي دائمين مؤبدين فيها معذبين الا ما شاء الله وقيل في معنى هذا الاستثناء اقوال احدها ما روي عن ابن عباس انه قال
كان وعيد الكفار مبهما غير مقطوع به ثم قطع به لقوله سبحانه ان الله لا يغفر ان يشرك به وثانيها ان الاستثناء انما هو من يوم القيمة
لان قوله يوم نحشرهم جميعا هو يوم القيمة فقال خالدين فيها مذ يوم يبعثون الا ما شاء الله من مقدار حشرهم من قبورهم ومقدار مدتهم
في محاسبتهم عن الزجاج قال ويجوز ان يكون الا ما شاء الله ان يعذبهم به من اصناف العذاب وثالثها ان الاستثناء راجع الى غير الكفار
من عصاة المسلمين الذين هم في مشية الله تعالى ان شاء عذبهم بذنوبهم بقدر استحقاقهم عدلا وان شاء عفى عنهم فضلا ورابعها ان
معناه الا ما شاء الله ممن آمن منهم عن عطاء ان ربك حكيم عليم اي محكم لافعاله عليم بكل شيء وقيل حكيم في عقاب من يختار ان يعاقبه
والعفو عمن يختار ان يعفو عنه عليم بمن يستحق الثواب وبمقدار ما يستحقه وبمن يستحق العقاب وبمقدار ما يستحقه وكذلك نولي بعض
الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون الكاف للتشبيه اي كذلك للمهل بتخلية بعضهم من بعض للامتحان الذي معه يصح الجزاء على الاعمال نولينا
بعض الظالمين بعضا بان نخلي بعضهم يتولى امر بعض للعقاب الذي يجري على الاستحقاق عن علي بن عيسى وقيل معناه انا كما وكلنا هؤلاء
الظالمين من الجن والانس بعضهم الى بعض يوم القيمة وتبرأنا منهم فكذلك نكل الظالمين بعضهم الى بعض يوم القيمة ونكل الاتباع الى
المتبوعين ونقول للاتباع قولوا للمتبوعين حتى يخلصوكم من العذاب عن ابي علي الجبائي قال والغرض بذلك اعلامهم انه ليس لهم يوم القيمة
ولي يدفع عنهم شيئا من العذاب وقال غيره لما حكى الله سبحانه ما يجري بين الجن والانس من الخصام والجدال في الآخرة قال وكذلك اي وكما
فعلنا بهؤلاء من الجمع بينهم في النار وتولية بعضهم بعضا نفعل مثله بالظالمين جزاء على اعمالهم وقال ابن عباس اذا رضي الله عن قوم ولى
امرهم خيارهم واذا سخط على قوم ولى امرهم شرارهم بما كانوا يكسبون من المعاصي اي جزاء على اعمالهم القبيحة وذلك معنى قوله ان الله
لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم ومثله ما رواه الكلبي عن مالك بن دينار قال قرأت في بعض كتب الحكمة ان الله يقول اني انا الله مالك
الملوك قلوب الملوك بيدي فمن اطاعني جعلتهم عليه رحمة ومن عصاني جعلتهم عليه نقمة فلا تشغلوا انفسكم بسب الملوك ولكن توبوا
الي اعطفهم عليكم وقيل معنى قوله نولي بعضهم على بعض نخلي بينهم وبين ما يختارونه من غير نصرة لهم وقيل معناه نتابع بعضهم بعضا في النار
من الموالاة التي هي المتابعة اي ندخل بعضهم النار عقيب بعض عن قتادة **قوله تعالى** يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ
يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا
كَافِرِينَ ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ
ثلث ايات **القراءة** قرا ابن عامر عما تعملون بالتاء والباقون بالياء **اللغة** الغفلة عن المعنى والسهو عنه والغروب عنه نظائر وضد الغفلة
اليقظة وضد السهو الذكر وضد الغروب الحضور **الاعراب** موضع ذلك يحتمل ان يكون رفعا على التقدير الامر ذلك ويحتمل ان يكون
نصبا على تقدير فعلنا ذلك وان لم يكن ان هذه المخففة من الثقيلة وتقديره لانه لم يكن كما قال الشاعر في فتية كسيوف الهند قد علموا
ان هالك كل من يحفى وينتعل وان المفتوحة لا بد لها من اضمار الهاء لانه لا معنى لها في الابتداء وانما هي بمعنى المصدر المبني على غيره والمكسورة
لا تحتاج الى الهاء لانها تصح ان تكون حرفا من حروف الابتداء فلا تحتاج الى اضمار وانما لم يبن كل اذا حذف منه المضاف اليه كما بني قبل
وبعد لان ما حذف منه المضاف اليه مثل قبل وبعد لم تكن في حال الاعراب على التمكن التام فانه لا يدخله الرفع في تلك الحال فلما انضاف
الى ذلك نقصان التمكن بحذف المضاف اليه اخرج الى البناء وليس كذلك كل لانه متمكن على كل حال فلذلك لم يبن **المعنى** ثم بين سبحانه
تمام ما يخاطب به الجن والانس يوم القيمة بان يقول يا معشر الجن والانس والمعشر الجماعة التامة من القوم التي تشتمل على اصناف الطوائف

ومنه العشرة لانها تمام العقد الم يأتكم رسل منكم هذا احتجاج عليهم بان بعث اليهم الرسل اعذارا وانذارا وتاكيدا للحجة عليهم واما قوله منكم وان كان خطابا لجميعهم والرسل من الانس خاصة فانه يحتمل ان يكون لتغليب احدهما على الاخر كما قال سبحانه يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وان كان اللؤلؤ يخرج من الملح دون العذب وكما يقال اكلت الخبز واللبن وانما يؤكل الخبز ويشرب اللبن وهو قول اكثر المفسرين والزجاج والرماني وقيل انه ارسل رسل الى الجن كما ارسل الى الانس عن الضحاك وقال الكلبي كان الرسل يرسلون الى الانس ثم بعث محمد صلى الله عليه وآله الى الانس والجن وقال ابن عباس انما بعث الرسول من الانس ثم كان يرسل هو الى الجن رسولا من الجن وقال مجاهد الرسل من الانس والنذر من الجن يقصون اى يتلون ويقرءون عليكم اياتي اى حججي ودلايلي وبيناتي وينذرونكم اى يخوفونكم لقاء يومكم هذا اى لقاء ما تستحقونه من العقاب في هذا اليوم وحصولكم فيه يعني يوم القيمة قالوا شهدنا على انفسنا بالكفر والمعاصي في حال التكليف ولزوم الحجة وانقطاع المعذرة واعترفنا بذلك وغرتهم الحيوة الدنيا اى تزينت لهم بظاهرها حتى اغتروا بها وشهدوا على انفسهم في الاخرة انهم كانوا كافرين في الدنيا اي اقروا بذلك وشهدوا باستحقاقهم العقاب ذلك حكم الله تعالى اى لم يكن ربك اى لانه لم يكن ربك مهلك القرى بظلم واهلها غافلون وهذا يجرى مجرى التعليل اى الاجل انه لم يكن الله سبحانه ليهلك اهل القرى بظلم يكون منهم حتى يبعث اليهم رسلا ينبهونهم على حجج الله ويزجرونهم ويذكرونهم ولا يؤاخذهم بغتة وهذا انما يكون منه سبحانه على وجه الاستظهار في الحجة دون ان يكون ذلك واجبا لان ما فعلوه من الظلم قد استحقوا به العقاب وقيل معناه انه سبحانه لا يهلكهم بظلم منه على غفلة منهم من غير تنبيه وتذكير عن الفراء والجبائي ومثله قوله وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون وفي هذا دلالة واضحة على انه سبحانه منزه عن الظلم ولو كان الظلم من خلقه لما صح تنزهه سبحانه عنه ولكل اي ولكل عامل بطاعة او معصية درجات مما عملوا اي مراتب في عمله على حسب ما يستحقه فيجازى عليه ان كان خيرا فخير وان كان شرا فشر وانما سميت درجات لتفاضلها كتفاضل الدرج في الارتفاع والانحطاط وانما يعبر عن تفاضل اهل الجنة بالدرج وعن تفاضل اهل النار بالدرك الا انه لما جمع بينهم عبر عن تفاضلهم بالدرج تغليبا لصفة اهل الجنة وما ربك يا محمد او ايها السامع بغافل اي ساه عما يعملون اى لا يشذ شيء من ذلك عن علمه فيجازيهم على حسب ما يستحقونه من الجزاء وفي هذا تنبيه وتذكير للخلق في كل امورهم

قوله تعالى وربك الغني ذو الرحمة ان يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء كما انشأكم من ذرية قوم آخرين ان ما توعدون لآت وما انتم بمعجزين قل يا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون ثلث آيات القراءة قرأ ابو بكر عن عاصم مكاناتكم على الجمع والباقون مكانتكم على التوحيد وقرأ حمزة والكسائي من يكون بالياء والباقون بالتاء الحجة وجه قراءة مكانتكم على التوحيد انه مصدر والمصادر في اكثر الامر مفردة ووجه الجمع انه قد يجمع المصدر كقولهم الحلوم والاحلام قال فاما اذا جلسوا في الندى فاحلام عاد وايدى هضم ومن قرأ من يكون بالياء فلان العاقبة مصدر كالعافية وتانيثه غير حقيقي فمن انث فهو كقوله فاخذتهم الصيحة ومن ذكر فكقوله واخذ الذين ظلموا الصيحة وكلا الامرين جاء اللغة الانشاء الابتداء انشاء الله الخلق اذا خلقهم وابتداهم ومنه قولهم انشأ فلان قصيدة والنشأ الاحداث من الاولاد قال نصيب ولولا ان يقال صبا نصيب لقلت بنفسي النشأ الصغار وتوعدون من الايعاد ويحتمل ان يكون من الوعد والوعد في الخير والايعاد في الشر وقال ابو زيد المكانة المنزلة يقال رجل مكين عند السلطان من قوم مكناء وقد مكن مكانة الاعراب الكاف في قوله كما انشأكم في موضع نصب اى مثل ما انشأكم ومن في قوله ويستخلف من بعدكم للبدل كقولهم اعطيت من دينارك ثوبا اى مكان دينارك وبدله ومن في قوله من ذرية قوم آخرين لابتداء الغاية وما في قوله ان ما توعدون بمعنى الذي ومن في قوله من تكون له عاقبة الدار في موضع رفع بالابتداء وخبره تكون له عاقبة الدار وتقديره اينا تكون له عاقبة الدار ويكون تعليقا ويحتمل ان يكون موضعه نصبا بتعلمون ويكون في معنى الذي المعنى لما امر سبحانه بطاعته وحث عليها ورغب فيها بين انه لم يأمر بها لحاجة لانه يتعالى عن النفع والضر فقال وربك اى خالقك وسيدك الغني عن اعمال عباده لا ينفعه طاعتهم ولا يضره معصيتهم لان الغني عن الشيء هو الذي يكون وجود الشيء وعدمه وصحته وفساده عنده بمنزلة ذو الرحمة اى صاحب النعمة على عباده بين سبحانه انه مع غناه عن عباده ينعم عليهم وان انعامه وان كثر لا ينقص من ملكه ولا من غناه ثم اخبر سبحانه عن قدرته فقال ان يشأ يذهبكم اى يهلككم وتقديره يذهبكم بالاهلاك ويستخلف من بعدكم ما يشاء اى وينشئ بعد هلاككم

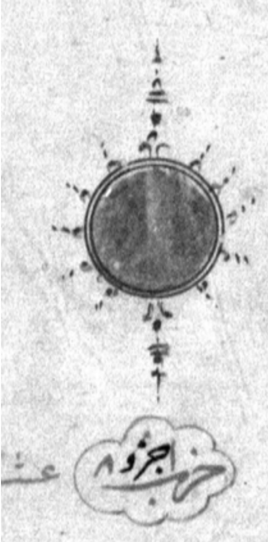
خلقا

خلقا غيركم يكونون خلفاء لكم كما انشأكم في الاول من ذرية قوم آخرين تقدموكم وهذا خطاب لمن سبق ذكرهم من الجن والانس ويحتمل
ان يكون معناه ويستخلف جنسا اخر كما قدر على اخراج الجن من الجن والانس من الانس فهو قادر على اخراج قوم اخر لا من الجن ولا من
الانس وفي هذه الاية دلالة على ان خلاف المعلوم يجوز ان يكون مقدورا لانه سبحانه بين انه قادر على ان ينشئ خلقا خلاف الجن
والانس ولم يفعل ذلك انما ما توعدون من القيمة والحساب والجنة والنار والثواب والعقاب وتفاوت اهل الجنة في الدرجات
وتفاوت اهل النار في الدركات لآت لا محالة وما انتم بمعجزين بفائتين وقيل بسابقين وقيل بخارجين من ملكه وقدرته و
الاعجاز ان ياتي الانسان بشئ يعجز خصمه عنه ويقصر دونه فيكون قد جعله عاجزا عنه فعلى هذا يكون المعنى لستم بمعجزين الله
سبحانه عن الاتيان بالبعث والعقاب قل يا محمد لهم يا قوم اعملوا على مكانتكم على قدر منزلتكم وتمكنكم من الدنيا ومعناه اثبتوا على
ما انتم عليه من الكفر وهذا تهديد ووعيد بصيغة الامر وقيل على مكانتكم على طريقتكم وقيل على حالتكم عن الجبائي اي اقيموا على
حالتكم التي انتم عليها فاني مجازيكم اني عامل اخباركم عن النبي صلى الله عليه وآله اي عامل بما امرني الله تعالى به وقيل اخبار عن الله تعالى
اي عامل ما وعدتكم به من البعث والجزاء عن ابي مسلم والاول الصحيح فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار فستعلمون اينا تكون له
العاقبة المحمودة في دار السلم عند الله وقيل المراد عاقبة دار الدنيا في النصر عليكم انه لا يفلح الظالمون اي لا يظفر الظالمون بمطلوبهم وانما
لم يقل الكافرون وان كان الكلام في ذكرهم لانه سبحانه قال في موضع اخر والكافرون هم الظالمون وقال ان الشرك لظلم عظيم
قوله تعالى وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل
الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء ما يحكمون آية القراءة قرا الكسائي بزعمهم بضم الزاء وهو قراءة يحيى بن وثاب
والاعمش وقرا الباقون بفتح الزاء الحجة القول فيه انهما لغتان وقيل ان الكسر ايضا لغة ومثله الفَتك والفُتك والفِتك
والوَد والوُد والوِد اللغة الذرء الخلق على وجه الاختراع واصله الظهور ومنه ملح ذرآني لظهور بياضه والذرأة ظهور
الشيب قال وقد علتني ذرأة بادي بدي وذرئت لحيته اذا شابت والحرث الزرع والحرث الارض التي تثار للزرع والانعام جمع
النعم ماخوذ من نعمة الوطئ ولا يقال لذوات الحافر انعام المعنى ثم عاد الكلام الى حجاج المشركين وبيان اعتقاداتهم الفاسدة
فقال سبحانه وجعلوا لله يعني كفار مكة ومن تقدمهم من المشركين والجعل ههنا الوصف والحكم مما ذرأ من الحرث اي مما خلق من الزرع
والانعام اي المواشي من الابل والبقر والغنم نصيبا اي حظا وههنا حذف يدل الكلام عليه وهو وجعلوا للاوثان منه نصيبا فقالوا
هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا يعني الاوثان وانما جعل الاوثان شركاءهم لانهم جعلوا لها نصيبا من اموالهم ينفقونه عليها فشاركوها
في نعمهم فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم قيل في معناه اقوال احدها انهم كانوا يزرعون لله زرعا
وللاصنام زرعا فكان اذا زكا الزرع الذي زرعوه لله ولم يزك الزرع الذي زرعوه للاصنام جعلوا بعضه للاصنام وصرفوه اليها
ويقولون ان الله غني والاصنام احوج وان زكا الزرع الذي جعلوه للاصنام ولم يزك الزرع الذي زرعوه لله لم يجعلوا منه شيئا لله
تعالى وقالوا هو غني وكانوا يقسمون النعم فيجعلون بعضه لله وبعضه للاصنام فما كان لله اطعموه الضيفان وما كان للصنم انفق
على الصنم عن الزجاج وغيره وثانيها انه كان اذا اختلط ما جعل للاصنام بما جعل لله تعالى ردوه واذا اختلط ما جعل لله بما جعلوه
للاصنام تركوه وقالوا الله اغنى واذا تخرق الماء من الذي لله في الذي للاصنام لم يسدوه واذا تخرق من الذي للاصنام في الذي لله
سدوه وقالوا الله اغنى عن ابن عباس وقتادة وهو المروي عن ائمتنا عليهم السلم وثالثها انه كان اذا هلك ما جعل للاصنام بدلوه مما
جعل لله واذا هلك ما جعل لله لم يبدلوه مما جعل للاصنام عن الحسن والسدي ساء ما يحكمون اي ساء الحكم حكمهم هذا قوله تعالى
وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون
آية القراءة قرا ابن عامر وحده زين بضم الزاء قتل بالرفع اولادهم بالنصب شركائهم بالجر والباقون زين بالفتح قتل بالنصب اولادهم
بالجر شركاؤهم بالرفع الحجة شركاؤهم في قراءة الاكثرين فاعل زين وقتل اولادهم مفعوله ولا يجوز ان يكون شركاء فاعل المصدر الذي
هو قتل اولادهم لان زين حينئذ يبقى بلا فاعل ولان الشركاء ليسوا قاتلين انما هم مزينون القتل لهم واضيف المصدر الذي هو القتل

الى المفعولين الذين هم الاولاد وحذف الفاعل وتقديره قتلهم اولادهم كما حذف ضمير الانسان في قوله لا يسأم الانسان من دعاء الخير
والمعنى من دعائه الخير واما قراءة ابن عامر وكذلك زين فانه اسند زين الى قتل واعمل المصدر عمل الفعل واضافه الى الفاعل ونظير ذلك قوله
ولولا دفاع الله الناس بعضهم ببعض فاسم الله هنا فاعل كما ان الشركاء فاعلون والمصدر مضاف الى الشركاء الذين هم فاعلون والمعنى
قتل شركائهم اولادهم وتقديره ان قتل شركاؤهم اولادهم وفصل بين المضاف والمضاف اليه بمفعول به والمفعول مفعول المصدر وهذا
قبيح في الاستعمال قال ابو علي ووجه ذلك على ضعفه انه قد جاء في الشعر الفصل قال الطرماح يطفن بجوزي المراتع لم يرع بواديه من قرع القسي
الكنائن وزعموا ان ابا الحسن انشد زج القلوص ابي مزاده فهو شاذ مثل قراءة ابن عامر وذكر سيبويه في هذه الآية قراءة اخرى وهي قوله و
كذلك زين قتل من زينه فقال زينه شركاؤهم ومثل ذلك قوله ليبك يزيد ضارع لخصومة ومختبط مما تطيح الطوائح كانه لما قال ليبك يزيد
قيل من يبكيه فقال يبكيه ضارع اللغة الارداء الاهلاك وردي يردي اذا هلك وتردى تردياً والمرداة الحجر يتردى من راس جبل المعنى
ثم بين سبحانه خصلة اخرى من خصالهم الذميمة فقال وكذلك اي كما جعل اولئك في الحرث والانعام ما لا يجوز كذلك زين لكثير
من المشركين اي مشركي العرب قتل اولادهم شركاؤهم يعني الشياطين الذين زينوا لهم قتل البنات ووأدهن احياء خيفة العيلة والفقر
والعار عن الحسن ومجاهد والسدي وقيل ان المزينين لهم ذلك قوم كانوا يخدمون الاوثان عن الفراء والزجاج وقيل هم الغواة من الناس
وقيل كان السبب في تزيين قتل البنات ان النعمن بن المنذر اغار على قوم فسبى نساءهم وكان فيهن بنت قيس بن عاصم ثم اصطلحوا فارادت
كل امراة منهن عشيرتها غير ابنة قيس فانها ارادت من سباها فحلف قيس لا يولد له بنت الا وأدها فصار ذلك سنة فيما بينهم ليردوهم اي
ليهلكوهم واللام لام العاقبة لانهم لم يكونوا معاندين لهم فيقصدوا الى ان يردوهم عن ابي علي الجبائي وقال غيره يجوز ان يكون فيهم المعاند فيكون
ذلك على التغليب وليلبسوا عليهم دينهم اي يخلطوا عليهم دينهم ويدخلوا عليهم الشبهات فيه ولو شاء الله ما فعلوه معناه ولو شاء الله ان يمنعهم
من ذلك او يضطرهم الى ترك الفعل ولو فعل المنع والحيلولة لما فعلوه ولكن كان يكون ذلك منافيا للتكليف فذرهم وما يفترون اي اتركهم
ودعهم وافتراءهم اي كذبهم على الله تعالى فانه يجازيهم وفي هذا غاية الزجر والتهديد كما يقول القائل دعه وما اختاره وفي هذه الآية
دلالة واضحة على ان تزيين القتل والقتل فعلهم وانهم في اضافة ذلك الى الله سبحانه كاذبون قوله تعالى وَقَالُوا هٰذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ
حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللّٰهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ آية
القراءة قرئ في الشواذ حرج روي ذلك عن ابي بن كعب وابن مسعود وابن الزبير والاعمش وعكرمة وعمرو بن دينار الحجة الحرج يمكن ان
يؤول معناه الى الحجر فانهما يرجعان في الاصل الى معنى الضيق فان الحرام سمي حجرا لضيقه والحرج ايضا الضيق فعلى هذا يكون لغة في حجر
مثل جذب وجبذ فهو من المقلوب اللغة الحجر الحرام والحجر العقل وفلان في حجر القاضي من حجرت حجرا اي منع [illegible] من الحكم
في ماله وحجر المرأة وحجرها بالفتح والكسر حضنها الاعراب افتراء منصوب بقوله لا يذكرون وهو مفعول له ويجوز ان يكون لا يذكرون بمعنى
يفترون فكانه قال يفترون افتراء المعنى ثم حكى سبحانه عنهم عقيدة اخرى من عقائدهم الفاسدة فقال وقالوا يعني المشركين هذه انعام
اي مواش وهي الابل والبقر والغنم وحرث زرع حجر اي حرام عنى بذلك الانعام والزرع اللذين جعلوهما لآلهتهم واوثانهم لا يطعمها الا من
نشاء بزعمهم اي لا ياكلها الا من نشاء ان ناذن له في اكلها واعلم سبحانه ان هذا التحريم زعم منهم لا حجة لهم فيه ولا برهان لا يحلون
ذلك الا لمن قام بخدمة اصنامهم من الرجال دون النساء وانعام حرمت ظهورها يعني الانعام التي حرموا الركوب عليها وهي السائبة
والبحيرة والحامي عن الحسن ومجاهد وقيل هي الحامي الذي حمى ظهره اذا ركب ولد ولده عندهم فلا يركب ولا يحمل عليه وانعام لا يذكرون اسم الله
عليها قيل كانت لهم من انعامهم طائفة لا يذكرون اسم الله عليها ولا في شيء من شأنها عن مجاهد وقيل انهم كانوا لا يحجون عليها عن ابي وائل
وقيل هي التي اذا ذكوها اهلوا عليها باصنامهم فلا يذكرون اسم الله عليها عن الضحاك افتراء عليه اي كذبا على الله لانهم كانوا يقولون ان
الله امرهم بذلك وكانوا كاذبين به عليه سيجزيهم سبحانه بما كانوا يفترون ظاهر المعنى قوله تعالى وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هٰذِهِ
الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ آية القراءة
قرأ ابن كثير وان يكن بالياء ميتة رفع وقرأ ابن عامر وابو جعفر تكن بالتاء ميتة رفع وقرأ ابو بكر عن عاصم تكن بالتاء ميتة نصب الباقون يكن

بالياء

بالياء ميتة نصب وفي الشواذ قراءة ابن عباس بخلاف وقتادة والاعرج خالصة بالنصب وقراءة سعيد بن جبير خالصا وقراءة بن عباس
بخلاف والزهري والاعمش خالص بالرفع وقراءة بن عباس وابن مسعود والاعمش بخلاف خالصه مرفوع مضاف الحجة وجه قراءة
الاكثر ان يحمل على ما فيكون تقديره ان يكون ما في بطون الانعام ميتة ووجه قراءة ابن كثير انه لما لم يكن تانيث الميتة تانيث ذوات الفروج
جاز تذكير الفعل كقوله فمن جاءه موعظه ويكون كان تامة وتقديره ان وقع ميتة ومن انث الفعل فكقوله سبحانه قد جاءتكم موعظة ووجه
قراءة ابي بكر ان ما في بطون الانعام من الانعام فلذلك انثها واما خالصة بالرفع على القراءة المشهورة فتقديره ما في بطون الانعام خالصة
لنا اي خالص فانث للمبالغة في الخلوص كما يقال فلان خالصة فلان اي صفيه والمبالغ في الصفاء الثقه والتاء فيه للمبالغة وليكون
ايضا بلفظ المصدر نحو العاقبة والعافيه والمصدر الى الجنسية فيكون اعم واوكد ويدل على ذلك قراءة من قرا خالص واما من نصب
خالصة وخالصا ففيه وجهان احدهما ان يكون حالا من الضمير في الظرف الذي جرى صلة على ما فيكون كقولهم الذي في الدار قايما زيد
ويكون قوله لذكورنا خبر المبتداء الموصول والاخر ان يكون حالا من ما على مذهب ابي الحسن في اجازته تقديم الحال على العامل فيها اذا كان
معنى بعد ان يتقدم صاحب الحال عليها كقولنا زيد قايما في الدار واحتج بقوله سبحانه والارض جميعا قبضته يوم القيمة المعنى ثم حكى الله
سبحانه عنهم مقالة اخرى فقال وقالوا يعني هؤلاء الكفار الذين تقدم ذكرهم ما في بطون هذه الانعام يعني البان البحاير والسيب عن ابن
عباس والشعبي وقتاده وقيل يعني اجنة البحاير والسيب ما ولد منها حيا فهو خالص للذكور دون النساء وما ولد ميتا اكله الرجال والنساء
عن مجاهد والسدي وقيل المراد به كليهما خالصة لذكورنا لا يشركهم فيها احد من الاناث من قولهم فلان يخلص العمل لله ومن اخلاص
التوحيد وسمي الذكور من الذكر الذي هو الشرف والذكر اشرف من الانثى ومحرم على ازواجنا اي نسائنا وان يكن ميتة معناه ان يكن
جنين الانعام ميتة فهم فيه شركاء اي الذكور والاناث فيه سواء ثم قال سبحانه سيجزيهم وصفهم اي سيجزيهم العقاب بوصفهم فلما اسقط
الباء نصب وصفهم وقيل تقديره سيجزيهم جزاء وصفهم فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه عن الزجاج انه حكيم فيما يفعل بهم من
العقاب اجلا وفي امهالهم عاجلا عليم بما يفعلونه لا يخفى عليه شيء منها وقد عاب الله سبحانه الكفار في هذه الاية من وجوه اربعة احدها
ذبحهم الانعام بغير اذن الله وثانيها اكلهم على ادعاء التذكير افتراء على الله وثالثها تحليلهم للذكور وتحريمهم على الاناث تفرقة بين ما لا
يفترق الا بحكم الله ورابعها تسويتهم بينهم في الميتة من غير رجوع الى سمع موثوق به قوله تعالى قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها
بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين ◉ آية القراءة قرا ابن كثير وابن عامر قتلوا بتشديد التاء
والباقون بالتخفيف الحجة التشديد للتكثير والتخفيف يدل على القلة والكثرة وقد تقدم بيان ذلك الاعراب قوله سفها وافتراء نصب
على الوجهين اللذين ذكرناهما في قوله افتراء عليه المعنى ثم جمع سبحانه بين الفريقين الذين قتلوا الاولاد والذين حرموا الحلال فقال قد
خسر الذين قتلوا اولادهم خوفا من الفقر وهربا من العار ومعناه هلكت نفوسهم باستحقاقهم على ذلك عقاب الابد والخسران هلاك
راس المال سفها اي جهلا وتقديره سفهوا بما فعلوه سفها والفرق بين السفه والنزق ان السفه عجلة يدعو اليها الهوى والنزق عجلة من جهة
حدة الطبع والغيظ بغير علم وهذا تاكيد لجهلهم وذهابهم عن الصواب وحرموا ما رزقهم الله يعني الانعام والحرث الذين زعموا انهما
حجر ... واعترض علي بن عيسى على هذا فقال الانعام كانت محرمة حتى ورد السمع فما قاله غير صحيح وهذا الاعتراض يفسد من حيث
ان الركوب لا يحتاج الى السمع وان احتاج الذبح اليه لان الركوب مباح اذا قام بمصالحها ولان اكلها ايضا بعد الذبح مباح اذا
قام بمصالحها ولان اكلها ايضا بعد الذبح مباح افتراء اي كذبا على الله سبحانه قد ضلوا اي ذهبوا عن طريق الحق بما فعلوه وحكموا بحكم
الشيطان فيما حكموا فيه وما كانوا مهتدين الى شيء من الدين والخير والرشاد وفي هذه الايات دلالات على بطلان مذهب المجبرة لانه
سبحانه اضاف القتل والافتراء والتحريم اليهم ونزه نفسه عن ذلك وذمهم على قتل الاطفال بغير جرم فكيف يعاقبهم سبحانه عقاب الابد
على غير جرم قوله تعالى وهو الذي انشا جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا اكله والزيتون والرمان
متشابها وغير متشابه كلوا من ثمره اذا اثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين ◉
آية القراءة قرا اهل البصرة والشام وعاصم حصاده بالفتح والباقون حصاده بالكسر الحجة هما لغتان قال سيبويه جاءوا بالمصادر



حزب جزو ٨

متشابها وغير

حين ارادوا انتهاء الزمان على مثال فعال وذلك الصرام والجداد والجرام والجزاز والقطاع والحصاد وربما دخلت اللغتان في بعض هذا
فكان فيه فعال وفعال اللغة الانشاء احداث الفعل ابتداء لا على مثال سبق وهو كالابتداع والاختراع هو احداث الافعال في الغير
من غير سبب والخلق هو التقدير والترتيب والجنات البساتين التي تجنها الشجر من النخل وغيره والروضة هي الخضراء بالنبات والزهر المشرق
باختلاف الالوان لحسنه والعرش اصله الرفع ومنه سمي السرير عرشا لارتفاعه والعرش السقف والملك وعرش الكرم رفع بعض اغصانها
على بعض والعريش شبه الهودج يتخذ للمراة والاسراف مجاوزة الحد وقد يكون بالمجاوزة الى الزيادة وقد يكون بالتقصير وهو ان
يجاوز حد الحق والعدل قال الشاعر اعطوا هنيدة يحدوها ثمانية ما في عطائهم من ولا سرف اي ولا تقصير وقيل معناه ولا افراط
الاعراب مختلفا اكله نصب على الحال من انشا وانما انتصب على الحال وان كان يوكل بعد ذلك بزمان لامرين احدهما ان المعنى مقدرا
اختلاف اكله كما في قوله مررت برجل معه صقر صائدا به غدا اي مقدرا الصيد به غدا والثاني ان يكون معه اكله ثمره الذي يصلح
ان يوكل منه المعنى لما حكى سبحانه عن المشركين انهم جعلوا بعض الاشياء للاوثان عقب ذلك البيان بانه الخالق لجميع الاشياء
فلا يجوز اضافة شيء منها الى الاوثان ولا تحليل ذلك ولا تحريمه الا باذنه فقال وهو الذي انشا اي خلق وابتدا لا على مثال جنات
اي بساتين فيها الاشجار المختلفة معروشات مرفوعات بالدعائم قيل هو ما عرشه الناس من الكروم ونحوها عن ابن عباس والسدي
وقيل عرشها ان يجعل لها حظائر كالحيطان عن ابي علي قال واصله الرفع ومنه قوله خاوية على عروشها يعني على اعاليها وما ارتفع
منها لم تندك فتستوي الارض وغير معروشات يعني ما خرج من قبل نفسه في البراري والجبال من انواع الاشجار عن ابن عباس وقيل
معناه غير مرفوعات بل قائمة على اصولها مستغنية عن التعريش عن ابي مسلم والنخل والزرع اي وانشا النخل والزرع مختلفا اكله اي
طعمه وقيل ثمره وقيل هذا وصف للنخل والزرع جميعا خلق سبحانه بعضها مختلف اللون والطعم والرائحة والصورة وبعضها مختلفا
في الصورة متفقا في الطعم وبعضها مختلفا في الطعم متفقا في الصورة وكل ذلك يدل على توحيده وعلى انه قادر على ما يشاء عالم بكل شيء و
الزيتون والرمان اي وانشا الزيتون والرمان متشابها في الطعم واللون والصورة وغير متشابه وانما قرن الزيتون الى الرمان لانهما يشتبهان
باكتناز الاوراق في اغصانها كلوا من ثمره المراد به الاباحة وان كان بلفظ الامر قال الجبائي وجماعة هذا يدل على جواز الاكل من الثمر وان
كان فيه حق الفقراء واتوا حقه يوم حصاده هذا امر بايتاء الحق يوم الحصاد على الجملة والحق الذي يجب اخراجه يوم الحصاد فيه قولان
احدهما انه الزكوة العشر او نصف العشر عن ابن عباس ومحمد بن الحنفية وزيد بن اسلم والحسن وسعيد بن المسيب وقتادة والضحاك وطاوس
والثاني انه ما تيسر مما يعطى المساكين عن جعفر بن محمد عن ابيه عليهما السلم وعطاء ومجاهد وابن عمر وسعيد بن جبير والربيع بن انس وروى
اصحابنا انه الضغث بعد الضغث والحفنة بعد الحفنة وقال ابراهيم والسدي الاية منسوخة بفرض العشر لان هذه الاية مكية وفرض
الزكوة انما نزل بالمدينة ولما روي ان الزكوة نسخ كل صدقة قالوا ولان الزكوة لا تخرج يوم الحصاد قال علي بن عيسى وهذا غلط لان يوم حصاده
ظرف لحقه وليس بظرف للايتاء المامور به ولا تسرفوا اي لا تجاوزوا الحد وفيه اقوال احدها انه خطاب لارباب الاموال اي لا تسرفوا بان
تتصدقوا بالجميع ولا تبقوا للعيال شيئا كما فعل ثابت بن قيس بن شماس فانه صرم خمسين نخلا وتصدق بالجميع ولم يدخل منه شيئا في داره
لاهله عن ابي العالية وابن جريج وثانيها ان معناه لا تقصروا بان تمنعوا بعض الواجب والتقصير سرف عن سعيد بن المسيب وثالثها ان المعنى
لا تسرفوا في الاكل قبل الحصاد كيلا يودي الى بخس حق الفقراء عن ابي مسلم ورابعها ان معناه لا تنفقوه في المعصية ولا تضعوه في غير موضعه
وفي جميع هذه الاقوال الخطاب لارباب الاموال وخامسها ان الخطاب للائمة ومعناه لا تاخذوا مما يجحف بارباب الاموال ولا تاخذوا
فوق الحق عن ابن زيد وسادسها ان الخطاب للجميع بان لا يسرف رب المال في الاعطاء ولا الامام في الاخذ وصرف ذلك الى غير مصارفه
وهذا اعم فائدة انه لا يحب المسرفين ظاهر المعنى قوله تعالى وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا
خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ
أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ
الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ

بغير علم ان الله لا يهدي القوم الظالمين ثلث آيات القراءة قرا ابن كثير الا ابن فليح وابن عامر واهل البصرة من المعز بفتح العين
والباقون بسكونها الحجة قال ابو علي من قرا المعز فانه جمع ماعز مثل خادم وخدم وحارس وحرس وطالب وطلب وقال ابو الحسن هو
جمع على غير واحدة وكذلك المعزى وحكى ابو زيد الامعوز وقال المعيز كالكليب والضئين ومن قرا المعز فانه جمع ايضا مثل صاحب وصحب
وتاجر وتجر وراكب وركب وابو الحسن يرى هذا الجمع مستمرا ويرده في التصغير الى الواحد فيقول في تحقير ركب رويكبون وفي تجر تويجرون
وسيبويه يراه اسما من اسماء الجموع وانشد ابو عثمان في الاحتجاج لسيبويه اخشى ركيبا او رجيلا عاديا فتحقيره له على لفظه يدل على انه اسم
للجمع وانشد وابن ركيب واضعون رحالهم اللغة الحمولة الابل يحمل عليها الاثقال ولا واحد لها من لفظها كالركوبة والجزورة والحمولة
بضم الحاء هي الاحمال وهي الحمول ايضا وانما قيل للصغار فرش لامرين احدهما لاستواء اسنانها في الصغر والانحطاط كاستواء ما يفرش
والثاني انه من الفرش وهي الارض المستوية التي يتوطاها الناس والزوج يقع على الواحد الذي يكون معه اخر وعلى الاثنين كما يقال
[illegible] والاثنين خصم وعدل والاشتمال اصله الشمول يقال شملهم الامر يشملهم وشملهم يشملهم شمولا اذا عمهم ومنه الشمال لشمولها
على ظاهر الشيء وباطنه بقوتها ولفظها ومن ذلك الشمول للخمر لاشتمالها على العقل وقيل لانها عصفة كعصفة الشمال الاعراب
حمولة عطف على جنات اي وانشا من الانعام حمولة واثنين محمول على انشا ايضا اي ثمانية ازواج اثنين من كذا واثنين من كذا فثمانية
ازواج بدل من حمولة وفرشا واثنين من كذا واثنين من كذا من ثمانية او عطف بيان وقوله الذكرين حرم دخلت همزة الاستفهام على
همزة الوصل وفصل بينهما بالالف ولم يسقط همزة الوصل لئلا يلتبس الاستفهام بالخبر ولو اسقطت لجاز لان ام تدل على الاستفهام
وعلى هذا اجاز سيبويه ان يكون قول الشاعر فوالله ما ادري وان كنت داريا بشعيث بن سهم ام شعيث بن منقر استفهاما فيكون
تقديره اشعيث وما في قوله ام ما اشتملت في موضع نصب بكونه عطفا على الانثيين وانما قال الانثيين فثنى لانه اراد من الضان
والمعز المعنى ثم عطف سبحانه على ما عدده فيما تقدم من عظيم الانعام ببيان نعمته في انشاء الانعام فقال ومن الانعام اي وانشا من
الانعام حمولة وفرشا قد قيل فيه اقوال احدها ان الحمولة كبار الابل والفرش صغارها عن ابن مسعود وابن عباس بخلاف والحسن بخلاف
ومجاهد وثانيها ان الحمولة ما يحمل عليه من الابل والبقر والفرش الغنم عن الحسن في رواية اخرى وقتادة والربيع والسدي والضحاك وابن
زيد وثالثها ان الحمولة كل ما حمل من الابل والبقر والخيل والبغال والحمير والفرش الغنم عن ابن عباس في رواية اخرى فكانه ذهب الى انه
يدخل في الانعام الحافر على وجه التبع ورابعها ان معناه ما ينتفعون به في الحمل وما يفترشونه في الذبح فمعنى الافتراش الاضطجاع للذبح عن
ابي مسلم قال وهو كقوله فاذا وجبت جنوبها وروي عن الربيع بن انس ايضا ان الفرش ما يفرش للذبح ايضا وخامسها ان الفرش ما يفرش
من اصوافها واوبارها ويرجع الصفتان الى الانعام اي من الانعام ما يحمل عليه ومنها ما يتخذ من اوبارها واصوافها ما يفرش ويبسط
عن ابي علي الجبائي كلوا مما رزقكم الله اي استحلوا الاكل مما اعطاكم الله ولا تحرموا شيئا منها كما فعله اهل الجاهلية في الحرث والانعام وعلى هذا
يكون الامر على ظاهره ويمكن ان يكون اراد نفس الاكل فيكون بمعنى الاباحة ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين مضى تفسيره
في سورة البقرة ثم فسر سبحانه الحمولة والفرش فقال ثمانية ازواج وتقديره وانشا ثمانية ازواج انشا من الضان اثنين ومن المعز
اثنين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين وانما اجمل ثم فصل الجمل لانه اراد ان يقرر على شيء منه ليكون اشد في التوبيخ من ان تذكر ذلك
دفعة واحدة ومعناه ثمانية ازواج لان كل واحد من ذلك سمي زوجا فالذكر زوج الانثى والانثى زوج الذكر كما قال سبحانه امسك
عليك زوجك ومعناه ثمانية اصناف من الضان اثنين يعني الذكر والانثى ومن المعز اثنين الذكر والانثى والضان ذوات الصوف
من الغنم والمعز ذوات الشعر منه وواحد الضان ضائن كقولهم تاجر وتجر والانثى ضائنة وواحد المعز ماعز وقيل ان المراد بالاثنين الاهلي
والوحشي من الضان والمعز والبقر والمراد بالاثنين من الابل العراب والبخاتي وهو المروي عن ابي عبد الله عليه السلم وانما خص هذه الثمانية
لانها جميع الانعام التي كانوا يحرمون منها ما يحرمونه على ما تقدم ذكره قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يحرمون ما احل الله تعالى الذكرين
من الضان والمعز حرم الله ام الانثيين منهما اما اشتملت عليه ارحام الانثيين اي ام حرم ما اشتمل رحم الانثى من الضان والانثى من
المعز وانما ذكر الله سبحانه هذا على وجه الاحتجاج عليهم بين به فريتهم وكذبهم على الله تعالى فيما ادعوا من ان ما في بطون الانعام حلال

للذكور وحرام على الاناث وغير ذلك مما حرموه فانهم لو قالوا حرم الذكرين لزمهم ان يكون كل انثى حلالا ولو قالوا حرم ما اشتمل عليه رحم
الانثى من الضان والمعز لزمهم تحريم الذكور والاناث فان ارحام الاناث تشتمل على الذكور والاناث فيلزمهم بزعمهم تحريم هذا
الجنس صغارا وكبارا وذكورا واناثا ولم يكونوا يفعلون ذلك بل كانوا يخصون بالتحريم بعضا دون بعض فقد لزمهم الحجة ثم قال نبئوني
بعلم ان كنتم صادقين معناه اخبروني بعلم عما ذكرتموه من تحريم ما حرمتموه وتحليل ما حللتموه ان كنتم صادقين في ذلك ومن الابل
اثنين ومن البقر اثنين هذا تفصيل لتمام الازواج الثمانية قل يا محمد الذكرين حرم الله منهما ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام
الانثيين قد تقدم معناه ام كنتم شهداء اي حضورا اذ وصيكم الله بهذا اي امركم به وحرمه عليكم حتى تضيفوه اليه وانما ذكر ذلك لانه
طرق العلم اما الدليل الذي يشترك العقلاء في ادراك الحق به او المشاهدة التي تختص بها بعضهم دون بعض فاذا لم يكن واحد من
الامرين سقط المذهب والمراد بذلك اعلمتموه بالسمع والكتب المنزلة وانتم لا تقرون بذلك ام شافهكم الله تعالى به فعلمتموه واذا
لم يكن واحد منهما فقد علم بطلان ما ذهبتم اليه فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا اي من اظلم لنفسه ممن كذب على الله واضاف اليه تحريم
ما لم يحرمه وتحليل ما لم يحلله ليضل الناس بغير علم اي يعمل عمل القاصد الى اضلالهم من اجل دعائه اياهم الى ما لا يثق بصحته لانه لا يأمن
ان يكون فيه هلاكهم وان لم يقصد اضلالهم ان الله لا يهدي القوم الظالمين الى الثواب لانهم يستحقون العقاب الدائم بكفرهم وضلالهم
قوله تعالى قُلْ لَا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ
رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ آية القراءة قرا ابن كثير وحمزة
تكون بالتاء ميتة نصب وقرا ابو جعفر وابن عامر تكون بالتاء ميتة بالرفع والباقون يكون بالياء ونصب ميتة وكلهم خففوا ميتة غير ابي جعفر
فانه شددها الحجة قال ابو علي قراءة ابن كثير وحمزة محمولة على المعنى كانه قال الا ان تكون العين او النفس ميتة الا ترى ان المحرم
لا يخلو من جواز العبارة عنه باحد هذه الاشياء وليس قوله الا ان يكون كقولك جاءني القوم لا يكون زيدا وليس زيدا في ان
الضمير الذي يتضمنه من الاستثناء لا يظهر ولا يدخل الفعل علامة التانيث لان الفعل انما يكون عاريا من علامة التانيث ومن ان يظهر
معه الضمير اذا لم يدخل عليه ان فاما اذا دخله ان فعلى حكم ساير الافعال ومن قرا بالياء ونصب ميتة فانه جعل فيه ضميرا لما تقدم وهو
اقيس مما تقدم ذكره اي الا ان يكون الموجود ميتة ومن قرا الا ان تكون ميتة فالحق علامة التانيث الفعل كما الحق في قوله قد جاءتكم
موعظة وتقديره الا ان تقع ميتة المعنى لما قدم سبحانه ذكر ما حرمه المشركون عقبه ببيان المحرمات فقال قل يا محمد لهؤلاء الكفار
لا اجد فيما اوحي اي اوجبه الله تعالى الي شيئا محرما على طاعم يطعمه اي على اكل ياكله الا ان يكون ميتة او دما مسفوحا اي مصبوبا وانما
خص المصبوب بالذكر لان ما يختلط باللحم منه مما لا يمكن تخليصه منه معفو مباح او لحم خنزير انما خص الاشياء [illegible] هنا بذكر
التحريم مع ان غيرها محرم فانه سبحانه ذكر في المائدة تحريم المنخنقة والموقوذة والمتردية وغيرها لان جميع ذلك يقع عليه اسم الميتة
فيكون في حكمها فاجمل ههنا وفصل هناك واجود من هذا ان يقال انه سبحانه خص هذه الاشياء بالتحريم تعظيما لحرمتها وبين تحريم ما
عداها في مواضع اخر اما بنص القرآن واما بوحي غير القرآن وايضا فان هذه السورة مكية والمائدة مدنية فيجوز ان يكون غير ما في الاية من المحرمات
انما حرم فيما بعد والميتة عبارة عما كان فيه حيوة فقدت من غير تذكية شرعية فانه رجس اي نجس والرجس اسم لكل شيء مستقذر منفور
عنه والرجس ايضا العذاب والهاء في قوله فانه عائد الى ما تقدم ذكره فلذلك ذكره او فسقا عطفه على قوله او لحم خنزير فلذلك نصبه
اهل لغير الله به اي ذكر عليه اسم الاصنام والاوثان ولم يذكر اسم الله عليه وسمى ما ذكر عليه اسم الصنم فسقا لخروجه عن امر الله واصل
الاهلال رفع الصوت بالشيء وقد ذكرناه في سورة المائدة فمن اضطر الى تناول شيء مما ذكرناه غير باغ ولا عاد قد سبق معناه في سورة
البقرة فان ربك غفور رحيم حكم بالرخصة كما حكم بالمغفرة والرحمة قوله تعالى وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ
وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ
فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ۝ آيتان اللغة الظفر ظفر الانسان
وغيره ورجل اظفر اذا كان طويل الاظفار كما يقال اشعر للطويل الشعر والحوايا المباعر قال الزجاج واحدها حاوية وحاوياء وحوية

وهي ما تحوى في البطن فاجتمع واستدار الاعراب موضع الحوايا يحتمل ان يكون رفعا عطفا على ما في قوله الا ما حملت فاما قوله او ما اختلط
بعظم فان ما هذه معطوفة على ما الاولى ذلك يجوز ان يكون منصوب الموضع بانه مفعول ثان لجزيناهم التقدير جزيناهم ذلك
ببغيهم ولا يجوز ان يرتفع بالابتداء لانه يصير التقدير ذلك جزيناهموه فيكون كقولهم زيد ضربت اى ضربته وهذا انما يجوز في ضرورة
الشعر المعنى ثم بين تعالى ما حرمه على اليهود فقال وعلى الذين هادوا اي على اليهود في ايام موسى حرمنا كل ذى ظفر اختلف في معناه
فقيل هو كل ما ليس بمنفرج الاصابع كالابل والنعام والاوز والبط عن ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة ومجاهد والسدى وقيل هو
الابل فقط عن ابن زيد وقيل يدخل فيه كل السباع والكلاب والسنانير وما يصطاد بظفره عن الجبائي وقيل كل ذى مخلب من الطير
وكل ذى حافر من الدواب عن القتيبي والبلخي ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما اخبر سبحانه انه كان حرم عليهم شحوم البقر والغنم من
الثرب وشحم الكلى وغير ذلك مما في اجوافها واستثنى من ذلك فقال الا ما حملت ظهورهما اى ما حملته ظهورهما من الشحم وهو اللحم السمين
[illegible]م عليهم او الحوايا اى ما حملته الحوايا من الشحم فانه غير محرم عليهم ايضا والحوايا هي المباعر عن ابن عباس والحسن وسعيد بن جبير
وقتادة و[illegible]هد والسدى وقيل هي بنات اللبن عن ابن زيد وقيل هي الامعاء التى عليها الشحوم عن الجبائى او ما اختلط بعظم هذا ايضا
مستثنى من جملة ما حرم وهو شحم الجنب والالية لانه على العصعص عن ابن جريج والسدى وقيل الالية لم تدخل فى ذلك لانها لم تستثن
عن الجبائي فكانه لم يعتد بعظم العصعص قال الزجاج انما دخلت او هنا على طريق الاباحة كما قال سبحانه ولا تطع منهم اثما او كفورا والمعنى
ان كل هؤلاء اهل ان يعصى فاعص هذا او اعص هذا واو بليغة فى هذا المعنى لانك اذا قلت لا تطع زيدا وعمرا فالجائز ان يكون نهيتنى
عن طاعتهما فى حال معا فان اطعت زيدا على حدته لم اكن عصيتك واذا قلت لا تطع زيدا او عمرا او خالدا فالمعنى ان هؤلاء كلهم اهل
ان لا يطاع فلا تطع واحدا منهم ولا تطع الجماعة ومثله جالس الحسن او ابن سيرين او الشعبي ذلك جزيناهم ببغيهم المعنى حرمنا ذلك
عليهم عقوبة لهم بقتلهم الانبياء واخذهم الربى واستحلالهم اموال الناس بالباطل فهذا بغيهم وهو كقوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا
عليهم طيبات احلت لهم وقيل ببغيهم ظلمهم على انفسهم في ارتكابهم المحظورات وقيل ان ملوك بنى اسرائيل كانوا يمنعون فقراءهم من
اكل لحوم الطير والشحوم فحرم الله ذلك ببغيهم على فقرائهم ذكره على بن ابراهيم فى تفسيره ويسال فيقال كيف يكون التكليف عقوبة وهو
تابع للمصلحة وتعريض للثواب وجوابه انما سمى جزاء وعقابا لان عظيم ما فعلوه من المعاصى اقتضى تحريم ذلك وتغيير المصلحة فيه ولولا
عظم جرمهم لما اقتضت المصلحة ذلك وانا لصادقون اى فى الاخبار عن التحريم وعن بغيهم وفى كل شئ وفى ان ذلك التحريم عقوبة لاوائلهم
ومصلحة لمن بعدهم الى وقت النسخ فان كذبوك يا محمد فيما تقول فقل ربكم ذو رحمة واسعة لذلك لا يعجل عليكم بالعقوبة بل يمهلكم ولا يرد
باسه اى لا يدفع عذابه اذا جاء وقته عن القوم المجرمين اي المكذبين قوله تعالى سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا
وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ
تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا
فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ثلث آيات
اللغة هلم قال الزجاج انها ها ضمت اليها لم وجعلتا كالكلمة الواحدة فاكثر اللغات ان يقال هلم للواحد وللاثنين وللجماعة بذلك
جاء القرآن نحو قولهم هلم الينا ومعنى هلم شهداءكم هاتوا شهداءكم ومن العرب من يثنى ويجمع ويؤنث فيقول للمذكر هلم وللاثنين
هلما وللجماعة هلموا وللمونث هلمي وللنسوة هلممن وفتحت لانها مدغمة كما فتحت رد يا هذا فى الامر لالتقاء الساكنين ولا يجوز فيها
هلم للواحد بالضم كما يجوز فى رد الفتح والضم والكسر لانها لا تنصرف قال ابو علي هى فى اللغة الاولى بمنزلة رويد وصه ومه ونحو ذلك
من الاسماء التى سميت بها الافعال وفى الاخرى بمنزلة رد فى ظهور علامات الفاعلين كما يظهر فى رد ولما هاء اللاحق بها فهى للتنبيه
لحقت اولا لان لفظ الامر قد يحتاج له الى استعطاف المامور به واستدعاء اقباله على الامر فهو لذلك يقرب من المنادى ومن ثم
دخل حرف التنبيه فى الا يا اسجدوا الا ترى انه امر كما ان هذا امر وقد دخل فى جمل اخر نحو ها انتم هؤلاء فكما دخل فى هذه المواضع كذلك لحقت
لم الا انه كثر الاستعمال معها فغير بالحذف لكثرة الاستعمال كاشياء تغير لذلك نحو لم ابل ولم ادر ولم يك وما اشبه ذلك مما يغير للكثرة

نصف الحزب ع

المعنى لما تقدم الرد على المشركين اعتقاداتهم الباطلة رد عليهم سبحانه هنا مقالتهم الفاسدة فقال سيقول الذين اشركوا اى سيحتج هؤلاء المشركون
فى اقامتهم على شركهم وفى تحريمهم ما احله الله تعالى بان يقولوا لو شاء الله ما اشركنا اى لو شاء الله ان لا نعتقد الشرك ولا نفعل التحريم ولا
اباؤنا واراد منا خلاف ذلك ما اشركنا ولا اباؤنا ولا حرمنا من شئ اى شيئا من ذلك ثم كذبهم الله تعالى فى ذلك بقوله كذلك اى مثل هذا
التكذيب الذى كان من هؤلاء فى انه منكر كذب الذين من قبلهم وانما قال كذب بالتشديد لانهم بهذا القول كذبوا رسول الله صلى الله عليه
واله فى قولهم ان الله سبحانه امركم بتوحيده وترك الاشراك به وترك التحريم لهذه الانعام وكانوا يقولون لهم ان الله تعالى اراد منا ذلك
وشاءه ولو اراد غيره ما فعلناه مكذبين للرسول عليه السلم كما كذب من تقدمهم انبياءه فيما اتوا به من قبل الله تعالى حتى ذاقوا باسنا
اى حتى نالوا عذابنا وقيل معناه حتى اصابوا العذاب المعجل ودل ذلك على ان لهم عذابا مدخرا عند الله تعالى لان الذوق اول ادراك
الشئ قل يا محمد لهم جوابا عما قالوه من الشرك بمشية الله هل عندكم من علم اى حجة تؤدى الى العلم وقيل معناه هل عندكم علم فيما تقولونه
فتخرجوه لنا اى فتخرجوا ما ان ما قالوه باطل ثم اكد سبحانه الرد عليهم وتكذيبهم فى مقالتهم بقوله ان تتبعون الا الظن اى ما تتبعون فيما تقولون
الا الظن والتخمين وان انتم الا تخرصون اى تكذبون فى هذه المقالة على الله تعالى وفى هذه الاية دلالة على صحة على ان الله سبحانه لا يشاء
المعاصى والكفر وتكذيب ظاهر لمن اضاف ذلك الى الله سبحانه هذا مع قيام الادلة العقلية التى لا يدخلها التاويل على انه سبحانه يتعالى
عن ارادة القبيح وجميع صفات النقص علوا كبيرا قل يا محمد اذ عجز هؤلاء عن اقامة حجة على ما قالوه فلله الحجة البالغة والحجة البينة الصحيحة
المصححة للاحكام وهى التى تقصد الى الحكم بشهادته ماخوذة من حج اذا قصد والبالغة هى التى تبلغ قطع عذر المحجوج بان تزيل كل لبس
وشبهة عمن نظر فيها واستدل بها وانما كانت حجة الله صحيحة بالغة لانه لا يحتج الا بالحق وبما يؤدى الى العلم فلو شاء لهديكم اجمعين
اى لو شاء لالجاكم الى الايمان وهديكم جميعا اليه بفعل الالجاء الا انه لم يفعل ذلك وان كان فعله حسنا لان الالجاء ينافى التكليف
وهذه المشية تخالف المشية المذكورة فى الاية الاولى لان الله تعالى اثبت هذه ونفى تلك وذلك لا يستقيم الا على وجه الذى ذكرناه
فالاولى مشية الاختيار والثانية مشية الالجاء وقيل ان المراد انه لو شاء لهديكم الى نيل الثواب ودخول الجنة ابتداء من غير تكليف ولكنه
سبحانه لم يفعل ذلك بل كلفكم وعرضكم للثواب الذى لا يحسن الابتداء بمثله ولو كان الامر على ما قاله اهل الجبر من ان الله سبحانه شاء منهم
الكفر لكانت الحجة للكفار على الله تعالى من حيث فعلوا ما شاءه الله تعالى ولكانوا بذلك مطيعين له لان الطاعة هى امتثال الامر المراد
ولا تكون الحجة لله تعالى عليهم على قولهم من حيث انه خلق فيهم الكفر فاى حجة له عليهم مع ذلك ثم بين سبحانه ان الطريق الموصل الى صحة
مذاهبهم مسند غير ثابت من جهة حجة عقلية ولا سمعية وما هذه صفته فهو فاسد لا محالة فقال قل يا محمد لهم هلم شهداءكم اى احضروا
وهاتوا شهداءكم الذين يشهدون بصحة ما تدعونه من ان الله حرم هذا اى هذا الذى ذكر ما حرمه المشركون من البحيرة و[illegible] الوصيلة
والحرث والانعام وغيرها فان شهدوا فلا تشهد معهم معناه فان لم يجدوا شيئا يشهد لهم على تحريمها غيرهم فشهدوا بانفسهم فلا تشهد انت
معهم وانما نهاه عن الشهادة معهم لان شهادتهم تكون شهادة بالباطل فان قيل كيف دعاهم الى الشهادة ثم قال فلا تشهد معهم فالجواب
انه امرهم بان ياتوا بالعدول الذين يشهدون بالحق فاذا لم يجدوا ذلك وشهدوا لانفسهم فلا ينبغى ان تقبل شهادتهم او تشهد معهم لانها
ترجع الى دعوى مجردة بعيدة من الصواب وقيل انه سبحانه اراد هاتوا شهداء من غيركم ولم يكن احد غير العرب يشهد على ذلك لانه كان
للعرب شرايع شرعوها لانفسهم ولا تتبع اهواء الذين كذبوا باياتنا الخطاب للنبى عليه السلم والمراد امته اى لا تعتقد مذهب من
اعتقد مذهبه هوى ويمكن ان يتخذ الانسان المذهب هوى من وجوه منها ان يهوى من سبق اليه فيقلده فيه ومنها ان يدخل عليه
شبهة فيتخيله بصورة الصحيح مع ان فى عقله ما يمنع منه ومنها ان يقطع النظر دون غايته للمشقة التى تلحقه فيعتقد المذهب الفاسد
ومنها ان يكون نشا على شئ والفه واعتاده فيصعب عليه مفارقته وكل ذلك متميز مما استحسنه بعقله والذين لا يؤمنون بالاخرة
اى ولا تتبع اهواء الذين لا يؤمنون بالاخرة انما ذكر الفريقين وان كانوا كلهم كفارا لينفصل وجوه كفرهم لان منه ما يكون مع الاقرار
بالاخرة كحال اهل الكتاب ومنه ما يكون مع الانكار كحال عبدة الاوثان وهم بربهم يعدلون اى يجعلون له عدلا وهو المثل وفى
الاية على فساد التقليد لانه سبحانه طالب الكفار على صحة مذهبهم وجعل عجزهم عن الاتيان بها دلالة على بطلان قولهم وايضا فانه

سبحانه

سبحانه اوجب اتباع الدليل دون اتباع الهوى قوله تعالى قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا ولا
تقتلوا اولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله
الا بالحق ذلكم وصيكم به لعلكم تعقلون ● اية اللغة تعالوا مشتق من العلو تقديره ان الداعي في المكان العالي وان كانا في مستوى من
الارض كما يقال للانسان ارتفع الى صدر المجلس والتلاوة مثل القراءة والمتلو مثل المقرو والتلاوة غير المتلو كما ان الحكاية غير المحكي فالمتلو والمحكي
هو الكلام الاول والتلاوة والحكاية هي الثاني منه على طريق الاعادة والاملاق الافلاس من المال والزاد ومنه الملق والتملق لانه اجتهاد في
تزيين المفلس للطمع في العطية والفواحش جمع فاحشة وهي القبيح العظيم القبح والقبيح يقع على الصغير والكبير لانه يقال القرد قبيح الصورة
ولا يقال فاحش الصورة وضد القبيح الحسن وليس كذلك الفاحش الاعراب ما حرم ربكم في موضع نصب بقوله اتل المعنى اتل الذي حرمه ربكم
عليكم فيكون ما موصولة وجاز ان يكون في موضع نصب بحرم لان التلاوة بمنزلة القول فكانه قال اقول اي شيء حرم ربكم عليكم اهذا ام هذا
فجاز ان يكون الذي تلاه عليهم قوله الا ان يكون ميتة او دما مسفوحا ويكون ان لا تشركوا منصوبة بمعنى طرح اللام اي ابين لكم الحرام لان لا
تشركوا لانهم اذا حرموا ما احل الله فقد جعلوا غير الله في القبول منه بمنزلة الله سبحانه فصاروا بذلك مشركين ويجوز ان لا تشركوا به شيئا محمولا
على المعنى فيكون المعنى اتل عليكم ان لا تشركوا اي اتل عليكم تحريم الشرك ويجوز ان يكون على معنى اوصيكم ان لا تشركوا به شيئا لان قوله و
بالوالدين احسانا محمول على معنى اوصيكم بالوالدين احسانا هذا كله قول الزجاج ولا تشركوا يجوز ان يكون منصوبا فيكون قوله ولا تقتلوا اولادكم
عطفا بالنهي على الخبر وجاز ذلك كما جاز في قوله قل اني امرت ان اكون اول من اسلم ولا تكونن من المشركين وقال جامع العلوم البصير الاصفهاني
يجوز ان تقف على عليكم ثم يبتدي بان لا تشركوا اي هو ان لا تشركوا اي هو الاشراك اي المحرم الاشراك ولا زيادة ويجوز ان يكون ما استفهاما
فتقف على قوله ربكم ثم تبتدي فتقول عليكم ان لا تشركوا اي عليكم ترك الاشراك وهذا وقف بيان وتمام قوله قل تعالوا عند قوله بلقاء ربهم
يؤمنون لان قوله وان هذا صراطي فيمن فتح معطوف على قوله ما حرم اي اتل هذا وهذا ومن كسر فالتقدير وقل ان هذا صراطي وكذلك ثم اتينا اي
وقل ثم اتينا وهذا كله داخل في التلاوة والقول المعنى لما حكى سبحانه عنهم تحريم ما حرموه عقبه بذكر المحرمات فقال سبحانه قل يا محمد لهؤلاء
المشركين تعالوا اي اقبلوا وادنوا اتل اي اقرا ما حرم ربكم عليكم اي منعكم عنه بالنهي ثم بدا بالتوحيد فقال ان لا تشركوا به شيئا اي امركم
ان لا تشركوا ولا فرق بين ان يقول لا تشركوا به شيئا وبين ان يقول حرم ربكم ان تشركوا به شيئا اذ النهي يتضمن التحريم وقد ذكرنا ما يحتمله
من المعاني في الاعراب وقد قيل ايضا ان الكلام قد تم عند قوله حرم ربكم ثم قال عليكم ان لا تشركوا كقوله سبحانه عليكم انفسكم وبالوالدين احسانا
اي وامر بالوالدين احسانا واوصى بالوالدين احسانا ويدل على ذلك ان في حرم هذا معنى اوصى بتحريمه وامر بتجنبه ولما كانت نعم الوالدين
تالية نعم الله سبحانه في التربية امر بالاحسان اليهما بعد الامر بعبادة الله تعالى ولا تقتلوا اولادكم من املاق اي خوف الفقر عن ابن عباس
وغيره نحن نرزقكم واياهم اي فان رزقكم ورزقهم جميعا علينا ولا تقربوا الفواحش اي المعاصي والقبائح كلها ما ظهر منها وما بطن اي
ظاهرها وباطنها عن الحسن وقيل انهم كانوا لا يرون بالزنى في السر باسا ويمنعون منه علانية فنهى الله سبحانه عنه في الحالتين عن ابن
عباس والضحاك والسدي وقريب منه ما روي عن ابي جعفر عليه السلام ان ما ظهر هو الزنى وما بطن هو المخالة وقيل ان ما ظهر افعال الجوارح
وما بطن افعال القلوب فالمراد ترك المعاصي كلها وهذا اعم فائدة ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق اعاد ذكر القتل وان كان داخلا
في الفواحش تفخيما لشانه وتعظيما لامره والنفس المحرم قتلها هي نفس المسلم والمعاهد دون الحربي والحق الذي يستباح به قتل النفس
المحرم ثلثة اشياء القود والزنى بعد احصان والكفر بعد ايمان ذلكم خطاب لجميع الخلق اي ما ذكر في هذه الاية وصيكم به اي امركم به لعلكم
تعقلون اي لكي تعقلوا ما امركم الله تعالى به فتحللوا ما حلله لكم وتحرموا ما حرمه عليكم ودل قوله سبحانه وصيكم به على ان الوصية مضمرة
في اول الاية على ما قلناه وفي قوله سبحانه ان لا تشركوا به شيئا دلالة على ان التكليف قد يتعلق بان لا يفعل كما يتعلق بالفعل وعلى انه يستحق
الثواب والعقاب على ان لا يفعل وهو الصحيح من المذهب قوله تعالى ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن حتى يبلغ اشده واوفوا
الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا الا وسعها واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله اوفوا ذلكم وصيكم به
لعلكم تذكرون وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصيكم به لعلكم تتقون ● آيتان

القراءة قرا اهل الكوفة الا ابا بكر تذكرون بتخفيف الذال حيث وقع والباقون بالتشديد وقرا اهل الكوفة غير عاصم وان هذا بكسر الهمزة والباقون
بفتحها وكلهم شدد النون الا ابن عامر ويعقوب فانهما قرآ ان بتخفيف النون وكلهم سكن الياء من صراطي الا ابن عامر فانه فتحها وقرا ابن
عامر وابن كثير سراطي بالسين وقرا حمزة بين الصاد والزاء الحجة القراءتان في تذكرون متقاربتان والاصل يتذكرون فمن خفف حذف
التاء الاولى ومن شدد ادغم التاء الثانية في الذال واما من فتح وان هذا فانه حملها على فاتبعوه على قياس قول سيبويه في قوله لايلاف قريش وقوله
وان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون وقوله وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا فيكون على تقدير ولان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه
ومن خفف فقال وان هذا فان المخففة في قوله تتعلق بما تعلق به المشددة وموضع هذا رفع بالابتداء وخبره صراطي وفي ان ضمير القصة و
الحديث وعلى هذه الشريطة تخفف وليست المفتوحة كالمكسورة اذا خففت وعلى هذا قول الاعشى في فتية كسيوف الهند قد علموا ان
هالك كل من يحفى وينتعل والهاء التي في قوله فاتبعوه على قول من كسر ان عاطفة جملة على جملة وهو على قول من فتح ان زايدة اللغة الاشد
واحدها شد مثل الاشر في جمع شر والاضر في جمع ضر والشد القوة وهو استحكام قوة الشباب والسن كما ان شد النهار هو ارتفاعه [illegible]
عنترة عهدي بها شد النهار كانما خضب البنان وراسه بالعظلم وقيل هو جمع شدة مثل نعمة وانعم وقال بعض البصريين الاشد واحد
فيكون مثل الآنك قال سيبويه الذكر والذكر بمعنى وذكر فعل يتعدى الى مفعول واحد فاذا ضاعفت العين تعدى الى مفعولين كما في قوله
يذكرنيك حنين العجول ونوح الحمامة تدعوا هديلا وتقول ذكرته فتذكر فتفعل مطاوع فعل كما ان تفاعل مطاوع فاعل المعنى
ثم ذكر سبحانه تمام ما يتلوا عليهم فقال ولا تقربوا مال اليتيم والمراد بالقرب التصرف فيه وانما خص مال اليتيم بالذكر لانه لا يستطيع الدفاع
عن نفسه ولا عن ماله فيكون الطمع في ماله اشد ويد الرغبة اليه امد فاكد سبحانه النهي عن التصرف في ماله وان كان ذلك واجبا في مال
كل احد الا بالتي هي احسن اي بالخصلة الحسنى او الطريقة الحسنى ولذلك انث وقد قيل في معناه اقوال احدها ان معناه الا بتثمير ماله
بالتجارة عن مجاهد والضحاك والسدي وثانيها ان يأخذ القيم عليه بالاكل بالمعروف دون الكسوة عن ابن زيد والجبائي وثالثها ان يحفظ
عليه حتى يكبر حتى يبلغ اشده اختلف في معناه فقيل انه بلوغ الحلم عن الشعبي وقيل هو ان يبلغ ثماني عشرة سنة وقال السدي هو ان
يبلغ ثلثين سنة ثم نسخها قوله حتى اذا بلغوا النكاح الاية وقال ابو حنيفة اذا بلغ خمسا وعشرين سنة دفع المال اليه وقيل ذلك
يمنع منه اذا لم يونس منه الرشد وقيل انه لا حد له بل هو ان يبلغ ويكمل عقله ويونس منه الرشد فيسلم اليه ماله وهذا اقوى الوجوه وليس
بلوغ اليتيم اشده مما يبيح قرب ماله بغير الاحسن ولكن تقديره ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن على الابد حتى يبلغ اشده
فادفعوه اليه بدليل قوله ولا تاكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا واوفوا اي اتموا الكيل والميزان بالقسط اي بالعدل والوفاء من غير بخس
لا نكلف نفسا الا وسعها اي الا ما يسعها ولا تضيق عنه ومعناه انه لما كان التعديل في الوزن والكيل على التحديد من اقل القليل متعذرا
بين سبحانه انه لا يلزم في ذلك الا الاجتهاد في التحرز من النقصان واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى اي فقولوا الحق وان كان على ذي
قرابة لكم وانما خص القول بالعدل دون الفعل لان من جعل عادته العدل في القول دعاه ذلك الى العدل في الفعل ويكون ذلك من
اكد الدواعي اليه وقيل معناه اذا شهدتم او حكمتم فاعدلوا في الشهادة والحكم وان كان المقول عليه والمشهود له او عليه قرابتك وهذا من
الاوامر البليغة التي يدخل فيها مع قلة حروفها الاقارير والشهادات والوصايا والفتاوي والقضايا والاحكام والمذاهب والامر بالمعروف
والنهي عن المنكر وبعهد الله اوفوا قيل في معنى عهد الله قولان احدهما ان كلما اوجبه الله تعالى على العباد فقد عهد اليهم بايجابه عليهم
وبتقديم القول فيه والدلالة عليه والآخر ان المراد به النذور والعهود في غير معصية الله تعالى والمراد اوفوا بما عاهدتم الله عليه
من ذلك ذلكم اي ذلك الذي تقدم ذكره من ذكر مال اليتيم وان لا يقرب الا بالحق وايفاء الكيل واجتناب البخس والتطفيف وتحري الحق
فيه على مقدار الطاقة والقول بالحق والصدق والوفاء بالعهد وصيكم الله سبحانه به لعلكم تذكرون اي لتتذكروه وتأخذوا به فلا
تطرحوه ولا تغفلوا عنه فتتركوا العمل به والقيام بما يلزمكم منه وان هذا صراطي اي ولان هذا صراطي من خفف فتقديره ولانه هذا
صراطي مستقيما ومن كسر ان فانه استانف قال ابن عباس يريد ان هذا ديني دين الحنيفية اقوم الاديان واحسنها وقيل يريد ان ما
ذكر في هذه الآيات من الواجب والمحرم صراطي لان امتثال ذلك على ما امر به يودي الى الثواب والجنة فهو طريق اليها والى النعيم فيها

مستقيما اي قيما لا عوج فيه ولا تناقض وهو منصوب على الحال فاتبعوه اي اقتدوا به واعملوا به واعتقدوا صحته واحلوا حلاله وحرموا
حرامه ولا تتبعوا السبل اي طرق الكفر والبدع والشبهات عن مجاهد وقيل يريد اليهودية والنصرانية والمجوسية وعبادة الاوثان عن
ابن عباس فتفرق واصله فتتفرق بكم عن سبيله اي فتشتت وتميل وتخالف بكم عن دينه الذي ارتضى وبه اوصى وقيل عن طريق الدين
ذلكم وصيكم به لعلكم تتقون لكي تتقوا عقابه باجتناب معاصيه قال ابن عباس هذه الايات محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب
وهي محرمات على بني آدم كلهم وهن ام الكتاب من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل النار وقال كعب الاحبار والذي نفس كعب بيده
ان هذا لاول شيء في التورية بسم الله الرحمن الرحيم قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الايات **قوله تعالى** ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ
تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ
وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝ آيتان **القراءة** في الشواذ قراءة يحيى بن يعمر على الذي احسن بالرفع **الحجة** قال ابن جني هذا مستضعف
الاعراب عندنا لانه حذف المبتداء العايد الى الذي لان تقديره على الذي هو احسن وانما يحذف من صلة الذي الهاء المنصوبة
بالفعل الذي هو صلتها نحو مررت بالذي ضربت اي ضربته ومن المفعول به فطال الاسم بصلته فحذف الهاء لذلك وليس المبتداء
بنيف ولا فضله فيحذف تخفيفا لاسيما وهو عايد الموصول على ان هذا قد جاء نحوه عنهم حكى سيبويه عن الخليل انه سمع ما انا بالذي
قايل لك شيئا وسواء اي بالذي هو قايل وقال لم ار مثل الفتيان في غبن الايام ينسون ما عواقبها اي ينسون الذي هو عواقبها
ويجوز ان يكون ينسون معلقة كما علق نقيضتها التي هي يعلمون فيكون ما استفهاما وعواقبها خبرها كقولك قد علمت من ابوك
وعلى الوجه الاول حمله اصحابنا وقال الزجاج تماما منصوب بانه مفعول له وكذلك تفصيلا وما بعده والمعنى آتيناه لهذه العلة
اي للتمام والتفصيل انزلناه في موضع رفع بانه صفة كتاب **المعنى** ثم آتينا موسى الكتاب قيل في معنى ثم آتينا موسى الكتاب قبل
القرآن وثم تقتضي التراخي وجوه احدها ان فيه حذفا وتقديره ثم قل يا محمد آتينا موسى الكتاب بدلا قوله قل تعالوا وثانيها ان تقديره
ثم اتل عليكم آتينا موسى الكتاب ويكون عطفا على معنى التلاوة والمعنى قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم ثم اتل عليكم ما آتاه الله موسى
عن الزجاج وثالثها انه عطف خبر على خبر لا عطف معنى على معنى وتقديره ثم اخبركم انه اعطى موسى الكتاب والذي يؤيده قول الشاعر
ولقد ساد ثم ساد ابوه ثم قد ساد بعد ذلك جده ورابعها انه يتصل بقوله في قصة ابراهيم ووهبنا له اسحق ويعقوب فعدد سبحانه
نعمه عليه بما جعل في ذريته من الانبياء ثم عطف عليه بذكر ما انعم عليه بما آتى موسى عليه السلم من الكتاب والنبوة وهو ايضا من
ذريته عن ابي مسلم واستحسنه المغربي تماما على الذي احسن قيل فيه وجوه احدها تماما على احسان موسى فكانه قال ليكمل احسانه
الذي يستحق به كمال ثوابه في الآخرة عن الربيع والفراء وثانيها تماما على المحسنين عن مجاهد وقيل ان في قراءة عبد الله تماما على
الذين احسنوا فكانه قال تماما للنعمة على الذين احسنوا فكانه قال تماما للنعمة على المحسنين الذين هو احدهم والنون يحذف من
الذين كما في البيت وان الذي حانت بفلج دماؤهم هم القوم كل القوم يا ام خالد ويجوز ان يكون الذي للجنس ويكون بمعنى من احسن
وثالثها ان معناه تماما على احسان الله الى انبيائه عن ابن زيد ورابعها ان معناه تماما لكرامته في الجنة على احسانه في الدنيا عن
الحسن وقتادة قال قتادة تقديره من احسن في الدنيا تمت عليه كرامة الله في الآخرة وخامسها ان معناه تماما على الذي احسن
الله سبحانه الى موسى بالنبوة وغيرها من الكرامة عن الجبائي وسادسها ما قاله ابو مسلم انه يتصل بقصة ابراهيم فيكون المعنى تماما للنعمة
على ابراهيم ولجزائه على احسانه في طاعة ربه وذلك من لسان الصدق الذي سأل الله سبحانه ان يجعله له ولفظة على يقتضي
المضاعفة ولو قال تماما ولم يات بقوله على الذي احسن لدل على نقصانه قبل تكميله وتفصيلا لكل شيء اي وبيانا لكل ما يحتاج اليه
الخلق وهدى اي ودلالة على الحق والدين يهتدي بها الى التوحيد والعدل والشرايع ورحمة اي نعمة على ساير المكلفين لما فيه من
الامر والنهي والوعد والوعيد والاحكام لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون معناه لكي يؤمنوا بجزاء ربهم فسمي الجزاء لقاء الله تفخيما لشانه
مع ما فيه من الايجاز والاختصار وقيل معنى اللقاء الرجوع الى ملكه وسلطانه يوم لا يملك احد سواه شيئا وهذا كتاب يعني القرآن
وصفه بهذا الوصف لبيان انه مما ينبغي ان يكتب لانه اجل الحكم انزلناه يعني انزله جبرئيل الى محمد صلى الله عليه وآله فاضاف النزول

الى نفسه تو سعا مبارك وهو ما يأتى من قبله الخير الكثير عن الزجاج قال البركة ثبوت الخير بزيادته ونموه واصله الثبوت ومنه براكاء
القتال فى قوله وما ينجى من الغمرات الا براكاء القتال او الفرار ومنه تبارك الله اى تعالى بصفة اثبات لا اول له ولا اخر وهذا تعظيم لا
يستحقه غير الله تعالى فاتبعوه اى اعتقدوا صحته واعملوا به وكونوا من اتباعه واتقوا معاصى الله ومخالفته ومخالفة كتابه لعلكم ترحمون
اى لكى ترحموا وانما قال اتقوا لعلكم ترحمون مع انهم اذا اتقوا رحموا لا محالة لامرين احدهما انه اتقوا على رجاء الرحمة لانكم لا تدرون بما
توافون فى الاخرة والثانى اتقوا لترحموا اى ليكن الغرض بالتقوى منكم طلب ما عند الله من الرحمة والثواب **قوله تعالى** ان تقولوا انما انزل
الكتاب على طائفتين من قبلنا وان كنا عن دراستهم لغافلين او تقولوا لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم فقد جاءكم بينة
من ربكم وهدى ورحمة فمن اظلم ممن كذب بايات الله وصدف عنها سنجزى الذين يصدفون عن اياتنا
سوء العذاب بما كانوا يصدفون آيتان الاعراب قال الزجاج ان تقولوا معناه عند البصريين كراهة ان تقولوا وهم لا
يجيزون اضمار لا فلا يقولون جئت ان اكرمك اى لان اكرمك ولكن يجوز فعلت ذلك ان اكرمك على اضمار محبة ان اكرمك او
كراهة ان اكرمك ويكون الحال يبين عن الضمير او تقولوا نصب تقولوا بانه عطف على ان تقولوا اى او كراهة ان تقولوا وقول انه اراد
انه مفعول له على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه واذا كان حذف المضاف يطرد جوازه مع غير ان فلان يجوز مع ان اجدر
مع طول الكلام بالصلة وقال الكسائى موضع ان تقول نصب باتقوا اى اتقوا يا اهل مكة ان تقولوا ولو انا فتحت ان بعد لو مع انه لا يقع
فيه المصدر لان الفعل مقدر بعد لو وكانه قيل لو وقع الينا انا انزل الكتاب علينا الا ان هذا الفعل لا يظهر من اجل طول ان بالصلة ولا
يحذف مع المصدر الا فى الشعر قال لو غيركم علق الزبير بحبله ادى الجوار الى بنى العوام المعنى ثم بين سبحانه انه انما انزل القرآن
قطعا للمعذرة وازاحة للعلة فقال ان تقولوا اى كراهة ان تقولوا يا اهل مكة او لئلا تقولوا انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا اى جماعتين
وهم اليهود والنصارى عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة والسدى وانما خصهما بالذكر لشهرتهما وظهور امرهما اى انزلنا عليكم هذا الكتاب
لتنقطع حجتكم وان كنا عن دراستهم لغافلين والمعنى انا كنا غافلين عن تلاوة كتبهم وما كنا الا غافلين عن دراستهم ولم ينزل علينا الكتاب
كما انزل عليهم لانهم كانوا اهله دوننا ولو اريد منا ما اريد منهم لانزل الكتاب علينا كما انزل عليهم او تقولوا يا اهل مكة لو انا انزل علينا الكتاب
لكنا اهدى منهم فى المبادرة الى قبوله والتمسك به لانا اجود اذهانا واثقب معرفة منهم فان العرب كانوا يدلون بجودة الفهم وذكاء الحدس
وحدة الذهن وقد يكون العارف بالشئ اهدى اليه من عارف آخر بان يعرفه من وجوه لا يعرفها هو وبان يكون ما يعرفه به اثبت
مما يعرفه به الاخر ثم قال سبحانه فقد جاءكم بينة من ربكم اى حجة واضحة ودلالة ظاهرة وهو القرآن وهدى يهتدى به الخلق الى النعيم
المقيم والثواب العظيم ورحمة اى نعمة لمن اتبعه وعمل به فمن اظلم لنفسه ممن كذب بايات الله وصدف عنها اى اعرض عنها غير مستدل لها
ولا متفكر فيها عن ابن عباس ومجاهد والسدى وقتادة سنجزى الذين يصدفون عن اياتنا سوء العذاب اى شدة العذاب وهو ما اعده الله
للكفار نعوذ بالله منه بما كانوا يصدفون اى جزاء بما كانوا يصدفون عن القرآن ومن اتى به وهو محمد صلى الله عليه وآله وفى هذا دلالة
على ان انزال القرآن لطف للمكلفين وانه لو لم ينزله لكان لهم الحجة واذا كان فى منع اللطف عذر وحجة للمكلف فمنع القدرة وخلق
الكفر اولى بذلك فان قيل فهل للذين ماتوا من قبل من خوطب بقوله ان تقولوا حجة وعذر قيل له ان عذرا ولئك كان مقطوعا بالعقل
وبما تقدم من الاخبار والكتب وهؤلاء ايضا لو لم يأتهم الكتاب والرسول لم يكن لهم حجة لكن الله تعالى لما علم ان المصلحة تعلقت
بذلك فعله ولو علم مثل ذلك فيمن تقدم لانزل عليهم مثل ما انزل على هؤلاء واذا لم ينزل عليهم علمنا ان ذلك لم يكن من صالحهم **قوله تعالى**
هل ينظرون الا ان تأتيهم الملائكة او يأتى ربك او يأتى بعض ايات ربك يوم يأتى بعض ايات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن
آمنت من قبل او كسبت فى ايمانها خيرا قل انتظروا انا منتظرون آية القراءة قرا حمزة والكسائى وخلف يأتيهم بالياء هنا وفى النحل وقرا الباقون
تأتيهم بالتاء وقد مضى الكلام فى امثال ذلك المعنى ثم توعدهم سبحانه فقال هل ينظرون معناه ما ينتظرون يعنى هؤلاء الكفار
الذين تقدم ذكرهم وقال ابو على الجبائى معناه هل تنتظر انت يا محمد واصحابك الا هذا وهم وان انتظروا غيره فذلك لا يعتد به من حيث
ما ينتظرونه من هذه الاشياء المذكورة لعظم شانها فهو مثل قوله وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وكما يقال تكلم فلان ولم يتكلم اذا تكلم

بما لا يعتد به الا ان تاتيهم الملائكة لقبض ارواحهم عن مجاهد وقتادة والسدي وقيل لانزال العذاب والخسف بهم وقيل لعذاب
القبر او ياتي ربك فيه اقوال احدها او ياتي امر ربك بالعذاب فحذف المضاف ومثله وجاء ربك عن الحسن وجاز هذا الحذف كما جاز في
قوله ان الذين يؤذون الله يعني اولياء الله وقال ابن عباس ياتي امر ربك بالعذاب فيهم بالقتل وثانيها او ياتي ربك بجلائل اياته فيكون
حذف الجار فوصل الفعل ثم حذف المفعول لدلالة الكلام عليه وهو قيام الدليل في العقل على ان الله سبحانه لا يجوز عليه الانتقال ولا يختلف
عليه الحال وثالثها ان المعنى او ياتي اهلاك ربك اياهم بعذاب عاجل او اجل او بالقيامة وهذا كقولنا قد نزل فلان ببلد كذا وقد اتاهم
فلان اي قد اوقع بهم عن الزجاج او ياتي بعض ايات ربك وذلك نحو خروج الدابة وطلوع الشمس من مغربها عن مجاهد وقتادة
والسدي وروي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال بادروا بالاعمال ستا طلوع الشمس من مغربها والدابة والدجال والدخان وخويصة
احدكم اي موته وامر العامة يعني القيمة يوم ياتي بعض ايات ربك التي يضطرهم الى المعرفة ويزول التكليف عندها لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن
امنت من قبل لانه ينسد باب التوبة بظهور ايات القيمة ويضطر الله تعالى كل احد الى معرفته ويعرفه الحسنات والمقبحات ضرورة ويعرفه
انه حاول القبيح او ترك الحسن حيل بينه وبينه فيصير ملجاء الى فعل الحسن وترك القبيح او كسبت في ايمانها خيرا عطف على قوله آمنت وقيل
في معناه اقوال احدها انه انما قال ذلك على جهة التغليب لان الاكثر ممن ينتفع بايمانه حينئذ من كسب في ايمانه خيرا وثانيها انه لا ينفع
احدا فعل الايمان ولا فعل خير فيه في تلك الحال لانها حال زوال التكليف وانما ينفع ذلك قبل تلك الحال عن السدي فيكون معناه
لا ينفعه ايمانه حينئذ وان كسبت في ايمانه خيرا اي طاعة لان الايمان واكتساب الخير انما ينفعان من قبل وثالثها انه للابهام
في احد الامرين والمعنى انه لا ينفع في ذلك اليوم ايمان نفس اذا لم تكن امنت قبل ذلك اليوم او ضمت الى ايمانها افعال الخير فانها
اذا امنت قبل نفعها ايمانها وكذلك اذا ضمت الى الايمان طاعة نفعتها ايضا يريد انه لا ينفع حينئذ ايمان من آمن من الكفار ولا
طاعة من اطاع من المؤمنين ومن آمن من قبل نفعه ايمانه بانفراده وكذلك من اطاع من المؤمنين نفعته طاعته ايضا وهذا اقوى
الاقوال واوضحها قل انتظروا اتيان الملئكة ووقوع هذه الايات فانا منتظرون بكم وقوعها وفي هذه الاية حث على المسارعة
الى الايمان والطاعة قبل الحال التي لا يقبل فيها التوبة وفيها ايضا حجة على من يقول ان الايمان اسم لاداء الواجبات او للطاعات
فانه سبحانه قد صرح بان اكتساب الخيرات غير الايمان المجرد لعطفه سبحانه كسب الخيرات والطاعات في الايمان على فعل الايمان
وكانه قال لا ينفع نفسا لم تؤمن قبل ذلك اليوم ايمانها ذلك اليوم وكذا لا ينفع نفسا لم تكن كاسبة خيرا في ايمانها قبل ذلك اليوم كسبها
الخير ذلك اليوم وقد عكس الحاكم ابو سعيد في تفسيره الامر فيه فقال هو خلاف ما يقوله المرجئة لانه يدل على ان الايمان بمجرده لا ينفع حتى
يكون اكتساب الخيرات وليت شعري كيف تدل الاية على ما قاله وكيف حكم لنفسه على خصمه فيما الحكم فيه لخصمه عليه وهل هذا الا عدول
عن سنن العدل والانصاف قوله تعالى ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء انما امرهم الى الله ثم ينبئهم بما كانوا
يفعلون آية القراءة قرا حمزة والكسائي ههنا وفي الروم فارقوا بالالف وهو المروي عن علي عليه السلم والباقون فرقوا بالتشديد الحجة
قال ابو علي من قرا فرقوا فتقديره يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض كما قال افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض وقال ويريدون
ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ومن قرا فارقوا دينهم فالمعنى باينوه وخرجوا عنه وهو يؤول الى معنى
فرقوا الا ترى انهم لما امنوا ببعضه وكفروا ببعضه فارقوه كله فخرجوا عنه ولم يتبعوه اللغة الشيع الفرق التي يمالي بعضهم بعضا
على امر واحد مع اختلافهم في غيره وقيل ان اصله من الظهور يقال شاع الخبر يشيع شيوعا اذا ظهر وشيعت النار اذا القيت عليها الحطب
فكانك تظهرها وقال الزجاج اصله الاتباع يقال شاعكم السلام واشاعكم السلام اي تبعكم السلام قال الا يا نخلة من ذات
عرق برود الظل شاعكم السلام وتقول اتيك غدا او شيعه اي او اليوم الذي يتبعه فمعنى الشيعة الذين يتبع بعضهم بعضا
قال الكميت ومالي الا ال احمد شيعة ومالي الا مشعب الحق مشعب المعنى ثم عطف سبحانه على ما قدمه من الوعيد فقال ان الذين
فرقوا دينهم وكانوا شيعا اختلف في المعنيين بهذه الاية على اقوال احدها انهم الكفار واصناف المشركين عن السدي والحسن
ونسختها اية السيف وثانيها انهم اليهود والنصارى لانهم يكفر بعضهم بعضا عن قتادة وثالثها انهم اهل الضلالة واصحاب الشبهات

والبدع من هذه الامة رواه ابو هريرة وعايشة مرفوعا وهو المروي عن الباقر ع جعلوا دين الله اديانا لاكفار بعضهم بعضا وصاروا
احزابا وفرقا لست منهم في شيء هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وآله واعلام له انه ليس منهم في شيء وانه على المباعدة التامة من ان يجتمع معهم
في معنى من مذاهبهم الفاسدة وليس كذلك بعضهم مع بعض لانهم يجتمعون في معنى من المعاني الباطلة وان افترقوا في غيره فليس
منهم في شيء لانه بريء من جميعه وقيل ان معناه لست من مخالطتهم في شيء وانما هو نهي للنبي ص من مقاربتهم وامر له بمباعدتهم عن قتادة
وقيل معناه لست من قتالهم في شيء ثم نسختها اية القتال عن الكلبي والسدي انما امرهم الى الله في مجازاتهم على سوء افعالهم وقيل امرهم
الى الانظار والاستيصال الى الله وقيل الحكم بينهم في اختلافهم الى الله ثم ينبئهم اي يخبرهم ويجازيهم بما كانوا يفعلون يوم القيمة
فيظهر المحق من المبطل قوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون آية
القراءة قرا يعقوب عشر منون برفع اللام وهو قراءة الحسن وسعيد بن جبير والباقون عشر مضاف امثالها مجرور الحجة من قرا عشر امثالها
فالمعنى له عشر حسنات فيكون امثالها صفة للموصوف الذي اضيف اليه عشر ومن قرا عشر امثالها فيكون امثالها صفة لعشر [illegible] قال
الزجاج وحذف الموصوف واقامة الصفة مقامه ضعيف عند المحققين واكثر ما ياتي ذلك في الشعر والاولى ان يكون امثالها غير صفة في
قوله عشر امثالها بل يكون محمولا على المعنى فانث الامثال لما كان في معنى الحسنات وحكي عن ابي عمرو انه سمع اعرابيا يقول فلان لغوب
جاءته كتابي فاحتقرها قال فقلت له اتقول جاءته كتابي قال نعم اليس بصحيفة اللغة الحسنة اسم للاعلى في الحسن ودخول الهاء
للمبالغة قال علي بن عيسى دخول الهاء يدل على انها طاعة اما واجب او ندب وليس كل حسن كذلك لان في الحسن ما هو مباح لا يستحق عليه مدح
ولا ثواب واقوى من ذلك ان يقال دخول لام التعريف فيها يدل على انها المامور بها لانها لام العهد والله سبحانه لا يامر بالمباح المعنى
لما ذكر سبحانه الوعيد على المعاصي عقبه بذكر الوعد وتضعيف الجزاء في الطاعات فقال من جاء بالحسنة فله عشر امثالها اي من جاء
بالخصلة الواحدة من خصال الطاعة فله عشر امثالها من الثواب ومن جاء بالسيئة بالخصلة الواحدة من خصال الشر فلا يجزى الا مثلها
وذلك من عظيم فضل الله تعالى وجزيل انعامه على عباده حيث لا يقتصر في الثواب على قدر الاستحقاق بل يزيد عليه وربما يعفوا
عن ذنوب المؤمن منا منه عليه وتفضلا وان عاقب على قدر الاستحقاق عدلا وقيل المراد بالحسنة التوحيد وبالسيئة الشرك عن الحسن
واكثر المفسرين على هذا فان اصل الحسنات التوحيد واسوء السيئات الكفر وهم لا يظلمون بالزيادة على مقدار ما استحقوا من العقاب
ثم اختلف الناس في ان هذه الحسنات العشر التي وعدها الله من جاء بالحسنة هل يكون كلها ثوابا وانما يكون الثواب منها الواحدة
والتسع الزايدة تكون تفضلا ويؤيده قوله ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله فيكون على هذا معنى عشر امثالها في النعيم واللذة في عظم
المنزلة ويجوز ان يكون التفضل مثل الثواب في الكثرة واللذة وان يميز منه الثواب بمقارنة التعظيم والاجلال اللذين لولاهما لما حسن
التكليف وهذا هو الصحيح وقال قوم لا يجوز ان يساوي الثواب التفضل على وجه فيكون على قولهم كل ذلك ثوابا قال الزجاج ان المجازاة من
الله عز وجل على الحسنة بدخول الجنة شيء لا يبلغ وصف مقداره فاذا قال عشر امثالها وقال كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة ماية
حبة وقال فيضاعفه اضعافا كثيرة فالمعنى في هذا كله ان جزاء الله سبحانه على الحسنات على التضعيف للمثل الواحد الذي هو النهاية
في التقدير في النفوس فيضاعف الله سبحانه ذلك بما بين عشرة اضعاف الى سبعماية ضعف الى اضعاف كثيرة وقد قيل ايضا في ذلك ان
المعنى من جاء بالحسنة فله عشرة امثال المستحق عليها والمستحق لا يعلم مقداره الا الله تعالى وليس المراد امثال ذلك في العدد وهذا كما
يقول الانسان لاجزينك من الاجر مثل ما عملت اي مثل ما تستحقه بعملك وقد وردت الرواية عن المعرور بن سويد عن ابي ذر قال حدثني
الصادق المصدوق ع ان الله سبحانه قال الحسنة عشر او ازيد والسيئة واحدة او اغفر فالويل لمن غلبت احاده اعشاره قوله تعالى
قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله
رب العالمين لا شريك له وبذلك امرت وانا اول المسلمين ثلث آيات كوفي واربع عند غيرهم القراءة قرا ابن عامر واهل
الكوفة قيما مكسورة القاف خفيفة الياء والباقون قيما مفتوحة القاف مشددة وقرا اهل المدينة محياي ساكنة الياء ومماتي بفتحها
والباقون محياي بفتح الياء ومماتي ساكنة الياء الحجة من قرا قيما فالقيم هو المستقيم فيكون وصفا للدين كما ان التقدير في قوله دين القيمة

دين الملة القيمة لان الملة هي مثل الدين ومن قرا قيما فانه مصدر كالصغر والكبر الا انه لم يصحح كما صحح حول وعوض وكان القياس ولكنه شذ كما شذ نحو ثيرة في جمع ثور وجياد في جمع جواد وكان القياس الواو وقال الزجاج انما اعتد تيم لانه من قام فلما اعتل قام اعتل قيم لانه جرى عليه واما حول فانه جار على غير فعل واما اسكان الياء في محياى فانه شاذ عن القياس والاستعمال فان الساكنين لا يلتقيان على هذا الحد واذا ما كان قبلها متحركا نحو مماتى فالفتح جائز والاسكان جائز قال ابو علي والوجه في محياى سكون الياء مع شذوذه ما حكى عن بعض البغداديين انه سمع التقت حلقتا البطان باسكان الالف مع سكون لام المعرفة ومثل هذا ما جوزه يونس في قوله اضربان زيدا واضربنان زيدا وسيبويه ينكر هذا من قول يونس وقال علي بن عيسى ولو وصله على نية الوقف جاز كما جاز فبهديهم اقتده فانما تزاد هذه الهاء في الوقف كما تسكن تلك الياء في الوقف اللغة الملة الشريعة ماخوذة من الاملاء كانه ما ياتى به الشرع ويورده الرسول من الشرايع المتجددة فيمله على امته ليكتب او يحفظ فاما التوحيد والعدل فواجبان بالعقل ولا يكون فيهما اختلاف والشرايع تختلف ولهذا يجوز ان يقال ديني دين الملائكة ولا يقال ملتي ملة الملائكة فكل ملة دين وليس كل دين ملة والنسك العبادة ورجل ناسك ومنه النسيكة الذبيحة والمنسك الموضع الذي يذبح فيه الذبائح قال الزجاج فالمنسك كلما تقرب به الى الله عز وجل لان الغالب عليه امر الذبح وقول الناس فلان ناسك ليس يراد به ذابح انما يراد به ان يودى المناسك اى يؤدى ما افترض عليه مما يتقرب به الى الله عز وجل الاعراب دينا قال ابو علي يحتمل نصبه ثلثة اوجه احدها انه لما قال هداني ربي الى صراط مستقيم استغنى بجرى ذكر الفعل عن ذكره ثانيا فقال دينا قيما كما قال اهدنا الصراط المستقيم وان شئت نصبته على اعرفوا لان هدايتهم اليه تعريف لهم فحملهم على اعرفوا دينا قيما وان شئت حملته على الاتباع كانه قال اتبعوا دينا قيما والزموه كما قال اتبعوا ما انزل اليكم قال الزجاج ملة ابراهيم بدل من دينا قيما وحنيفا منصوب على الحال من ابرهيم والمعنى هداني وعرفني ملة ابراهيم في حال حنيفيته المعنى ثم امر الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله فقال قل يا محمد لهؤلاء الكفار وللخلق جميعا انني هداني اى دلني وارشدني ربي الى صراط مستقيم وقيل اراد لطف لي ربي في الاهتداء ووفقني لذلك وقد بينا الصراط المستقيم في سورة الحمد دينا قيما اى مستقيما على نهاية الاستقامة وقيل ثابتا دائما لا ينسخ ملة ابراهيم وانما وصف دين النبي صلى الله عليه واله بانه ملة ابرهيم ترغيبا فيه للعرب لجلالة ابراهيم في نفوسها ونفوس كل اهل الاديان ولانتساب العرب اليه واتفاقهم على انه كان على الحق حنيفا اى مخلصا في العبادة لله سبحانه عن الحسن وقيل مائلا الى الاسلام لازما لا رجوع معه من قولهم رجل احنف اذا كان مائل القدم من خلقة عن الزجاج وقيل مستقيما وانما جاء احنف على التفاؤل عن الجبائي وما كان من المشركين يعني ابرهيم ع كان يدعوا الى عبادة الله وينهى عن عبادة الاصنام قل ان صلوتي قد فسرنا معنى الصلوة فيما تقدم ونسكي اى ذبيحتي للحج والعمرة عن سعيد بن جبير ومجاهد وقتادة والسدى وقيل نسكي ديني عن الحسن وقيل عبادتي عن الجبائي والزجاج وانما ضم الصلوة الى اصل الواجبات من التوحيد والعدل لان فيها التعظيم لله عند التكبير وفيها تلاوة القرآن الذي يدعوا الى كل بر وفيها الركوع والسجود وفيها الخضوع لله سبحانه والتسبيح الذي هو التنزيه له ومحياي ومماتي اى حيوتي وموتي لله رب العالمين وانما جمع بين صلوته وحيوته واحدهما من فعله والاخر من فعل الله لانهما جميعا بتدبير الله تعالى وقيل معناه صلوتي ونسكي له عبادة وحيوتي ومماتي له ملكا وقدرة عن القاضي وقيل ان عبادتي له لانه بهدايته ولطفه ومحياي ومماتي له لانه بتدبيره وخلقه وقيل معنى قوله محياي ومماتي لله لان الاعمال الصالحة الذي يتعلق بالحيوة في فنون الطاعات وما يتعلق من الممات من الوصية والختم بالخيرات لله وفيه تنبيه على انه لا ينبغي ان يجعل الانسان حيوته لشهوته ومماته لورثته لا شريك له لا ثاني له في الالهية وقيل لا شريك له في العبادة وفي الاحياء والاماتة وبذلك امرت اى وبهذا امرني ربي وانا اول المسلمين من هذه الامة فان ابرهيم كان اول المسلمين ومن بعده تابع له في الاسلام عن الحسن وقتادة وفيه بيان فضل الاسلام وبيان وجوب اتباعه على الاسلام انه كان اول من سارع اليه ولانه لما امر بذلك ليتاسى به ويقتدى بفعله قوله تعالى قل اغير الله ابغى ربا وهو رب كل شيء ولا تكسب كل نفس الا عليها ولا تزر وازرة وزر اخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون ۝ وهو الذي جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم ۝ آيتان اللغة الرب اذا اطلق فاد المالك لتصريف الشيء باتم التصريف واذا اضيف فقيل رب الدار ورب الضيعة فمعناه المالك لتصريفه باتم تصريف

العباد واصله التربية وهي تنشئة الشيء حالا بعد حال حتى يصير الى الكمال والفرق بين الرب والسيد ان السيد المالك لتدبير السواد

الاعظم والرب المالك لتدبير الشيء حتى يصير الى الكمال مع اجرائه على تلك الحال ويقال وزر يزر وزرا ووزر يوزر فهو موزور واصله

من الوزر الذي هو الملجأ فحال المؤزور كحال الملتجي الى غير ملجاء ومنه الوزير لان الملك يلتجي اليه في الامور وقيل ان اصله الثقل ومنه

قوله تعالى ووضعنا عنك وزرك وكلاهما محتمل وواحد الخلايف خليفة مثل صحيفة وصحايف وسفينة وسفاين وخلف فلان فلانا

يخلفه فهو خليفته اذا جاء بعده **الاعراب** في نصب درجات ثلثة اقوال احدها ان تقع موقع المصدر فكانه قال رفعة بعد رفعة

والثاني انه درجات فحذفت الى كما حذفته في قولك دخلت البيت وتقديره الى البيت والثالث ان يكون مفعولا من قولك ارتفع درجته

ورفعته درجة مثل اكتسى ثوبا وكسوته ثوبا **المعنى** لما امر سبحانه نبيه ببيان الاخلاص في الدين عقبه بامره ان يبين لهم بطلان افعال

المشركين فقال قل يا محمد لهؤلاء الكفار على وجه الانكار اغير الله ابغي ربا وهو رب كل شيء وتقديره اتجوزون ان اطلب غير الله ربا واطلب

الفوز بعبادته وهو مربوب مثلي واترك عبادة من خلقني ورباني وهو مالك كل شيء وخالقه ومدبره وليس بمربوب ام هذا قبيح في العقل

وهو لازم لكم على عبادتكم الاوثان ولا تكسب كل نفس الا عليها اي لا تكسب كل نفس جزاء كل عمل من طاعة او معصية الا ... عليها

عقاب معصيتها ولها ثواب طاعتها ووجه اتصاله بما قبله انه لا ينفعني في ابتغاء رب غيره ما انتم عليه من ذلك لانه ليس يعذر لي

في اكتساب الاثم اكتساب غيري له لانه لا تزر وازرة وزر اخرى لا يحمل احد ذنب غيره معناه ولا يجازى احد بذنب غيره قال الزجاج

معناه لا تؤخذ نفس اثمه باثم اخرى وقيل ان الكفار قالوا للنبي عم اتبعنا وعلينا وزرك ان كان خطاء فانزل الله هذا وفيه دلالة

على فساد قول المجبرة ان الله يعذب الطفل بكفر ابيه ثم الى ربكم مرجعكم اي مالكم ومصيركم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون اي يخبركم بالحق

فيما اختلفتم فيه فيظهر المحسن من المسيء وهو الذي جعلكم خلايف الارض اخبر سبحانه الذي جعل الخلق خلايف الارض ومعناه ان كل

اهل عصر يخلف اهل العصر الذي قبله كلما مضى قرن خلفهم قرن يجري ذلك على انتظام واتساق حتى تقوم الساعة على العصر الاخير فلا

يخلفه عصر وهذا لا يكون الا من عالم مدبر عن الحسن والسدى وجماعة وقيل المراد بذلك امة نبينا صلى الله عليه وآله جعلهم الله تعالى

خلفاء لساير الامم وفضلهم على ساير الخلق ورفع بعضكم فوق بعض درجات في الرزق عن السدى وقيل في الصورة والعقل والعمر والمال

والقوة وهذا اولى لان الاول يدخل فيه ووجه الحكمة فيه مع انه سبحانه خلقهم ابتداء من غير استحقاق بعمل يوجب التفاضل بينهم ما فيه

من الالطاف الداعية الى الواجبات والصارفات عن المقبحات لان من كان غنيا في ماله شريفا في نسبه ربما دعاه ذلك الى طاعة من

يملكه رغبة في امثاله ومن كان على ضد ذلك ربما دعاه الى طاعته رهبة من امثاله ورجاء ان ينقله عن هذه الحال الى حال جليلة يغتبط

عليها ليبلوكم فيما آتيكم اي ليختبركم فيما اعطاكم اي يعاملكم معاملة المختبر مظاهرة في العدل وانتفاء من الظلم ومعناه لينظر الغني

الى الفقير فيشكر وينظر الفقير الى الغني فيصبر ويفكر العاقل في الادلة فيعلم ويعمل بما يعلم ان ربك سريع العقاب انما وصف نفسه

بذلك مع ان عقابه في الاخرة من حيث كل ما هو آت قريب فهو اذا سريع وقيل معناه انه سريع العقاب لمن استحقه في دار الدنيا

فيكون تحذيرا للمواقع الخطيئة على هذه الجهة وقيل معناه انه قادر على تعجيل العقاب فاحذروا معاجلته بالهلاك في الدنيا وانه لغفور

رحيم قابل سبحانه بين العقاب والغفران ولم يقابل بالثواب لان ذلك ادعى الى الاقلاع عما يوجب العقاب لانه لو ذكر الثواب لجاز ان

يتوهم انه لمن لم يكن منه عصيان وقيل انه سبحانه افتتح السورة بالحمد على نعمه تعليما وختمها بالمغفرة ليحمد على ذلك **سورة الاعراف**

هي مكية وقد روي عن قتادة والضحاك انها مكية غير قوله واسئلهم عن القرية الى قوله بما كانوا يفسقون فانها نزلت بالمدينة **عدد آيها**

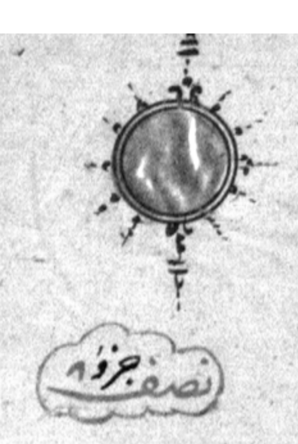
مائتان وست آيات حجازي كوفي وخمس بصري شامي **اختلافها** خمس آيات المص وبدأكم تعودون كوفي مخلصين له الدين بصري

شامي ضعفا من النار والحسنى على بني اسرائيل حجازي **فضلها** ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله قال من قرا سورة الاعراف

جعل الله بينه وبين ابليس سترا وكان آدم له شفيعا يوم القيمة وروى العياشي باسناده عن ابي بصير عن ابي عبد الله عليه السلم قال

من قرا سورة الاعراف في كل شهر كان يوم القيمة من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فان قراها في كل جمعة كان ممن لا يحاسب له يوم القيمة

قال ابو عبد الله عليه السلم اما ان فيها ايا محكمة فلا تدعوا قراءتها وتلاوتها والقيام بها فانها تشهد يوم القيمة لمن قراها عند ربه **تفسيرها**



لما ختم الله تبارك وتعالى سورة الانعام بالرحمة افتتح هذه السورة لانه انزل كتابا فيه معالم الدين والحكمة فقال بسم الله الرحمن الرحيم المص

كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ

قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ثلث ايات كوفى اثنتان فى الباقين القراءة قرا ابن عامر يتذكرون بياء وتاء وقرا اهل الكوفة غير ابى بكر تذكرون

خفيفة الذال وقرا الباقون تذكرون بتشديد الذال والكاف الحجة قال ابو على من قرا تذكرون مشددة اراد يتذكرون فادغم التاء فى الذال

وادغامها فيه حسن لان التاء مهموسة والذال مجهورة والمجهورة ازيد صوتا واقوى من المهموس فحسن ادغام الانقص فى الازيد ولا

يسوغ ادغام الازيد فى الانقص وما فى قوله ماتذكرون موصولة بالفعل وهى معه بمنزلة المصدر والمعنى قليلا تذكركم ولا ذكر فى الصله

يعود اليها كما لا يكون فى صلة ان ذكر ومن قرا تذكرون فانه حذف التاء التى ادغمها من شدد الذال وذلك حسن لاجتماع ثلثة احرف

متقاربة ويقوى ذلك قولهم اسطاع يسطيع فحذفوا احد الثلثة المتقاربة ومن قرا يتذكرون بياء وتاء فوجهه انه مخاطبة النبى عليه السلم

اى قليلا ما يتذكر هؤلاء اللغة قد تقدم ذكر الحروف المقطعة فى اوايل السور فى اول سورة البقرة وذكرنا الاقوال فى معانيها واعرابها فلا معنى

لاعادتها وبينا ان حروف الهجاء توصل على نية الوقف فرقا بينها وبين ما يوصل للمعانى فعلى هذا متى سميت رجلا بالمص وجبت الحكايه

وان سميته بصاد او قاف لم يجب ذلك لان صاد وقاف لهما نظير فى الاسماء المفردة مثل باب ونار وليس كذلك المص لانه بمنزلة الجملة اذ

ليس له نظير فى المفرد وانما عد الكوفيون المص آية ولم يعدوا صاد لان المص بمنزلة الجملة مع ان اخره على ثلثة احرف بمنزلة المردف فلما اجتمع

هذان السببان وكل واحد منهما يقتضى عدة عدوه ولم يعدوا المر لان اخره لا يشبه المردف ولم يعدوا صاد لانه بمنزلة اسم مفرد وكذلك قاف

ونون ومن قال ان هذه الحروف فى اوايل السور اسماء للسور فعلى قوله انما سميت بها ولم تسم بالاسماء المنقولة لانها تتضمن معانى اخر مضافة

الى التسميه وهو انها فاتحة لما هو منها فاصلة بينها وبين ما قبلها ولانه يأتى من التاليف بعدها ما هو معجز مع انه تاليف كتاليفها فهذه

المعانى من اسرارها والذكرى مصدر ذكر يذكر تذكيرا فهى اسم للتذكير وفيه مبالغة ومثله الرجعى الاعراب قال الزجاج اجمع النحويون على

ان قوله كتاب انزل اليك مرفوع بغير هذه الاحرف فالمعنى هذا كتاب انزل اليك ومن قال ان كتاب يرتفع بالمص وتقديره المص حروف

كتاب يلزمه اضمار شيئين فيكون المعنى المص بعض حروف كتاب انزل اليك فيكون قد اضمر المضاف وما اضيف اليه وهذا ليس بجايز

فان قال قايل قد تقول ا ب ت ث ثمانية وعشرون حرفا وانما ذكرت اربعة فمن اين جاز ذلك قيل قد صار اسم هذه الحروف كلها ا ب ت ث

كما انك تقول الحمد سبع آيات فالحمد اسم لجملة السورة وليس اسم الكتاب المص ولا اسم القران طسم وهذا فرق بين قال والذى اخترنا فى تفسير

المص قول ابن عباس ان المص انا الله اعلم وافصل فيكون يرتفع بعض هذه الحروف ببعض والجملة لا موضع لها وقوله فلا يكن فى صدرك حرج

دخول الفاء فيه يحتمل وجهين احدهما ان يكون عاطفة جملة على جملة وتقديره هذا كتاب انزلناه اليك فلا يكن بعد انزاله حرج فى صدرك

والاخر ان يكون جوابا وتقديره اذا كان انزل اليك الكتاب لتنذر به فلا يكن فى صدرك حرج منه فيكون محمولا على معنى اذا وذكرى قال الزجاج

يصلح ان يكون فى موضع نصب ورفع وخفض فالنصب على قوله انزل اليك لتنذر به ولتذكر به ذكرى لان فى الانذار معنى التذكير وهذا كما يقال

جئتك للاحسان وشوقا اليك فيكون مفعولا له واما الرفع فعلى تقدير وهو ذكرى واما الخفض فعلى معنى لتنذر لان معنى لتنذر لان تنذر

فيكون تقديره للانذار وللذكرى قال على بن عيسى وهذا الوجه ضعيف لانه لا يجوز ان يحمل الجر على التأويل كما لا يجوز مررت به وزيد

المعنى المص معنى تفسيره وما قيل فيه كتاب انزل اليك هذا الذى اوحيته اليك كتاب انزل اليك اى انزله الملئكه اليك بامر الله تعالى

فلا يكن فى صدرك حرج منه ذكر فى معناه اقوال احدها ما ذكره الحسن ان معنى الحرج الضيق فمعناه ولا يضيق صدرك لتشعب الفكر خوفا

من ان لا تقوم بتبليغ ما انزل اليك حق القيام فليس عليك اكثر من الانذار وثانيها ان معنى الحرج الشك عن ابن عباس ومجاهد وقتادة و

السدى فمعناه فلا يكن فى صدرك شك فيما يلزمك من القيام بحقه فانما انزل اليك لتنذر به وثالثها ان معناه فلا يضيق صدرك

من قومك ان يكذبوك ويجبهوك بالسوء فيما انزل اليك كما قال سبحانه فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا

عن الفراء وقد روى فى الخبر ان الله تعالى لما انزل القرآن الى رسوله صـ قال انى اخشى ان يكذبنى الناس وتثلغوا راسى فيتركوه كالخبزة فازال

الله الخوف عنه بهذه الآية وقوله لتنذر به وذكرى للمومنين فلا يكن فى صدرك حرج منه وقال آخرون وهو متصل بقوله فلا يكن فى صدرك

نصف جزء ٩

اى بالقرآن قال الفراء والزجاج واكثر العلماء
والتاخير وتقديره كتاب انزل اليك لتنذر

ل

حرج منه لتنذر اى كن على انشراح صدر بالانذار ومعناه لتخوف بوعده ووعيده وامتثال امره ونهيه ولتذكرها بما فيه وانما خص المومنين
لانهم المنتفعون به ثم خاطب الله سبحانه المكلفين فقال اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ويحتمل ان يكون المراد قل يا محمد لهم اتبعوا ما انزل
اليكم قال قبل لتنذر به والاتباع تصرف الثاني بتصرف الاول وتدبره بتدبيره فالاول امام والثانى موتم ووجوب الاتباع فيما انزله الله تعالى
يدخل فيه الواجب والندب والمباح لانه يجب ان يعتقد فى كل منها ما امر الله سبحانه كما يجب ان يعتقد فى الحرام وجوب اجتنابه ولا تتبعوا
من دونه اولياء اي ولا تتخذوا غيره اولياء تطيعونهم فى معصية الله لان من لا يتبع القران صار متبعا لغير الله من الشيطان والاوثان
فامر سبحانه باتباع القران ونهى عن اتباع الشيطان ليعلموا ان اتباع القرآن اتباع له سبحانه قليلا ما تذكرون اى قليلا يا معشر المشركين
تذكركم واتعاظكم وهذا استبطاء فى التذكر وخرج مخرج الخبر والمراد به الامر فمعناه تذكروا كثيرا ما يلزمكم من امر دينكم وما اوجبه الله
عليكم ومعنى التذكر ان يأخذ فى الذكر شيئا بعد شئ مثل التفقه والتعلم قوله تعالى وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ
قَائِلُونَ فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ آيتان الاعراب كم لفظة موضوعة للتكثير ورب للتقليل وانما كان
كذلك لان رب حرف وكم اسم والتقليل ضرب من النفى وكم يدخل فى الخبر بمعنى التكثير لان استبهام العدد عن ان يظهر او يضبط انما يكون
لكثرته فى غالب الامر وكم مبهمة قال الفرزدق كم عمة لك يا جرير وخالة فدعاء قد حلبت على عشارى فدل بكم على كثرة العمات والخالات
وموضع كم فى الاية رفع بالابتداء وخبرها اهلكناها ولو جعلتها فى موضع نصب جاز كما يقول فى قوله سبحانه انا كل شئ خلقناه بقدر و
الاول اجود وقيل فى دخول الفاء فى قوله فجاءها باسنا بياتا مع ان الفاء للتعقيب اقوال احدها اهلكناها فى حكمنا فجاءها باسنا
والثانى اهلكناها بارسال ملئكة العذاب اليها فجاءها باسنا والثالث انه مثل ذرنى فاكرمتنى فان نفس الاكرام على الزيارة قال على بن
عيسى وليس هذا مثل ذاك بانه نقل حرف عن معناه بغير دليل وذلك لا يجوز وقوله او هم قايلون قال الفراء واو الحال مقدرة فيه وتقديره
او وهم قايلون وانما حذفت استخفافا قال الزجاج وهذا لا يحتاج الى ضمير الواو ولو قلت جاءنى زيد راجلا او هو فارس او جاءنى زيد
هو فارس لم تحتج الى واو لان الذكر قد عاد الى الاول ومعنى بياتا اي ليلا يقال بات بياتا حسنا وبيته حسنة والمصدر فى الاصل
بات بيتا وانما سمى البيت بيتا لانه يصلح للمبيت فمعنى او هم قايلون او جاءهم باسنا نهارا فى وقت القايلة فاو دخلت ههنا على جهة
تصرف الشئ ووقوعه اما مرة كذا واما مرة كذا فهى فى الخبر ههنا بمنزلة او فى الاباحة اذا قلت جالس الحسن او ابن سيرين اى كل واحد منهما
اهل ان يجالس واو ههنا احسن من الواو لان الواو يتضمن اجتماع الشيئين لو قلت ضربت القوم قياما وقعودا لاوجبت الواو انك
ضربتهم وهم على هاتين الحالتين ولو قلت ضربتهم قياما او ضربتهم قعودا ولم تكن شاكا فانما المعنى انك ضربتهم مرة على هذه الحال ومرة
على هذه الحال واقول ان الاولى ان يكون بياتا وضع موضع الحال فيكون بمعنى بائتين او قايلين فيكون حالا عن الهاء والميم فى جاءهم
وموضع ان قالوا الاختيار ان يكون رفعا وان يكون دعويهم فى موضع نصب او يكون فى موضع نصب ويكون الدعويهم فى موضع رفع
الا ان الدعوى اذا كانت فى موضع رفع فالاكثر فى اللفظ فما كانت دعويهم كذا الا ان الدعوة مونثة وهى اسم لما تدعيه ويصلح ان يكون بمعنى
الدعاء حكى سيبويه اللهم اشركنا فى صالح دعوى المسلمين وانشد ولت ودعويها كثير صخبه اى دعاؤها المعنى لما تقدم الامر منه
سبحانه للمكلفين باتباع القران والتحذير من مخالفته والتذكر عقب ذلك بتذكيرهم ما نزل بمن قبلهم من العذاب وتحذيرهم ان ينزل
بهم ما نزل باولئك فقال وكم من قرية اى من اهل قرية فحذف المضاف لدلالة الكلام عليه اهلكناها بعذاب الاستيصال فجاءهم باسنا
اى عذابنا بياتا بالليل او هم قايلون او فى وقت القيلولة وهو نصف النهار واصله الراحة ومنه الاقالة فى البيع لانه الاراحة منه بالاعفاء
من عقده والاخذ بالشدة فى وقت الراحة اعظم فى العقوبة فلذلك خص الوقتين بالذكر فما كان دعويهم اذ جاءهم باسنا اى لم يكن دعاء
هؤلاء الذين اهلكناهم عقوبة لهم على معاصيهم وكفرهم فى الوقت الذي جاءهم شدة عذابنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين يعنى اعترافهم
بذلك على نفوسهم واقرارهم به وهذا القول كان منهم عند معاينة الباس والتيقن انه نزل بهم ويجوز ان يكونوا قالوه حين لابسهم طرف منه
ولم يهلكوا بعد وفى هذا دلالة على ان الاعتراف والتوبة عند معاينة الباس لا ينفع قوله تعالى فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ
وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ

ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون ثلث آيات اللغة السؤال طلب الجواب باداته في الكلام
كما ان الاستخبار طلب الخبر باداته في الكلام والقصص ما يتلو بعضه بعضا ومنه المقص لان قطعه يتلو بعضه بعضا ومنه القصة من
الشعر والقصة من الكتاب ومنه القصاص لانه يتلو الجناية في الاستحقاق ومنه المقاصة في الحق لانه يسقط ما له قصاصا بما عليه والوزن
في اللغة هو مقابلة احد الشيئين بالاخر حتى يظهر مقداره وقد استعمل في غير ذلك تشبيها به فمنها وزن الشعر بالعروض ومنها قولهم
فلان يزن كلامه وزنا قال الاخطل واذا وضعت اباك في ميزانهم رجحوا عليك وشلت في الميزان والحق وضع الشيء في موضعه على وجه
تقتضيه الحكمة وقد استعمل مصدرا على هذا المعنى وصفة كما جرى ذلك في العدل قال الله سبحانه ذلك بان الله هو الحق يجري على طريق الوصف
والثقل عبارة عن الاعتماد اللازم سفلا ونقيضه الخفة وهي الاعتماد اللازم علوا الاعراب الفاء في قوله فلنسئلن عاطفة جملة على جملة
وانما دخلت الفاء موجبة للتعقيب مع تراخي ما بين الاول والثاني وذلك يليق بسر لتقريب ما بينهما كما قال سبحانه اقتربت الساعة و
قال وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب وقال اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين واذا طرف المفاجاة وبينهما بعد
يومئذ يجوز فيه الاعراب والبناء لان اضافته الى مبني اضافة غير محضة تقربه من الاسماء المركبة واضافته الى الجملة تقربه من الاضافة
الحقيقية ونون اذ لانه قد قطع عن الاضافة اذ من شان التنوين ان يعاقب بالاضافة المعنى ولما انذرهم سبحانه بالعذاب في
الدنيا عقبه بالانذار بعذاب الاخرة فقال فلنسئلن الذين ارسل اليهم ولنسئلن المرسلين اقسم الله سبحانه انه يسال المكلفين الذين
ارسل اليهم رسله واقسم ايضا انه يسال المرسلين الذين بعثهم فيسال هؤلاء عن الابلاغ ويسال اولئك عن الامتثال وهو تعالى وان كان
عالما بما كان منهم فانما اخرج الكلام مخرج التهديد والزجر ليتاهب العباد بحسن الاستعداد لذلك السؤال وقيل انه يسال الامم عن
الاجابة ويسال الرسل ماذا عملت اممهم فيما جاء وا به وقيل ان الامم يسالون سؤال توبيخ والانبياء يسالون سؤال شهادة على الحق
عن الحسن واما فايدة السؤال فاشياء منها ان يعلم الخلايق انه سبحانه ارسل الرسل وازاح العلة وانه لا يظلم احدا ومنها ان يعلموا
ان الكفار استحقوا العذاب بافعالهم ومنها ان يزداد سرور اهل الايمان بالثناء الجميل عليهم ويزداد غم الكفار بما يظهر من افعالهم القبيحة
ومنها ان ذلك لطف للمكلفين ومما يسال على هذا ان يقال كيف يجمع بين قوله تعالى ولا يسال عن ذنوبهم المجرمون فيومئذ لا يسال
عن ذنبه انس ولا جان وقوله فلنسئلن الذين ارسل اليهم فوربك لنسالنهم اجمعين والجواب عنه من وجوه احدها انه سبحانه نفى ان يسالهم
سؤال استرشاد واستعلام وانما يسالهم سؤال تبكيت وتقريع ولذلك قال عقيبه يعرف المجرمون بسيماهم وسؤال الاستعلام مثل قولك
اين زيد ومن عندك وهذا لا يجوز على الله سبحانه وسؤال التوبيخ والتقريع كمن يقول الم احسن اليك فكفرت نعمتي ومنه قوله الم اعهد
اليكم يا بني آدم الم تكن اياتي تتلى عليكم وكقول الشاعر اطربا وانت قنسري اي كبير السن وهذا توبيخ منه لنفسه اي كيف اطرب مع الكبر
والشيب وقد يكون السؤال للتقرير كقول الشاعر الستم خير من ركب المطايا واندى العالمين بطون راح اي انتم كذلك وفي ضده قوله
وهل يصلح العطار ما افسد الدهر اي لا يصلح واما سؤال المرسلين فليس بتقريع ولا توبيخ لهم ولكنه توبيخ للكفار وتقريع لهم وثانيها انهم
انما يسالون يوم القيمة كما قال وقفوهم انهم مسئولون ثم ينقطع مسالتهم عند حصولهم في العقوبة وعند دخولهم النار فلا تنافي بين
الخبرين بل هو اثبات للسؤال في وقت ونفي له في وقت آخر وثالثها ان في القيمة مواقف ففي بعضها يسال وفي بعضها لا يسال فلا تضاد
بين الايات واما الجمع بين قوله فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون وقوله فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون فهو ان الاول معناه
انهم لا يتساءلون سؤال استخبار عن الحال التي جهلها بعضهم لتشاغلهم عن ذلك ولكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه والثاني معناه يسال
بعضهم بعضا سؤال تلاوم وتوبيخ كما قال في موضع اخر يتلاومون وكقوله انحن صددناكم عن الهدى الاية ومثل ذلك كثير في القران ثم بين
سبحانه ما ذكرناه من انه لا يسالهم سؤال استعلام بقوله فلنقصن عليهم اي لنخبرنهم بجميع افعالهم ليعلموا ان اعمالهم كانت محفوظة
وليعلم كل منهم جزاء عمله وانه لا ظلم عليه ولنظهر لاهل الموقف احوالهم بعلم قيل معناه نقص عليهم اعمالهم بانا عالمون بها وقيل معناه بمعلوم
كما قال ولا يحيطون بشيء من علمه اي من معلومه وقال ابن عباس معنى قوله فلنقصن عليهم بعلم ينطق عليهم كتاب اعمالهم كقوله سبحانه
هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق وما كنا غايبين عن علم ذلك وقيل عن الرسل فيما بلغوا وعن الامم فيما اجابوا وذكر ذلك موكدا للعلم باحوالهم

والمعنى انه لا يخفى عليه شيء والوزن يومئذ الحق ذكر فيه اقوال احدها ان الوزن عبارة عن العدل في الاخرة وانه لا ظلم فيها على احد عن
مجاهد والضحاك وهو قول البلخي وثانيها ان الله ينصب ميزانا له لسان وكفتان يوم القيمة فيوزن به اعمال العباد الحسنات و
السيآت عن ابن عباس والحسن وبه قال الجبائي واختلفوا في كيفية الوزن لان الاعمال اعراض لا يجوز عليها الاعادة ولا يكون لها وزن
ولا تقوم بانفسها فقيل توزن صحايف الاعمال عن عبد الله بن عمر وجماعة وقيل تظهر علامات الحسنات وعلامات للسيآت في الكفتين
فيراها الناس عن الجبائي وقيل تظهر للحسنات صورة حسنة وللسيات صورة سيئة عن ابن عباس وقيل يوزن نفس المؤمن والكافر عن
عبيد بن عمير قال يؤتى بالرجل العظيم الجثة فلا يزن جناح بعوضة وثالثها ان المراد بالوزن ظهور مقدار المؤمن من العظم ومقدار الكافر
في الذلة كما قال سبحانه فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا فمن اتى بالعمل الصالح اي ثقل وزنه اي يعظم قدره فقد افلح ومن اتى بالعمل السيء الذي
لا وزن له ولا قيمة فقد خسر عن ابي مسلم واحسن الاقوال القول الاول وبعده الثاني وانما قلنا ذلك لانه اشتهر من العرب قولهم كلام فلان
موزون وافعاله موزونة يريدون بذلك انها واقعة بحسب الحاجة لا تكون ناقصة عنها ولا زايدة عليها زيادة مضرة او داخلة في باب
العبث قال مالك بن اسماء الفزاري وحديث الذه هو مما ينعت الناعتون يوزن وزنا منطق صايب وتلحن احيانا وخير الحديث [illegible]
لحنا اي تعرض في الكلام ولا تصرح به وقيل انه من اللحن الذي هو سرعة الفهم والفطنة وعلى هذا فيكون معنى الوزن ان قام في النفس
مساويا لغيره كما يقوم الوزن في مرآة العين كذلك واما حسن القول الثاني فلمراعاة الخبر الوارد فيه والجري على ظاهره فمن ثقلت موازينه انما
جمع الموازين لانه يجوز ان يكون لكل نوع من انواع الطاعات يوم القيمة ميزان ويجوز ان يكون كل ميزان صنف من اصناف اعماله ويؤيد هذا
ما جاء في الخبر ان الصلوة ميزان فمن وفى استوفى فاولئك هم المفلحون اي الفايزون بثواب الله ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا
انفسهم بان استحقوا عذاب الابد بما كانوا باياتنا يظلمون اي يجحدون بما جاء به محمد صلى الله عليه وآله من اياتنا وحججنا والخسران ذهاب
راس المال ومن اعظم راس المال النفس فاذا اهلك نفسه بسوء عمله فقد خسر نفسه قوله تعالى ولقد مكناكم في الارض وجعلنا لكم
فيها معايش قليلا ما تشكرون ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين
آيتان القراءة قرا كل القراء معايش بغير همز وروى بعضهم عن نافع معائش ممدودا مهموزا الحجة قال ابو علي معايش جمع معيشة واعتل
معيشة لانه على وزن يعيش وزيادته زيادة تختص الاسم دون الفعل فلم يحتج الى الفصل بين الاسم والفعل كما احتيج اليه فيما كانت زيادته
مشتركة نحو الهمزة في اخاف وهو اخوف منك وموافقة الاسم لبناء الفعل يوجب في الاسم الاعتلال الا ترى انهم اعلوا بابا ونابا ويوم راح
لما كان على وزن الفعل وصححوا نحو حول وغيبة ولومة لما لم تكن على مثال الفعل فمعيشة موافقة للفعل في البناء الا ترى انه مثل يعيش
في الزنة وتكسيرها يزيل مشابهته في البناء فقد علمت بذلك زوال المعنى الموجب للاعلال في الواحد في الجمع فلزم التصحيح في التكسير لزوال
المشابهة في اللفظ ولان التكسير معنى لا يكون في الفعل انما يختص به الاسم واذا كانوا قد صححوا نحو الجولان والهيمان مع قيام بناء الفعل
فيه لما لحقه من الزيادة التي يختص بها الاسم فتصحيح قولهم معايش الذي قد زال مشابهة الفعل في اللفظ والمعنى لا اشكال فيه وفي وجوب
العدل عن اعلاله ومن اعل فهمز فجاز على وجه اللفظ وهو ان معيشة على وزن مصيبة فتوهمها فعيلة فهمزها كما همز مصايب ومثل
ذلك ما حمل على اللفظ قولهم في جمع مسيل امسلة توهموه فعيلة وانما هو مفعلة وذكر المحققون ان الهمزة في هذه الياء انما تكون اذا كانت
زايدة نحو صحيفة وصحايف وانما تهمز الياء الزايدة لانه لا حظ لها في الحركة وقد قربت من آخر الكلمة ولزمتها الحركة فاوجبوا فيها الهمز واذا
جمعت مقاما قلت مقاوم انشدوا واني لقوام مقاوم لم يكن جرير ولا مولى جرير يقومها اللغة التمكين اعطاء ما يصح به الفعل مع رفع
المنع لان الفعل كما يحتاج الى القدرة فقد يحتاج الى آلة والى دلالة والى سبب ويحتاج الى ارتفاع المنع فالتمكين عبارة عن جميع ذلك
والجعل ايجاد ما به يكون الشيء على خلاف ما كان عليه مثل ان تقول جعلت الساكن متحركا لانك فعلت فيه الحركة ونظيره التصيير وجعل
الشيء اعم من حدوثه لانه قد يكون حدوث غيره مما يتغير به والمعيشة ما يكون وصلة الى ما فيه الحيوة من جهة المطعم والمشرب والملبس
والخلق احداث الشيء على تقدير تقتضيه الحكمة والتصوير جعل الشيء على صورة من الصور والصورة بنية مقومة على هيئة ظاهرة والسجود
اصله الانخفاض وحقيقته وضع الجبهة على الارض الاعراب قليلا نصب بتشكرون وتقديره تشكرون قليلا وما زايدة ويجوز ان يكون

ما مع ما بعدها بمنزلة المصدر فيكون تقديره قليلا شكركم المعنى ثم ذكر سبحانه نعمه على البشر بالتمكين في الارض وما خلق فيها من
الارزاق مضافة الى نعمه السابغة عليهم بانزال الكتب وارسال الرسل فقال ولقد مكناكم في الارض اي مكناكم في الارض اى مكناكم من
التصرف فيها وملكناكموها وجعلناها لكم قرارا وجعلنا لكم فيها معايش اى ما يعيشون به من انواع الرزق ووجوه النعم والمنافع وقيل
يريد المكاسب والاقدار عليها بالعلم والقدرة والالات قليلا ما تشكرون ثم انتم مع هذه النعم التى انعمناها عليكم لتشكروا قد قل
شكركم ثم ذكر سبحانه نعمته فى ابتداء الخلق فقال ولقد خلقناكم ثم صورناكم قال الاخفش ثم ههنا فى معنى الواو قال الزجاج وهذا خطاء لا
يجيزه الخليل وسيبويه وجميع من يوثق بعلمه انما ثم للشيء الذي يكون بعد المذكور قبله لا غير وانما المعنى فى هذا الخطاب ذكر ابتداء الخلق
اولا فالمراد انا بدأنا خلق آدم ثم صورناه فابتداء خلق ادم التراب ثم وقعت الصورة بعد ذلك فهذا معنى خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة
اسجدوا لادم بعد الفراغ من خلق آدم فثم انما هو لما بعد وهذا مروى عن الحسن ومن كلام العرب فعلنا بكم كذا وكذا وهم يعنون اسلافهم
وفى التنزيل واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور اى ميثاق اسلافكم وقد قيل فى ذلك اقوال اخر منها ان معناه خلقنا آدم ثم صورناكم
فى ظهره ثم قلنا للملائكة عن ابن عباس ومجاهد والربيع وقتادة والسدى ومنها ان الترتيب وقع فى الاخبار فكانه قال خلقناكم ثم صورناكم
ثم انا نخبركم انا قلنا للملائكة اسجدوا لادم كما يقول القايل انا راحل ثم انا مسرع وهذا قول جماعة النحويين منهم على بن عيسى والقاضى ابو سعيد
السيرافى وغيرهما وعلى هذا فقد قيل ان المعنى خلقناكم فى اصلاب الرجال ثم صورناكم فى ارحام النساء عن عكرمة وقيل خلقناكم فى الرحم
ثم صورناكم بشق السمع والبصر وسائر الاعضاء عن يمان وقول الشاعر سالت ربيعة من خيرها ابا ثم اما فقالت لمه فمعناه لتجيب
اولا عن الاب ثم الام وقوله فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين قد مضى الكلام فيه فى سورة البقرة قوله تعالى قَالَ مَا مَنَعَكَ
أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ
ايتان اللغة الصاغر الذليل بصغر القدر يقال صغر يصغر صغرا وصغارا فهو صاغر اذا رضى بالضيم ومن الصغر ضد الكبر صغر يصغر
ابن السكيت يقال فلان صغرة ولد ابيه اى اصغرهم الاعراب ما فى قوله ما منعك مرفوع الموضع والمعنى اى شيء منعك ولا ملغى فى قوله
الا تسجد المعنى ما منعك ان تسجد ومثله قوله سبحانه لئلا يعلم ومعناه لان يعلم وقال الشاعر ابى جوده لا البخل واستعجلت به نعم من فتى
لا يمنع الجود قاتله قالوا معناه ابى جوده البخل وقال ابو عمرو بن العلاء الرواية ابى جوده لا البخل بالجر والمعنى ابى جوده لا التى هى البخل فكانه
قال ابى جوده البخل وقد قيل انما دخل لا فى قوله الا تسجد لان معناه ما دعاك الى ان لا تسجد او ما احوجك الى ان لا تسجد المعنى ثم حكى
سبحانه خطابه لابليس حين امتنع من السجود لادم بقوله قال اي قال الله تعالى ما منعك ان لا تسجد اى ما دعاك الى ان تسجد وما اضطرك
اليه او ما منعك ان تسجد اذ امرتك بالسجود لادم قال ابليس انا خير منه اى من ادم خلقتنى من نار وخلقته من طين وهذا الجواب غير مطابق
لانه كان يجب ان يقول منعنى كذا لان قوله انا خير منه جواب لمن يقول ايكما خير ولكن فيه معنى الجواب ويجرى ذلك مجرى ان يقول
القايل لغيره كيف كنت فيقول انا صالح وكان يجب ان يقول كنت صالحا لكنه جاز ذلك لانه افاد انه صالح فى الحال مع انه كان صالحا
فيما مضى قال ابن عباس اول من قاس ابليس وما عبدت الشمس والقمر الا بالمقاييس ووجه دخول الشبهة على ابليس انه ظن ان النار
اذا كانت اشرف من الطين لم يجز ان يسجد الاشرف للادون وهذا خطاء لان ذلك تابع لما يعلم الله سبحانه من مصالح العباد وقد قيل ايضا
ان الطين خير من النار لانه اكثر منافع للخلق من حيث ان الارض مستقر الخلق وفيها معايشهم ومنها تخرج انواع ارزاقهم والخيرية انما
يراد بها كثرة المنافع دون كثرة الثواب لان الثواب لا يكون الا للمكلف المامور دون الجماد قال اي قال الله سبحانه لابليس فاهبط اي
انزل وانحدر منها اى من السماء عن الحسن وقيل من الجنة وقيل معناه انزل عما انت عليه من الدرجة الرفيعة والمنزلة الشريفة التي
هى درجة متبعى امر الله وحافظى حدوده الى الدرجة الدنية التى هى درجة العاصين المضيعين لامر الله فما يكون لك ان تتكبر عن امر
امر الله فيها اي فى الجنة او فى السماء فانها ليست بموضع المتكبرين وانما موضعهم النار كما قال اليس فى جهنم مثوى للمتكبرين فاخرج من
المكان الذي انت فيه او المنزلة التى انت عليها انك من الصاغرين اى من الاذلاء بالمعصية فى الدنيا لان العاصى ذليل عند من عصاه او
بالعذاب فى الاخرة لان المعذب ذليل وهذا الكلام انما صدر من الله سبحانه على لسان بعض الملئكة من الجبابرة وقيل ابليس راى معجزة تدله

على ان ذلك كلام الله سبحانه فما يكون لك ان تتكبر فيها لا يدل على انه لا يجوز التكبر في الجنة فان التكبر لا يجوز على حال لانه اظهار كبر النفس
على جميع الاشياء وهذا في صفة العباد ذم وفي صفة الله سبحانه مدح الا ان ابليس تكبر على الله سبحانه في الجنة فاخرج منها قسرا ومن تكبر
خارج الجنة منع من ذلك الامر والنهي قوله تعالى قال انظرني الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين قال فبما اغويتني
لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم ولا تجد اكثرهم شاكرين اربع آيات
اللغة الانظار والامهال والتاخير والتأجيل نظاير وبينها فروق وضد الامهال الاعجال والبعث الاطلاق في الامر والانبعاث
الانطلاق والبعث والحشر والنشر والجمع نظاير الاعراب لاقعدن جواب القسم والقسم محذوف لان غرضه بالكلام التاكيد وهو ضد قوله
ص والقرآن ذي الذكر فانه حذف الجواب هناك وبقي القسم لان الغرض تعظيم المقسم به ونصب صراطك على الحذف دون الظرف
وتقديره على صراطك كما قيل ضرب زيد الظهر والبطن اي على الظهر والبطن قال الشاعر لدن بهز الكف يعسل متنه فيه كما عسل الطريق
الثعلب وقال اخر كاني اذا اسعى لاظفر طايرا مع النجم في جو السماء يصوب اي لاظفر على طاير المعنى قال يعني ابليس انظرني اي امهلني
واخرني في الاجل ولا تمتني الى يوم يبعثون اي يبعث الخلق من قبورهم للجزاء وقيل معناه انظرني في الجزاء الى يوم القيمة فكانه خاف ان
يعاجله الله سبحانه بالعقوبة يدل عليه قوله الى يوم يبعثون ولم يقل الى يوم يموتون ومعلوم ان شاء الله تعالى ان لا يبقى احدا حيا الى يوم
القيمة قال الكلبي اراد الخبيث ان لا يذوق الموت بين النفختين وهو اربعون سنة واما الوجه في مسئلة ابليس الانظار مع علمه بانه
مطرود ملعون فعلمه بان الله عز وجل يظاهر الى عباده بالنعم ويعمهم بالفضل والكرم فلم يصرفه ارتكابه المعصية عن المسئلة والطمع
في الاجابة قال اي قال الله سبحانه لابليس انك من المنظرين اي من المؤخرين قال ابليس لما لعنه الله سبحانه وطرده ثم ساله الانظار
فاجابه الله تعالى الى شيء منه فبما اغويتني اي فبالذي اغويتني قيل في معناه اقوال احدها ان معناه بما خيبتني من رحمتك وجنتك
كما قال الشاعر فمن يلق خيرا يحمد الناس امره ومن يغو لا يعدم على الغي لائما اي من يخيب وثانيها ان المراد امتحنتني بالسجود لآدم فغويت
عنده فكذلك قال اغويتني كما قال فزادتهم رجسا الى رجسهم وثالثها ان معناه حكمت بغوايتي كما يقال اضللتني اي حكمت بضلالي عن
ابن عباس وابن زيد ورابعها ان معناه اهلكتني بلعنك اياي كما قال الشاعر معطفة الاثناء ليس فصيلها برازيها درا ولا ميت غوى
اي ولا ميت هلاكا وقالوا غوى الفصيل اذا نفذ اللبن فمات والمصدر غوى مقصور وخامسها ان يكون الكلام على ظاهره من الغواية
ولا يبعد ان يكون ابليس قد اعتقد ان الله تعالى يغوي الخلق بان يضلهم ويكون ذلك من جملة ما كان اعتقده من الشر لاقعدن اي لا
لاجلسن لهم اي لاولاد آدم صراطك المستقيم اي على طريقك المستوي وهو طريق الحق لاصدهم عنه بالاغواء حتى اصرفهم الى طريق الباطل
كيدا لهم وعداوة وقول من قال انه لو كان ما يفعل به الايمان هو بعينه ما يفعل به الكفر لكان قوله فبما اغويتني مساويا لقوله لو قال بما اصلحتني
يفسد بان صفة الالة اذا وقع بها الكفر خلاف صفتها اذا وقع بها الايمان وان كانت الالة واحدة كما ان السيف واحد ويصلح لان
يستعمل في قتل المؤمن كما يصلح لان يستعمل في قتل الكافر ولا يجب من ذلك ان تكون الصفتان واحدة من اجل انه واحد فلا يمتنع ان يكون
متى استعمل الة الايمان في الضلال والكفر يسمى اغواء وان استعملت في الايمان سميت هداية وان كان ما يصح به الايمان هو بعينه ما يصح
به الكفر والضلال ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم قيل في ذلك اقوال احدها ان المعنى من قبل
دنياهم وآخرتهم ومن جهة حسناتهم وسيئاتهم عن ابن عباس وقتادة والسدي وابن جريج وتلخيصه اني ازين لهم الدنيا واخوفهم بالفقر
واقول لهم لا جنة ولا نار ولا بعث ولا حساب واثبطهم عن الحسنات واشغلهم عنها واحبب اليهم السيئات واحثهم عليها قال ابن عباس
وانما لم يقل ومن فوقهم لان فوقهم جهة نزول الرحمة من السماء فلا سبيل له الى ذلك ولم يقل من تحت ارجلهم لان الاتيان منه يوحش
وثانيها ان معنى من بين ايديهم وعن ايمانهم من حيث يبصرون ومن خلفهم وعن شمائلهم من حيث لا يبصرون عن مجاهد وثالثها
ما روي عن ابي جعفر عليه السلم قال ثم لآتينهم من بين ايديهم معناه اهون عليهم امر الآخرة ومن خلفهم آمرهم بجمع الاموال والبخل بها
عن الحقوق لتبقى لورثتهم وعن ايمانهم افسد عليهم امر دينهم بتزيين الضلالة وتحسين الشبهة وعن شمائلهم بتحبيب اللذات اليهم و
تغليب الشهوات على قلوبهم وانما دخلت من في القدام والخلف وعن في اليمين والشمال لان في القدام والخلف معنى طلب النهاية وفي اليمين

والشمال

والشمال الانحراف عن الجهة ولا تجد اكثرهم شاكرين هذا اخبار من ابليس ان الله تعالى لا يجد اكثر خلقه شاكرين وقيل انه يمكن ان يكون
قد قال ذلك من احد وجهين اما من جهة الملئكة باخبار الله تعالى اياهم واما عن ظن منه كما قال الله سبحانه ولقد صدق عليهم ابليس
ظنه فانه لما استزل ادم ظن ان ذريته ايضا سيجيبونه لكونهم اضعف منه والقول الاول اختيار الجبائي والثاني عن الحسن
وابي مسلم قوله تعالى قال اخرج منها مذؤما مدحورا لمن تبعك منهم لاملان جهنم منكم اجمعين ۞ ويا ادم اسكن انت وزوجك الجنة
فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ۞ فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما وورى عنهما من سوآتهما
وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين ۞ وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين ۞ اربع ايات
القراءة في الشواذ قراءة الزهري مذوما وقرئ سواتهما على تخفيف الهمزة وقرا ابو جعفر وشيبة سواتهما بتشديد الواو وهو قراءة الحسن
والزهري وقرا ابن محيصن عن هذي الشجرة الحجة الوجه في تخفيف السوءة انه يحذف ويلقي حركتها على الواو فيقال السوة ومنهم من
يقول السوة وهو اردا اللغتين واما هذي الشجرة فانه الاصل في الكلمة وانما الهاء في ذه بدل من الياء في ذي واما الياء اللاحقة بعد الهاء
في هذه فزايدة لحقت بعد الهاء تشبيها لها بهاء الاضمار في نحو مررت بهي اللغة الذام والذيم اشد العيب يقال ذامه
يذامه ذاما فهو مذؤم وذامه يذيمه ذيما وذاما فهو مذيم قال الشاعر صحبتك اذ عيني عليها غشاوة فلما انجلت قطعت نفسي اذيمها
وفي رواية الومها والدحر الدفع على وجه الهوان والاذلال دحره يدحره دحرا ودحورا والوسوسة الدعاء الى امر بصوت خفي كالهينمة
والخشخشة قال رؤبة وسوس يدعو مخلصا رب الفلق سرا وقد اون تاوين العقق وقال الاعشى تسمع للحلي وسواسا اذا انصرفت
كما استعان بريح عشرق زجل و[illegible]ه الاظهار وهو جعل الشيء على صفة ما يصح ان يدرك وضده الاخفاء وكل شيء ازيل عنه الساتر فقد
ابدي والمواراة جعل الشيء وراء [illegible] ومثله المساترة وضده المكاشفة ولم يهمز ووري لان الثانية مدة ولولا ذلك لوجب همز الواو
المضمومة والسوءة الفرج لانه يسوء صاحبه اظهاره واصل القسم من القسمة قال اعشى بن ثعلبة رضيعي لبان ثدي ام تقاسما باسحم داج عوض
لا نتفرق والمقاسمة لا يكون الا بين اثنين والقسم كان من ابليس لا من آدم فهو من باب عاقبت اللص وطارقت النعل وعافاه الله وقيل
ان في جميع ذلك معنى المقابلة فالمعاقبة مقابلة بالجزاء وكذلك المعافاة مقابلة المرض بالسلامة وكذلك المقاسمة مقابلة في المنازعة
باليمين والنصح نقيض الغش يقال نصحته انصحه وهو اخلاص الفاعل ضميره فيما يظهر من عمله الاعراب لمن تبعك منهم اللام الاولى لام
الابتداء والثانية لام القسم ومن للشرط وهو في موضع رفع بالابتداء ولا يجوز ان يكون هنا بمعنى الذي لانها لا تقلب الماضي الى الاستقبال
وحذف الجزاء في قوله لمن تبعك لان جواب القسم اولى بالذكر من حيث انه في صدر الكلام ولو كان القسم في حشو الكلام لكان الجزاء
احق بالذكر من جواب القسم كقولك ان تاتني والله اكرمك ويجوز ان تقول والله لمن جاءك اضربه بمعنى لاضربه ولم يجز بمعنى لاضربنه
كما يجوز والله اضرب زيدا بمعنى لا اضرب ولا يجوز بمعنى لاضربن لان الايجاب لا بد فيه من نون التاكيد مع اللام وانما قال منكم على التغليب
للخطاب على الغيبة والمعنى لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم كما قاله في موضع اخر وقوله الا ان تكونا تقديره الا كراهة ان تكونا
ملكين فحذف المضاف فهو في موضع نصب بانه مفعول له وقيل ان تقديره لان لا تكونا فحذف لا والاول الصحيح وقوله اني لكما لمن الناصحين
تقديره اني لكما ناصح ثم فسر ذلك بقوله لمن الناصحين ولا يكون قوله لكما متعلقا بالناصحين لان ما في الصلة لا يجوز ان يتقدم على الموصول
ومثله قوله وانا على ذلكم من الشاهدين تقديره وانا على ذلكم شاهد وبينه بقوله من الشاهدين المعنى ثم بين سبحانه ما فعله بابليس
من الاهانة والاذلال وما اتاه ادم من الاكرام والاجلال بقوله قال اخرج منها اي من الجنة او من السماء او من المنزلة الرفيعة مذؤما اي
مذموما عن ابن زيد وقيل معيبا عن المبرد وقيل مهانا عن ابن عباس وقتادة مدحورا اي مطرودا عن مجاهد والسدي لمن تبعك منهم
اي من بني آدم معناه من اطاعك واقتدى بك من بني آدم لاملان جهنم منكم اي منك ومن ذريتك وكفار بني آدم اجمعين وانما جمعهم
في الخطاب لانه لا يكون في جهنم الا ابليس وحزبه من الشياطين وكفار الانس وضلالهم الذين انقادوا له وتركوا امر الله لاتباعه ويا ادم
اسكن انت وزوجك الجنة هذا امر بالسكنى دون السكون وانما لم يقل زوجتك لان الاضافة اليه تداغنت عن ذكره وابانت عن معناه
فكان الحذف احسن لما فيه من الايجاز من غير اخلال بالمعنى فكلا من حيث شئتما اباح الله سبحانه لهما ان ياكلا من حيث شاءا واين شاءا

ولا تقربا هذه الشجرة بالاكل فتكونا من الظالمين اى من الباخسين نفوسهم الثواب العظيم وقد مضى تفسير هذه الآية مشروحا فى سورة البقرة
فوسوس لهما اى لآدم وحوا الشيطان الفرق بين وسوس اليه ووسوس له ان معنى وسوس اليه انه القى الى قلبه المعنى بصوت خفى ومعنى
وسوس له انه اوهمه النصيحة له فى ذلك ليبدى لهما اى ليظهر لهما ما ورى اى ستر عنهما من سوآتهما اى عوراتهما وهذا الظاهر يوجب
ان يكون ابليس علم ان من اكل من هذه الشجرة بدت عورته وان من بدت عورته لا يترك فى الجنة فاحتال فى اخراجهما منها بالوسوسة وقال
ما نهيكما ربكما عن هذه الشجرة اى عن اكل هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين والمعنى انه اوهمهما انهما اذا اكلا من هذه الشجرة
تغيرت صورتهما الى صورة الملك وان الله تعالى قد حكم بذلك وبان لا يبيد حيوتهما اذا اكلا منها وروى عن يحيى بن ابى كثير انه قرا ملكين
بكسر اللام قال الزجاج قوله هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى يدل على ملكين واحسبه وقد قرئ به ويحتمل ان يكون المراد بقوله
الا ان تكونا ملكين انه اوهمهما ان المنهى عن تناول الشجرة الملائكة خاصة والخالدين دونهما فيكون كما يقول احدنا لغيره ما نهيت عن
كذا الا ان تكون فلانا وانما يريد ان المنهى انما هو فلان دونك وهذا المعنى اوكد فى الشبهة واللبس عليهما ذكره المرتضى قدس الله روحه
وقاسمهما اى حلف لهما بالله تعالى حتى خدعهما عن قتادة انى لكما لمن الناصحين اى المخلصين النصيحة فى دعائكما الى التناول من هذه
الشجرة ولذلك تاكدت الشبهة عندهما اذ ظنا ان احدا لا يقدم على اليمين بالله تعالى الا صادقا فدعاهما ذلك الى تناول الشجرة واستدل
جماعة من المعتزلة بقوله الا ان تكونا ملكين على ان الملئكة افضل من الانبياء قالوا لان ابليس رغبهما بالتناول من الشجرة فى منزلة الملئكة
حتى تناولا ولا يجوز ان يرغب عاقل فى ان يكون على منزلة دون منزلته فيحمله ذلك على معصية الله تعالى واجاب عنه المرتضى رضى الله عنه
بان قال ما انكرتم ان تكون الآية محمولة على الوجه الثانى الذى ذكرناه دون ان يكون معناها ان ينقلبا الى صفة الملئكة واذا كانت
الآية محتملة لما ذكرناه ايضا فمما يرفع هذه الشبهة ان يقال ما انكرتم ان يكونا رغبا فى ان ينقلبا الى صفة الملئكة وخلقتهم لما رغبهما ابليس
فى ذلك ولا يدل هذه الرغبة على ان الملئكة افضل منهما فان الثواب انما يستحق على الطاعات دون الصور والهيات ولا يمتنع ان يكونا
رغبا فى صور الملئكة وهيئتها ولا يكون ذلك رغبة فى الثواب ولا الفضل الا ترى انهما رغبا فى ان يكونا من الخالدين وليس الخلود مما يقتضي
مزية فى الثواب ولا الفضل قوله تعالى فَدَلّٰيهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ
عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادٰيهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ * قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا
وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ * قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ * قَالَ فِيهَا
تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ * اربع آيات القراءة قرا اهل الكوفة غير عاصم تخرجون بفتح التاء ههنا وفى الروم والزخرف
والجاثية لا يخرجون منها بفتح الياء ووافقهم يعقوب وسهل ههنا وابن ذكوان ههنا وفى الزخرف وقرا الباقون جميع ذلك بضم التاء والياء
الحجة من قرا بالفتح فحجته اتفاق الجميع فى قوله اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون بفتح التاء وقوله الى ربهم ينسلون يؤيده ايضا
وقوله كما بداكم تعودون ومن قرا بالضم فحجته قوله ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون وقوله كذلك نخرج الموتى اللغة
دليهما قيل اصله من تدلية الدلو وهو ان يرسلها فى البير والغرور اظهار النصح مع ابطان الغش واصله الغرطي الثوب يقال اطوه على غره
اى على كسر طيه فالغرور بمنزلته لما فيه من اظهار حال واخفاء حال وطفق يفعل كذا بمعنى جعل يفعل ومثله ظل يفعل واستاء يفعل واخذ يفعل
والخصف اصله الضم والجمع ومنه خصف النعل والمخصف المثقب الذى يخصف به النعل ومنه قول النبى عليه السلم لكنه خاصف النعل فى
الحجرة يعنى عليا عليه السلم والاحصاف سرعة العدو لانه يقطعه بسرعة والبعض هو احد قسمى العدة فالخمسة قسمى العشرة بعضها والواحد قسمى
الاثنين كذلك ولا بعض للواحد لانه لا ينقسم قال على بن عيسى العدو هو النائى بنصرته فى وقت الحاجة الى معونته والولى هو الدانى بنصرته وقت
الحاجة اليها والمستقر هو موضع الاستقرار وهو ايضا الاستقرار بعينه لان المصدر يجئ على وزن المفعول والمتاع الانتفاع بما فيه عاجل
استلذاذ والحين الوقت قصيرا كان او طويلا الا انه استعمل هنا على طول الوقت وليس باصل فيه المعنى فدليهما بغرور اى اوقعهما فى
المكروه بان غرهما بيمينه وقيل معناه دلهما من الجنة الى الارض وقيل معناه خذلهما وخلاهما من قولهم تدلى من الجبل او السطح اذا نزل الى جهة
السفل عن ابى عبيدة اى حطهما عن درجتهما بغروره فلما ذاقا الشجرة اى ابتدا بالاكل ونالا منها شيئا يسيرا ولذلك اتى بلفظة ذاقا عبارة عن

انهما نالا شيئا قليلا من ثمر الشجرة على خوف شديد لان الذوق ابتداء الاكل والشرب لتعرف الطعم وفى هذا دلالة على ان ذوق الشئ المحرم
يوجب الذم فكيف استيفاؤه وقضا الوطر منه بدت لهما سوآتهما اى ظهرت لهما عوراتهما وظهر لكل واحد منهما عورة صاحبه قال الكلبى
فلما اكلا منها تهافت لباسهما عنهما فابصر كل منهما سوأة صاحبه فاستحييا وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة اى اخذا يجعلان ورقة على
ورقة ليستر اسواتهما عن الزجاج وقيل معناه جعلا يقطعان ويصلان عليهما من ورق الجنة وهو ورق التين حتى صار كهيئة الثوب عن قتادة
وهذا انما كان لان المصلحة اقتضت اخراجهما من الجنة واهباطهما الى الارض لا على وجه العقوبة فان الانبياء لا يستحقون العقوبة وقد
مضى الكلام فيه فى سورة البقرة وناديهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة اى عن تلك الشجرة لكنه لما خاطب اثنين قال تلكما والكاف حرف
خطاب واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين ظاهر المعنى قالا اى قال ادم وحوا لما عاتبهما الله سبحانه ووبخهما على ارتكاب المنهى عنه ربنا
ظلمنا انفسنا معناه بخسناها الثواب بترك المندوب اليه فالظلم هو النقص ومن ذهب الى انهما فعلا صغيرة فانه يحمل الظلم على تنقيص
الثواب اذ كانت الصغيرة عنده تنقص من ثواب الطاعات فاما من قال ان الصغيرة تقع مكفرة من غير ان ينقص من ثواب فاعلها شيئا فلا
يتصور هذا المعنى عنده ولا يثبت فى الاية فايدة فلا خلاف ان ادم وحوا لم يستحقا العقاب وانما قالا ذلك لان من جل فى الدين قدمه كثر على
يسير الزلل ندمه وقيل معناه ظلمنا انفسنا بالنزول الى الارض ومفارقة العيش الرغد وان لم تغفر لنا معناه وان لم تستر علينا لان المغفرة هى
الستر على ما تقدم بيانه وترحمنا اى ولم تتفضل علينا بنعمك التى تتم بها ما فوتنا ه نفوسنا من الثواب وبضروب فضلك لنكونن من الخاسرين
اى من جملة من خسر ولم يربح والانسان يصح ان يظلم نفسه بان يدخل عليها ضررا غير مستحق ولا يدفع عنها ضررا اعظم منه ولا يجتلب به
منفعة توفى عليه ولا يصح ان يكون معاقبا لنفسه قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الارض مستقر ومتاع الى حين قد مر تفسيره فى سورة
البقرة قال الله تعالى فيها تحيون اى فى الارض تعيشون وفيها تموتون ومنها تخرجون عند البعث يوم القيمة قال الجبائى فى الاية دلالة على ان
الله سبحانه يخرج العباد يوم القيمة من هذه الارض التى حيوا فيها بعد موتهم وانه يفنيها بعد ان يخرج العباد منها فى يوم الحشر وان اراد
افناها زجرهم عنها زجرة فيصيرون الى ارض اخرى يقال لها الساهرة ويفنى هذه كما قال فاذا هم بالساهرة قوله تعالى يا بنى ادم قد انزلنا
عليكم لباسا يوارى سوآتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من ايات الله لعلهم يذكرون يا بنى ادم لا يفتننكم
الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما انه يريكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم انا جعلنا
الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها قل ان الله لا يامر بالفحشاء اتقولون
على الله ما لا تعلمون ثلث ايات القراءة قرا اهل المدينة وابن عامر والكساي ولباس بالنصب والباقون بالرفع الحجة قال ابو علي
اما النصب فلانه حمل على انزل اى انزلنا عليكم لباسا ولباس التقوى وقوله ذلك على هذا مبتدأ وخبره خير ومن رفع فقال ولباس التقوي
قطع اللباس من الاول واستانف به فجعله مبتدأ وذلك صفة او بدل او عطف بيان ومن قال ان ذلك لغو لم يكن على قوله دلالة لانه يجوز
ان يكون على احد ما ذكرنا وخبر خير اللباس والمعنى لباس التقوى خير لصاحبه اذا اخذ به واقرب الى الله تعالى مما خلق له من اللباس والرياش
الذي يتجمل به واضيف اللباس الى التقوى كما اضيف الى قوله فاذاقها الله لباس الجوع الى الجوع والخوف اللغة اللباس كلما يصلح للبس من ثوب
او غيره من نحو الدرع وما يغشى به البيت من نطع او كسوة واصله المصدر تقول لبسه يلبسه لبسا ولباسا ولبسا بكسر اللام قال الشاعر فلما
كشفنا اللبس عنه مسحنه باطراف طفل زان غيلا موشما والغيل الساعد الريان الممتلئ والريش والاثاث من متاع البيت من فراش او دثار
وقيل الريش ما فيه الجمال ومنه ريش الطاير وقيل انه المصدر من راشه يريشه ريشا وانشد سيبويه رئشي منكم وهواى معكم وان كانت
زيارتكم لماما قال الزجاج الريش كل ما ستر الرجل فى جسمه ومعيشته يقال تريش فلان اى صار له ما يعيش به وتقول العرب اعطيته رحلا
بريشته اى بكسوته وقال ابو عبيدة الريش والرياش ما ظهر من اللباس والفتنة الابتلاء والامتحان يقال فتنت الذهب بالنار امتحنته
وقلب فاتن اى مفتون قال الشاعر رخيم الكلام قطيع القيام امسى فؤادي بها فاتنا القبيل الجماعة من قبايل شتى واذا كانوا من اب وام
واحدهم قبيلة المعنى لما ذكر سبحانه نعمته على بنى آدم فى تبوئة الدار والمستقر عقبه بذكر النعمة فى الملابس والستر فقال يا بنى آدم هو خطاب
عام لجميع اهل الازمنة من المكلفين كما يوصى الانسان ولده وولد ولده بتقوى الله ويجوز خطاب المعدوم اذا كان من المعلوم انه سيوجد

ويكامل فيه شروط التكليف قد انزلنا عليكم لباسا قيل انه انزل ذلك مع آدم وحواء حين امرا بالاهباط عن الجبائي وهو الظاهر وقيل معناه
انه ينبت المطر الذي ينزل من السماء عن الحسن وقيل لان البركات تنسب الى انها تاتي من السماء كقوله وانزلنا الحديد فيه باس شديد عن علي بن
عيسى وقيل معنى انزلنا عليكم اعطيناكم ووهبنا لكم وكل ما اعطاه الله تعالى لعبده فقد انزله عليه ليس ان هناك علوا وسفلا ولكنه يجري
مجرى التعظيم كما يقال رفعت حاجتي الى فلان ورفعت قصتي الى الامير عن ابي مسلم وقيل معناه خلقنا لكم كما قال وانزلنا لكم من الانعام ثمانية ازواج
وانزلنا الحديد عن ابي علي الفارسي لباسا يواري سوآتكم اي يستر عوراتكم وريشا اي اثاثا مما تحتاجون اليه وقيل مالا عن ابن عباس ومجاهد
والسدي وقيل جمالا عن ابن زيد وقيل خصبا ومعاشا عن الاخفش وقيل خيرا وكل ما قاله المفسرون فانه يدخل فيه الا ان كلا منهم خص بعض
الخير بالذكر ولباس التقوى هو العمل الصالح عن ابن عباس وقيل هو الحياء الذي يكسبكم التقوى عن الحسن وقيل هو ثياب النسك والتواضع
اذا اقتصر عليه كلباس الصوف والخشن من الثياب عن الجبائي وقيل هو لباس الحرب الدرع والمغفر والالات التي يتقى بها من العدو عن
زيد بن علي بن الحسين عليهم السلم وابي مسلم وقيل هو خشية الله تعالى عن عروة بن الزبير وقيل هو ستر العورة يتقي الله فيواري عورته عن
ابن زيد وقيل هو الايمان عن قتادة والسدي ولا مانع من حمل ذلك على الجميع ذلك خير اي لباس التقوى خير من جميع ما يلبس ذلك من آيات
الله اي ذلك الذي خلقه الله وانزله من حجج الله التي تدل على توحيده لعلهم يذكرون معناه لكي يتفكروا فيها فيؤمنوا بالله ويصيروا الى
طاعته وينتهوا عن معصيته ثم خاطبهم سبحانه مرة اخرى فقال يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان اي لا يضلنكم عن الدين ولا يصرفنكم عن الحق بان
يدعوكم الى المعاصي التي تميل اليها النفوس وانما صح ان ينهى الانسان بصيغة النهي للشيطان لانه ابلغ في التحذير من حيث يقتضي انه يطلبنا
بالمكروه ويقصدنا بالعداوة فالنهي له يدخل فيه النهي لنا عن ترك التحذير منه كما اخرج ابويكم من الجنة نسب الاخراج اليه لما كان باغوائه وان
كان خروجهما بامر الله تعالى وجرى ذلك مجرى ذمه لفرعون بانه يذبح ابناءهم وانما امر بذلك وتحقيق الذم راجع الى فعل المذموم ولكنه
يذكر بهذه الصفة لبيان منزلة فعله في عظم الفاحشة ينزع عنهما عند وسوسته ودعائه لهما لباسهما من ثياب الجنة وقيل كان لباسهما الظفر
عن ابن عباس اي كان شبه الظفر وعلى خلقته وقيل كان لباسهما نورا عن وهب بن منبه ليريهما سوآتهما عوراتهما انه يعني الشيطان يراكم
هو وقبيله اي نسله عن الحسن وابن زيد يدل عليه قوله افتتخذونه وذريته اولياء من دوني وقيل جنوده واتباعه من الجن والشياطين من
حيث لا ترونهم قال ابن عباس ان الله تعالى جعلهم يجرون من بني آدم مجرى الدم وصدور بني آدم مساكن لهم كما قال الذي يوسوس في صدور
الناس فهم يرون بني آدم وبنو آدم لا يرونهم قال قتادة والله ان عدوا يراك من حيث لا تراه لشديد المؤونة الا من عصم الله وانما قال
ذلك لانا اذا كنا لا نراهم لم نعرف قصدهم لنا بالكيد والاغواء فينبغي ان نكون على حذر فيما نجده في انفسنا من الوساوس خيفة ان يكون
ذلك من الشيطان وانما لا نراهم البشر لان اجسامهم شفافة لطيفة تحتاج في رؤيتها الى فضل شعاع وقال ابو بكر بن الاخشيد وابو الهذيل
يجوز ان يمكنهم الله سبحانه فيكشفوا فنراهم حينئذ من يحضرهم واليه ذهب علي بن عيسى وقال انهم ممكنون من ذلك وهو الذي نصره الشيخ
المفيد ابو عبد الله رحمه الله قال الشيخ ابو جعفر قدس الله روحه وهو الاقوى عندي وقال الجبائي لا يجوز ان يرى الشياطين والجن لان الله عز
اسمه قال لا ترونهم وانما يجوز ان يروا في زمن الانبياء بان يكثف الله اجسادهم علما للانبياء كما يجوز ان يرى الناس الملئكة في زمن الانبياء
انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون اي حكمنا بذلك لانهم يتناصرون على الباطل كما قال وجعلوا الملئكة الذين هم عباد الرحمن اناثا
اي حكموا بذلك حكما باطلا وانما خص الذين لا يؤمنون بنبيها على انهم مع اجتهادهم لا يتمكنون من خيار المؤمنين المتيقظين منهم وانما يتمكنون
من الكفرة الجهال والفسقة الاغفال واذا فعلوا فاحشة كنى به عن المشركين الذين كانوا يبدون سوآتهم في طوافهم وكان يطوف الرجال
والنساء عراة يقولون نطوف كما ولدتنا امهاتنا ولا نطوف في الثياب التي قارفنا فيها الذنوب وهم الحمس قال الفراء كانوا يعملون شيئا من
سيور مقطعة يشدونه على حقويهم تسمى حوفا وان عمل من صوف سمي رهطا وكان تضع المراة على قبلها النسعة فتقول اليوم يبدو بعضه
او كله وما بدا منه فلا احله يعني الفرج لان ذلك لا يستر سترا تاما وفي الاية حذف تقديره فاذا فعلوا فاحشة فنهوا عنها قالوا وجدنا عليها
آباءنا قيل ومن اين اخذها آباؤكم قالوا الله امرنا بها اخبر سبحانه عن هؤلاء الكفار انهم اذا فعلوا ما يعظم قبحه اعتذروا لنفوسهم بانا وجدنا آباءنا
يفعلونها وان آباءهم فعلوا ذلك من قبل الله وقال الحسن انهم كانوا اهل اجبار فقالوا لو كره الله ما نحن عليه لنقلنا عنه فلهذا قالوا

والله

والله امرنا بها فرد الله سبحانه عليهم قولهم بان قال ان الله لا يأمر بالفحشاء ثم انكر عليهم من وجه اخر فقال اتقولون على الله ما لا تعلمون
لانهم ان قالوا لا نقضوا مذهبهم وان قالوا نعم افتضحوا في قولهم قال الزجاج اتقولون على الله معناه اتكذبون عليه قوله تعالى
قل امر ربي بالقسط واقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بداكم تعودون فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة انهم اتخذوا
الشياطين اولياء من دون الله ويحسبون انهم مهتدون ۝ ايتان تمام الاية الاولى تعودون عند الكوفي ومخلصين له الدين
في البصري اللغة اصل القسط العدول فاذا كان الى جهة الحق فهو عدل ومنه قوله ان الله يحب المقسطين واذا كان الى جهته
الباطل فهو جور ومنه قوله واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا واصل الاخلاص فعل الشئ اول مرة والعود فعله ثاني مرة وقد يكون فعل
اول خصلة منه بداكابتداء الصلوة وبداء القراءة اخراج كل شايب من الجنس ومنه اخلاص الدين لله وهو توجيه العبادة اليه خالصة دون
غيره والبدأ وبدا وابدا لغتان والفريق جماعة انفصلت من جماعة والاتخاذ افتعال من الاخذ بمعنى اعداد الشئ لامر من الامور والحسبان
بمعنى الظن وهو ما قوي عند الظان كون المظنون على ما ظنه مع تجويزه ان يكون على غيره فبالقوة يتميز من اعتقاد التقليد والتخمين
وبالتجويز يتميز من العلم لان مع العلم القطع الاعراب واقيموا عطف على ما تقدم من قوله لا يفتننكم الشيطان فتقديره احذروا
الشيطان واقيموا وجوهكم عن ابي مسلم وقيل ان تقديره قل امر ربي بالقسط وقل اقيموا وقوله كما بداكم قال ابو علي الفارسي تقديره كما
بدا خلقكم ثم حذف المضاف وتعودون معناه تعودون خلقكم ثم حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فصار المخاطبون فاعلين
وفريقا حق عليهم الضلالة نصبه بفعل على فعل وتقديره وفريقا اضل لانه قد فسره ما بعده فاغنى عن ذكره ونظيره قوله يدخل
من يشاء في رحمته والظالمين اعد لهم عذابا اليما وقال الفراء فريقا منصوب على الحال من تعودون وفريقا الثاني عطف عليه ولو رفع
على تقدير احدهما كذا والاخر كذا [illegible] كما كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة المعنى لما بين سبحانه انه لا
يامر بالفحشاء وهو اسم جامع للقبايح والسيات عقبه ببيان ما يأمر به من القسط وهو اسم جامع لجميع الخيرات فقال قل يا محمد
امر ربي بالقسط اي بالعدل والاستقامة عن مجاهد والسدي واكثر المفسرين وقيل بالتوحيد عن الضحاك وقيل بلا اله الا الله عن ابن
عباس وقيل بجميع الطاعات والقرب عن ابي مسلم واقيموا وجوهكم عند كل مسجد قيل فيه وجوه احدها ان معناه توجهوا الى قبلة كل مسجد
في الصلوة على استقامة عن مجاهد والسدي وابن زيد وثانيها ان معناه اقيموا وجوهكم الى الجهة التي امركم الله بالتوجه اليها في صلوتكم
وهي الكعبة والمراد بالمسجد اوقات السجود وهي اوقات الصلوة عن الجبائي وغيره وثالثها ان المراد اذا ادركتم الصلوة في مسجد فصلوا
ولا تقولوا حتى ارجع الى مسجدي والمراد بالمسجد موضع السجود عن الفراء وهو اختيار المغربي ورابعها ان معناه اقصدوا المسجد في وقت
كل صلوة امرا بالجماعة لها ندبا عند الاكثرين وحتما عند الاقلين وخامسها ان معناه اخلصوا وجوهكم لله تعالى في الطاعة فلا تشركوا به
وثنا ولا غيره عن الربيع وادعوه مخلصين له الدين وهذا امر بالدعاء والتضرع اليه سبحانه على وجه الاخلاص اي ارغبوا اليه في الدعاء
بعد اخلاصكم له الدين وقيل معناه واعبدوه مخلصين له الايمان كما بداكم تعودون قيل في وجه اتصاله بما قبله وجوه احدها ان معناه
وادعوه مخلصين فانكم مبعوثون ومجازون وان بعد ذلك في عقولكم فاعتبروا بالابتداء واعلموا انه كما بداكم في الخلق الاول فانه يبعثكم
فتعودون اليه في الخلق الثاني وثانيها انه متصل بقوله فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون فقال كما بداكم تعودون اي فليس بعثكم
باشد من ابتدائكم عن الزجاج قال وانما ذكره على وجه الحجاج عليهم لانهم كانوا لا يقرون بالبعث وثالثها انه كلام مستانف اي يعيدكم
بعد الموت فيجازيكم عن ابي مسلم قال قتادة بداهم من التراب واليه يعودون كما قال منها خلقناكم وفيها نعيدكم وقيل معناه كما بداكم لا
تملكون شيئا كذلك تبعثون يوم القيمة ويروى عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال تحشرون يوم القيمة عراة حفاة عزلا كما بدانا اول خلق
نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين وقيل معناه تبعثون على ما متم عليه المؤمن على ايمانه والكافر على كفره عن ابن عباس وجابر فريقا
اي جماعة هدى اي حكم لهم بالاهتداء بقبولهم للهدى او لطف لهم بما اهتدوا عنده او هداهم الى طريق الثواب كما تكرر بيانه في مواضع وفريقا
حق اي وجب عليهم الضلالة اذ لم يقبلوا الهدى او حق عليهم الخذلان لانه لم يكن لهم لطف ينشرح له صدورهم او حق عليهم العذاب
والهلاك بكفرهم ويريد هذا القول الاخير انه سبحانه ذكر الهدى والضلال بعد العود والبعث ثم قال انهم اتخذوا الشياطين اولياء

من دون الله بين سبحانه انه لم يبدأهم بالعقوبة ولكن جازاهم على عصيانهم واتباعهم الشيطان وانما اتخذوهم اولياء بطاعتهم لهم فيما
دعوهم اليه ويحسبون انهم مهتدون ومعناه وهم مع ذلك يظنون انهم فى ذلك على هداية وحق قوله تعالى يا بني آدم خذوا زينتكم
عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات
من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحيوة الدنيا خالصة يوم القيمة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون ● ايتان القراءة
قرا نافع وحده خالصة بالرفع والباقون بالنصب الحجة قال ابو على من رفعه جعله خبر المبتداء الذى هو هي ويكون للذين امنوا تبيينا
للخلوص ولا شئ فيه على هذا ومن قال هذا حلو حامض امكن ان يكون للذين امنوا خبرا وخالصة خبرا آخر ومن نصب خالصة كان حالا
مما فى قوله للذين امنوا الاترى ان فيه ذكرا يعود الى المبتداء الذي هو هي فخالصة حال عن ذلك الذكر والعامل فى الحال ما فى اللام من معنى الفعل
وحجة من رفع ان المعنى تخلص للذين امنوا يوم القيمة وان شركهم فيها غيرهم من الكافرين فى الدنيا ومن نصب فالمعنى عنده وهى ثابتة
للذين امنوا فى حال خلوصها يوم القيمة لهم وانتصاب خالصة على الحال اشبه بقوله ان المتقين فى جنات وعيون اخذين ونحو ذلك مما انتصب
الاسم فيه على الحال بعد الابتداء وخبره ما يجرى مجراه اذا كان فيه معنى فعل قال الزجاج من نصب خالصة فهو حال على ان العامل فى قولك
فى الحيوة الدنيا فى تاويل الحال كانك تقول هى ثابتة للمؤمنين مستقرة فى الحيوة الدنيا خالصة يوم القيمة قال ابو على فى قوله فى الحيوة الدنيا
يحتمل ثلثة اضرب احدها ان يكون قل هى فى الحيوة الدنيا للذين امنوا خالصة على ان يكون خبر هى قوله للذين امنوا ويكون فى الحيوة الدنيا
ظرفا والعامل فيه الظرف الذي هو قوله للذين امنوا والتقدير هى فى الحيوة الدنيا للمؤمنين معدا تحللها يوم القيمة ففى هذا الوجه يجوز
تقديمها مقدمة على اللام الجارة لانه ظرف للذين امنوا والظروف وان كان العامل فيها المعانى فان تقديمها عليها جايز وان لم يجز ذلك
فى الاحوال ويحتمل ان يكون قوله فى الحيوة الدنيا متصلا بالصلة التى هى امنوا وهى العاملة فيه والمعنى هى للذين امنوا فى حيوتهم اى للذين
امنوا فى حيوتهم اى للذين لم يكفروا بها خالصة فموضع فى على هذا نصب بامنوا ويجوز ان يكون فى الحيوة الدنيا فى موضع حال فصاحب الحال
هو هى والعامل فى الحال معنى الفعل وهو قوله للذين امنوا والمعنى قل هى لهم مستقرة فى الحيوة الدنيا خالصة يوم القيمة ولا يجوز فى هذا
الوجه الذى قبله تقدير تقدم فى الحيوة على قوله للذين امنوا اما فى الوجه الاول فلان قوله فى الحيوة فى صلة الذين ولا يجوز تقديم الصلة على
الموصول واما فى الوجه الاخر فلانه فى موضع الحال والحال لا يجوز تقديمها اذا كان العامل فيها معنى الفعل وهذا الوجه الثالث ذكره ابو اسحق
واما قوله من قرا خالصة بالنصب جعله منصوبا على الحال على ان العامل فى قوله فى الحيوة الدنيا على تاويل الحال الى اخر كلامه فينبغى ان تعلم ان
من نصب خالصة فى قرائة جاز ان يكون فى الحيوة الدنيا ظرفا للذين والعامل فيه معنى الفعل وجاز ان يكون متعلقا بامنوا وظرفا له وجاز
ان يكون فى موضع الحال كما ذكرنا فالوجهان الاولان يحتاج معهما الى تقدير شئ تعلقه بما قبله اما اذا كان ظرفا للام الجارة فمعنى الفعل
يعمل فيه كما تقول لك ثوب كل يوم واذا كان من الصلة فنفس الفعل الظاهر يعمل فيه فاما اذا جعلته حالا فانه ينبغى ان تقدر فعلا او اسم
فاعل يكون فى موضع الحال ويكون فى الحيوة متعلقا به فلا يرد هنك قول ابى اسحق الذي ذكرناه انه يلزم ان يقدر قوله فى الحيوة الدنيا فى
تقدير الحال لا غير اذا جعلت خالصة منصوبا على الحال فان الوجهين الاخرين كل واحد منهما مع نصب خالصة على الحال سايغ جايز
المعنى لما تقدم ذكر ما انعم الله سبحانه على عباده من اللباس والرزق امرهم فى اثرها بتناول الزينة والتستر والاقتصاد فى المأكل والمشرب
فقال يا بنى ادم وهو خطاب لساير المكلفين خذوا زينتكم عند كل مسجد اى خذوا ثيابكم التى تتزينون بها للصلوة فى الجمعات والاعياد عن
ابى جعفر الباقر عليه السلم وقيل عند كل صلوة وروى العياشى باسناده ان الحسن بن على بن ابيطالب عليه السلم كان اذا قام الى الصلوة
لبس اجود ثيابه فقيل له يا ابن رسول الله لم تلبس اجود ثيابك فقال ان الله جميل يحب الجمال فاتجمل لربى وهو يقول خذوا زينتكم عند
كل مسجد فاحب ان البس اجود ثيابى وقيل معناه خذوا ما تسترون به عوراتكم وانما قال ذلك لانهم كانوا يتعرون من ثيابهم للطواف
على ما تقدم بيانه وكان يطوف الرجال بالنهار والنساء بالليل فامرنا بلبس الثياب فى الصلوة والطواف عن جماعة من المفسرين وقيل ان اخذ
الزينة هو التمشط عند كل صلوة وروى ذلك عن الصادق عليه السلم وكلوا واشربوا صورته صورة الامر والمراد الاباحة وهو عام فى جميع المباحات
ولا تسرفوا اى لا تجاوزوا الحلال الى الحرام قال مجاهد لو انفقت مثل احد فى طاعة الله لم تك مسرفا ولو انفقت درهما او مدا فى معصية الله لكان

اسرافا وقيل معناه لا تخرجوا عن حد الاستواء فى زيادة المقدار وقد حكى ان الرشيد كان له طبيب نصرانى حاذق فقال ذات يوم لعلى بن الحسين
بن واقد ليس فى كتابكم من علم الطب شئ والعلم علمان علم الاديان وعلم الابدان فقال له على قد جمع الله الطب كله فى نصف آية من كتابه وهو
قوله كلوا واشربوا ولا تسرفوا وجمع نبينا صلى الله عليه وآله الطب فى قوله المعدة بيت الادواء والحمية راس كل دواء واعط كل بدن ما عودته
فقال الطبيب ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طبا وقيل معناه ولا تأكلوا محرما ولا باطلا على وجه لا يحل واكل الحرام وان قل اسراف ومجاوزة
للحد وما استقبحه العلماء وعاد بالضرر عليكم فهو ايضا اسراف لا يحل كمن يطبخ القدر بماء الورد ويطرح فيها المسك وكمن لا يملك الا دينارا
فاشترى به طيبا فتطيب به وترك عياله محتاجين انه لا يحب المسرفين اى يبغضهم لانه سبحانه قد ذمهم به ولو كان بمعنى لا يحبهم ولا يبغضهم
لم يكن ذما لهم ولا مدحا ولما حث سبحانه على تناول الزينة عند كل مسجد وندب اليه واباح الاكل والشرب ونهى عن الاسراف وكان قوم
من العرب يحرمون كثيرا من هذا الجنس حتى انهم كانوا يحرمون السمون والالبان فى الاحرام وكانوا يحرمون السوائب والبحاير انكر عز
اسمه ذلك عليهم فقال قل يا محمد من حرم زينة الله التى اخرج لعبادة والطيبات من الرزق اى من حرم الثياب التى يتزين بها الناس مما
اخرجها الله من الارض لعباده والطيبات من الرزق وقيل هى المستلذات من الرزق وقيل هى المحللات والاول اظهر لخلوصها يوم القيمة
للمؤمنين قل هى للذين امنوا فى الحيوة الدنيا خالصة يوم القيمة قال ابن عباس يعنى ان المؤمنين يشاركون المشركين فى الطيبات فى الدنيا
فاكلوا من طيبات طعامهم ولبسوا من جياد ثيابهم ونكحوا من صالح نسائهم ثم يخلص الله الطيبات فى الاخرة للذين امنوا وليس للمشركين
فيها شئ قال الفراء مجازه هى للذين امنوا مشتركة فى الدنيا وهى لهم خالصة فى الاخرة وهذا معنى قول ابن عباس وقيل معناه قل هى فى الحيوة
الدنيا للذين آمنوا غير خالصة من الهموم والاحزان والمشقة وهى خالصة يوم القيمة من ذلك عن الجبائى كذلك نفصل الايات لقوم يعلمون
وفى هذه الاية دلالة على جواز لبس الثياب الفاخرة واكل الاطعمة الطيبة من الحلال وروى العياشى باسناده عن الحسين بن زيد عن عمه
عمر بن على عن ابيه زين العابدين على بن الحسين عليهما السلم انه كان يشترى كساء الخز بخمسين دينارا فاذا صاف تصدق به ولا يرى بذلك
باسا ويقول قل من حرم زينة الله الاية وباسناده عن يوسف بن ابراهيم قال دخلت على ابى عبد الله عليه السلم وعلى جبة خز وطيلسان خز
فنظر الى فقلت جعلت فداك هذا خز ما تقول فيه فقال وما بأس بالخز قلت وسداه ابريسم قال لا باس فقد اصيب الحسين عليه السلم
وعليه جبة خز ثم قال ان عبد الله بن عباس لما بعثه امير المؤمنين على عليه السلم الى الخوارج لبس افضل ثيابه وتطيب باطيب طيبه و
ركب افضل مراكبه فخرج اليهم فوافقهم قالوا يا ابن عباس بينا انت خير الناس اذ اتيتنا فى لباس الجبابرة ومراكبهم فتلا هذه الاية قل من حرم
زينة الله الى اخرها فالبس وتجمل فان الله جميل يحب الجمال وليكن من حلال وفى الاية دلالة ايضا على الاباحة لقوله من حرم فالسمع ورد
موكدا لما فى العقل **قوله تعالى** قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ
مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ۝ ايتان

نصف الحزب

اللغة التحريم هو المنع من الفعل باقامة الدليل على وجوب تجنبه وضده التحليل وهو الاطلاق فى الفعل بالبيان عن جواز تناوله واصل
التحريم المنع من قولهم حرم فلان الرزق حرمانا فهو محروم واحرم بالحج وحرمة الرجل زوجته والحرمات الجنايات والمحرم القرابة التى لا يحل
تزوجها وحريم الدار ما كان من حقوقها والفواحش جمع فاحشة وهى اقبح القبايح وهى الكبائر والبغى الاستطالة على الناس وحده طلب
الترأس بالقهر من غير حق واصله الطلب وينبغى كذا اى هو اولى ان يطلب والسلطان والبرهان والبيان والفرقان نظائر وحدودها تختلف
فالبيان اظهار المعنى للنفس كاظهار نقيضه والبرهان اظهار صحة المعنى وافساد نقيضه والفرقان اظهار تميز المعنى مما التبس به والسلطان
اظهار ما يتسلط به على نقيض المعنى بالابطال والامة الجماعة التى يعمها معنى واصلها من امه يؤمه اذا قصده فالامة الجماعة التى على مقصد
واحد والاجل الوقت المضروب لانقضاء المهل لان بين العقد الاول الذي يضرب لنفس الاجل وبين الوقت الاخر مهلا مثل اجل الدين
واجل الرزق واجل الوعد واجل العمر المعنى ثم بين سبحانه المحرمات فقال قل يا محمد انما حرم ربى الفواحش اى جميع القبايح والكبائر
عن الجبائى وابى مسلم ما ظهر منها وما بطن اى ما علن منها وما خفى وقد ذكرنا ما قيل فيه فى سورة الانعام ومعناه لم يحرم ربى الا الفواحش
لما قد بينا قبل ان لفظة انما محققة لما ذكرنا نفيه لما لم يذكر فذكر القبايح على الاجمال ثم فصل للبيان فقال والاثم والبغى فكانه قال حرم الفواحش

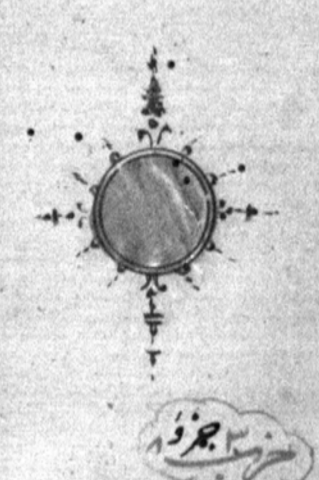
التي منها الاثم ومنها البغي ومنها الاشراك بالله وقيل ان الفواحش هي الزنى وهو الذي بطن منها والتعري في الطواف وهو الذي ظهر عن مجاهد وقيل
هي الطواف فما ظهر منها طواف الرجال بالنهار وما بطن طواف النساء بالليل والاثم قيل هي الذنوب والمعاصي عن الجبائي وقيل الاثم ما دون الحد
عن الفراء وقيل الاثم الخمر عن الحسن وانشد الاخفش شربت الاثم حتى ضل عقلي كذاك الاثم يذهب بالعقول وقال اخر نهانا رسول الله ان
نقرب الخنا وان نشرب الاثم الذي يوجب الوزرا والبغي الظلم والفساد وقوله بغير الحق تاكيد كقوله ويقتلون النبيين بغير حق وقيل
قد يخرج البغي من كونه ظلما اذا كان بسبب جائز في الشرع كالقصاص وان لا تشركوا بالله اي وحرم الشرك بالله ما لم ينزل به سلطانا اي لم
يقم عليه حجة وكل اشراك بالله فهو بهذه الصفة ليس عليه حجة ولا برهان وان تقولوا على الله ما لا تعلمون اي وحرم القول على الله بغير علم
ثم بين تعالى ما فيه تسلية للنبي عليه السلم في تاخير عذاب الكفار فقال ولكل امة اجل اي لكل جماعة واهل عصر وقت لاستيصالهم ولم يقل لكل
احد لان ذكر الامة تقتضي تقارب اعمار اهل العصر ووجه آخر وهو انه يقتضي اهلاكهم في الدنيا بعد اقامة الحجة عليهم باتيان الرسل وقال
الجبائي المراد بالاجل هنا اجل العمر الذي هو مدة الحيوة وهذا اقوى لانه يعم جميع الامم فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون اي لا يتاخرون ساعة
عن ذلك الوقت ولا يستقدمون اي لا يتقدمون ساعة على ذلك الوقت وقيل معناه لا يطلبون التاخر عن ذلك الوقت للاياس عنه ولا
يطلبون التقديم عليه ومعنى جاء اجلهم قرب اجلهم كما يقال جاء الصيف اذا قارب وقته قوله تعالى يا بني آدم اما ياتينكم رسل منكم يقصون
عليكم آياتي فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها اولئك اصحاب النار
هم فيها خالدون * الاعراب اما اصله ان الجزاء دخلت عليه ما ولدخولها دخلت النون الثقيلة في [ياتي]نكم ولو قال ان ياتينكم
لم يجز وقد شرحنا هذا في سورة البقرة وبيناه وقال سيبويه ان حتى واما والا لا يجوز فيهن الامالة لان هذه الالفا[ت] لزمت الفتح لانها اواخر
حروف جاءت لفصل بينها وبين اواخر الاسماء التي فيها الالف نحو حبلى وهدى الا ان حتى كتبت بالياء لانها على [ار]بعة احرف فاشبهت
سكرى واما التي للتخيير شبهت بان التي ضمت اليها ما فكتبت بالالف والا كتبت بالالف لانها لو كتبت بالياء لاشبهت الى المعنى
لما تقدم ذكر النعم الدنيوية عقبه بذكر النعم الدينية فقال يا بني آدم هو خطاب يعم جميع المكلفين من بني آدم من جاءه الرسول منهم وان
جاز ان ياتيه الرسول معطوف على ما تقدم اما ياتينكم اي ان ياتكم رسل منكم اي من جنسكم يقصون عليكم آياتي يعرضونها عليكم ويخبرونكم
بها فمن اتقى انكار الرسل والآيات واصلح عمله وقيل فمن اتقى المعاصي واجتنبها والتقوى اسم جامع لذلك وتقديره فمن اتقى منكم واصلح
فلا خوف عليهم في الدنيا ولا هم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا اي بحججنا واستكبروا عنها اي عن قبولها اولئك اصحاب النار الملازمون لها هم
فيها خالدون باقون على وجه الدوام والتابيد قوله تعالى فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته اولئك ينالهم
نصيبهم من الكتاب حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا اين ما كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا وشهدوا
على انفسهم انهم كانوا كافرين * اللغة النيل وصول النفع الى البعيد اذا اطلق فان قيد وقع على الضرر لان اصله الوصول الى
الشيء من نلت انال نيلا قال امرؤ القيس سماحة ذا وبر ذا ووفاء ذا ونائل ذا اذا صحا واذا سكر والتوفي قبض الشيء بتمامه يقال توفيته واستوفيته
المعنى ثم ذكر سبحانه وعيد المكذبين فقال فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا اي لا احد اظلم منه صورته صورة الاستفهام والمراد به الاخبار
وانما جاء بلفظ الاستفهام ليكون ابلغ او كذب بآياته الدالة على توحيده ونبوة رسله اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب اي من العذاب
الا انه كنى عن العذاب بالكتاب لان الكتاب ورد به كقوله لقد حقت كلمة العذاب على الكافرين عن الحسن وابي صالح وقيل معناه ينالهم
نصيبهم من العمر والرزق وما كتب لهم من الخير والشر فلا يقطع عنهم رزقهم بكفرهم عن الربيع وابن زيد وقيل ينالهم جميع ما كتب لهم وعليهم
عن مجاهد وعطية حتى اذا جاءتهم رسلنا يعني الملئكة اي حتى اذا استوفوا ارزاقهم وجاءهم ملك الموت مع اعوانه يتوفونهم اي يقبضون
ارواحهم وقيل معناه حتى اذا جاءتهم الملائكة لحشرهم يتوفونهم الى النار يوم القيمة عن الحسن قالوا يعني الملائكة اين ما كنتم تدعون من
دون الله من الاوثان والاصنام والمراد بهذا السؤال توبيخهم اي هلا دفعوا عنكم ما نزل بكم من العذاب قالوا يعني قال الكفار ضلوا عنا
اي ذهبوا عنا وافتقدناهم فلا يقدرون على الدفع عنا وبطلت عبادتنا اياهم وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين اي اقروا على نفوسهم بالكفر
قوله تعالى قال ادخلوا في امم قد خلت من قبلكم من الجن والانس في النار كلما دخلت امة لعنت اختها حتى اذا اداركوا فيها جميعا

خمس

قال

قالت اخريهم لاوليهم ربنا هؤلاء اضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون وقالت اوليهم لاخريهم
فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون ● آيتان القراءة قرا ابن كثير لا يعلمون بالياء والباقون بالتاء الحجة وجه
القراءة بالياء انه حمل الكلام على كل لانه وان كان للمخاطبين فهو اسم ظاهر موضوع للغيبة فحمل على اللفظ دون المعنى اللغة الخلو انتفاء
الشيء عن مكانه يقال خلا عن البيت وكذلك خلت بمعنى مضت لانها اذا مضت بالهلاك فقد خلا مكانها منها الجن جنس من الحيوان مستترون
عن اعين الناس لرقتهم يغلب عليهم التمرد في افعالهم كما يغلب على الملك افعال الخير والضعف المثل الزائد على مثله فاذا قال القائل اضعف
هذا الدرهم فمعناه اجعل معه درهما آخر لا دينارا وكذلك اضعف الاثنين فمعناه اجعلهما اربعة وحكى ان المضعف في كلام العرب
ما كان ضعفين والمضاعف ما كان اكثر من ذلك وادّاركوا اصله تداركوا فادغمت التاء في الدال واجتلب الف الوصل ليمكن النطق بالساكن
الذي بعده ومعناه تلاحقوا المعنى قال ادخلوا هذه حكاية قول الله تعالى للكفار يوم القيمة وامره لهم بالدخول ويجوز ان يكون اخبارا
عن جعله اياهم في جملة اولئك من غير ان يكون هناك قول كما قال كونوا قردة خاسئين والمراد به جعلهم كذلك في امم قد خلت اى في جملة
اقوام وجماعات قد مضت من قبلكم من الجن والانس على الكفر في النار وقيل ان في بمعنى مع اى ادخلوا مع امم كافرة كلما دخلت امة من هذه
الامم النار لعنت اختها يعني التي سبقتها الى النار وهي اختها في الدين لا في النسب يريد انهم يلعنون من كان قبلهم عن ابن عباس وقيل يلعن
الاتباع القادة والرؤساء اذا حصلوا في العذاب بعد ما كانوا يتوادون في الدنيا يقولون انتم اوردتمونا هذه الموارد فلعنكم الله عن ابي مسلم
حتى اذا اداركوا اى تلاحقوا واجتمعوا فيها اي في النار جميعا اى كان هذا حالهم حتى اجتمعوا فيها فلما اجتمعوا قالت اخريهم لاوليهم اي
قال اخرهم دخولا النار وهم الاتباع لاولهم دخولا وهم القادة والرؤساء ربنا هؤلاء اضلونا اي شرعوا لنا ان نتخذ من دونك الها عن ابن
عباس وقيل معناه [illegible] اى الضلال وحملونا عليه ومنعونا عن اتباع الحق قال الصادق عليه السلم يعني ائمة الجور فآتهم عذابا ضعفا
من النار اى فاعطهم عذابا مضاعفا قال ابن مسعود اراد بالضعف هنا الحيات والافاعي وقيل اراد باحد الضعفين عذابهم على الكفر
وبالآخر عذابهم على الاغواء قال الله تعالى لكل ضعف اى للتابع والمتبوع عذاب مضاعف لانهم قد دخلوا في الكفر جميعا ولكن لا تعلمون
ايها المضلون والمضلون ما لكل فريق منكم من العذاب وقالت اوليهم لاخريهم اى قال المتبوعون للتابعين فما لكم علينا من فضل اي
تفاوت في الكفر حتى تطلبوا من الله ان يزيد في عذابنا وينقص من عذابكم وقيل معناه قالت الامة السابقة للامة المتاخرة ما كان لكم علينا
من فضل في الرأي والعقل وقد بلغكم ما نزل بنا من العذاب فلم اتبعتمونا وقيل من فضل اى من تخفيف من العذاب فذوقوا العذاب بما
كنتم تكسبون من الكفر باختياركم لا باختيارنا لكم قوله تعالى إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا
يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ● لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ●
آيتان القراءة قرا حمزة والكسائي وخلف لا يفتح بالياء والتخفيف وقرا ابو عمرو بالتاء والتخفيف والباقون بالتاء والتشديد وروي في الشواذ
عن ابن عباس وسعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد والشعبي وابن السميفع حتى يلج الجمّل بالضم والتشديد وعن ابن عباس وسعيد بن جبير رواية
اخرى وعبد الكريم وحنظلة الجمل بالضم والتخفيف وعن ابن عباس ايضا الجمل بضم الجيم وسكون الميم والجمل بضمتين وعن ابي السمال الجمل
بفتح الجيم وسكون الميم الحجة حجة من قرا لا تفتح بالتشديد قوله جنات عدن مفتحة لهم الابواب وحجة من خفف قوله ففتحنا ابواب السماء
واما الجمّل بالضم والتشديد والجمل بالتخفيف فكلاهما الحبل الغليظة من القنب وقيل هو حبل السفينة وقيل الحبال المجموعة واما الجمل
فيجوز ان يكون جمع جمل فيكون مثل اسد واسد ووثن ووثن وكذلك المضموم ايضا كاسد ووثن قال ابن جني واما الجمل فيبعد ان يكون
مخففا من جمل الحفنة القفصة وان كان قد جاء عنهم قوله وما كل مبتاع ولو سلف صفقه يراجع ما قد فاته برداد اللغة السم بفتح السين
وضمها الثقب ومنه السم القاتل لانه ينفذ بلطفه في مسام البدن حتى يصل الى القلب فينقض بنيته وكل ثقب في البدن لطيف فهو سم
وسم وجمعه سموم قال الفرزدق فنفست عن سميه حتى تنفسا وقلت له لا تخش شيئا ورائيا يريد بسميه ثقبي انفه ويجمع السم القاتل
سماما والمخيط الابرة كالحاف والملحف والقناع والمقنع والازار والمئزر والقرام والمقرم ذكره الفراء وجهنم اسم من اسماء النار واشتقاقها
من الجهومة وهي الغلظ وقيل اخذ من قولهم بئر جهنام اى بعيدة قعرها والمهاد الوطاء الذي يفترش ومنه مهد الصبي وقد مهدت له هذا

الاعراب الامر اى وطأته والغواشي جمع غاشية وهو كل ما يغشاك اي يسترك ومنه غاشية السرج وفلان يغشى فلانا اى ياتيه ويلابسه
قال ابو علي للتنوين فى نحو غواش وجوار قولان احدهما مذهب سيبويه والخليل وهو ان الياء حذفت حذفا لالتقاء الساكنين فلما حذفت الياء
انتقص الاسم عن البنية التى كان التنوين يعاقبها ولا يجتمع معها فدخلها وانما حذف هنا الياء لا لالتقاء الساكنين كما يحذف حرف اللين
فى الوقف فى نحو والليل اذا يسر وذلك ما كنا نبغ وقد حذف فى الوصل ايضا وكان الذي حسن ذلك لحذف انها قد صارت بمنزلة الحركات
لانها قد صارت عوضا منها بدلالة تعاقبها وانها تحذف فى الموضع الذي تحذف فيه الحركة فلما قوي الحذف فيها وكثر وكان هذا الجمع
خارجا عن الابنية الاول وثانيا الزم الحذف والقول الاخر ما حدث السراج عن المبرد عن المازني قال سنظر يونس النحوي وابو زيد والكسائي
الى جواري وبابه فما كان من الصحيح لا يلحقه التنوين لم يلحقوه فى المعتل وما كان يلحقه التنوين فى الصحيح الحقوه فى المعتل قال والذى عليه
البصريون القول الاول المعنى ثم عاد الكلام الى الوعيد فقال سبحانه ان الذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها اي تكبروا عن قبولها
لا تفتح لهم ابواب السماء اى لا تفتح ابواب السماء لارواحهم كما تفتح لارواح المومنين عن ابن عباس والسدي وقيل لا تفتح لاعمالهم
ولدعائهم عن الحسن ومجاهد وعن ابن عباس فى رواية اخرى وروي عن ابي جعفر الباقر عليه السلم انه قال اما المؤمنون فترفع
اعمالهم وارواحهم الى السماء فتفتح لهم ابوابها واما الكافر فيصعد بعمله وروحه حتى اذا بلغ الى السماء نادى مناد اهبطوا به الى
سجين وهو واد بحضرموت يقال له برهوت وقيل لا تفتح لهم ابواب السماء لدخول الجنة لان الجنة فى السماء عن الجبائي ولا يدخلون
الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط اى حتى يدخل البعير فى ثقب الابرة والمعنى لا يدخلون الجنة ابدا وسئل ابن مسعود عن الجمل فقال
هو زوج الناقة كانه استجهل من ساله عن الجمل وهذا كما تقول العرب فى التبعيد للشئ لا افعل كذا حتى يشيب الغراب وحتى يبيض
القار وحتى يؤوب القارظان قال الشاعر اذا شاب الغراب اتيت اهلي وصار القار كاللبن الحليب وقال اخر فرجي الخير وانتظري
ايابي اذا ما القارظ العنزى ابا فتعليق الحكم بما لا يتوهم وجوده ولا يتصور حصوله تاكيد له وتحقيق للياس من وجوده وكذلك نجزي
المجرمين اي ومثل ما جزيناهم هولاء نجزي ساير المجرمين المكذبين بايات الله تعالى لهم اي لهولاء من جهنم مهاد اي فراش ومضجع ومن
فوقهم غواش مثل قوله لهم من فوقهم ظلل من النار وقيل المراد به اللحف والمعنى ان النار محيطة بهم من اعلاهم واسفلهم وكذلك
نجزي الظالمين قال ابن عباس يريد الذين اشركوا به واتخذوا من دونه الها قوله تعالى وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ
نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ
ايتان القراءة قرا ابن عامر ما كنا لنهتدي بغير واو وكذلك هي فى مصاحف اهل الشام والباقون مع الواو وقرا حمزة وابو عمرو والكسائي
اورثتموها مدغمة وكذلك فى الزخرف وقرا الباقون اورثتموها غير مدغمة الحجة قال ابو علي وجه الاستغناء عن حرف العطف
ان الجملة ملتبسة بما قبلها فاغنى التباسها به عن حرف العطف وقد تقدم ذكر امثاله ومن ترك الادغام فى اورثتموها فلتباين المخرجين
كان الحرفين فى حكم الانفصال وان كانا من كلمة واحدة الا ترى انهم لم يدغموا ولو شاء الله ما اقتتلوا وان كانا مثلين لما لم يكونا لازمين
الا ترى ان تاء افتعل قد يقع بعدها غير التاء فكذلك اورث قد يقع بعد الثاء منها غير التاء فلا يجب الادغام ووجه الادغام ان
الثاء والتاء مهموستان متقاربتان فاستحسن الادغام لذلك اللغة الغل الحقد الذي ينغل بلطفه الى صميم القلب ومنه الغلول
وهو الوصول بالحيلة الى دقيق الخيانة ومنه الغل الذي يجمع اليدين والعنق بانغلاله فيها والصدر ما يصدر من جهته التدبير والراى
ومنه قيل للرئيس صدر والجريان انحدار المايع فالماء يجري والدم يجري وكلما يصح ان يجري فهو مايع والنهر الواسع من مجاري الماء
ومنه النهار لاتساع ضيائه والنداء الدعاء بطريقة يا فلان الاعراب لا نكلف نفسا الا وسعها جملة فى موضع رفع بانه خبر الذين
امنوا وحذف العايد الى المبتداء فكانه قيل منهم لا من غيرهم نحو قولهم السمن منوان بدرهم اى منوان منه بدرهم ويجوز ان يكون اعتراضا
بين المبتداء والخبر ويكون الخبر الجملة التى هي اولئك اصحاب الجنة واذا كان اعتراضا فلا موضع له من الاعراب وان تلكم الجنة يجوز ان
يكون ان بمعنى اى لتفسير النداء فيكون المعنى نودوا على وجه التهنية بكلام هذا معناه ويجوز ان يكون مخففة من الثقيلة والهاء مضمرة



والتقدير

والتقدير بانه تلكم الجنة قال الشاعر اكاشره واعلم ان كلانا على ما ساء صاحبه حريص المعنى لما تقدم وعيد الكفار بالخلود فى
النيران اتبع ذلك بالوعيد للمومنين بالخلود فى الجنان فقال والذين امنوا اى صدقوا بايات الله واعترفوا بها ولم يستكبروا عنها وعملوا
الصالحات اى ما اوجبه الله عليهم او ندبهم اليه لا نكلف نفسا الا وسعها التكليف من الله سبحانه هو ارادة ما فيه المشقة من الكلفة
التى هى المشقة اى لا يلزم نفسا الا قدر طاقتها وما دونها لان الوسع دون الطاقة ووجه اتصاله بما قبله بين انه لا يكلف احدا منهم
الا ما فى وسعه وان من استحق النار فمن نفسه اتى اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون مقيمون ونزعنا ما فى صدورهم من غل
واخرجنا ما فى قلوبهم من حقد وحسد وعداوة فى الجنة حتى لا يحسد بعضهم بعضا وان رآه ارفع درجة منه تجرى من تحتهم الانهار
قيل انه فى موضع الحال اى تجرى ماء الانهار من تحت ابنيتهم واشجارهم فى حال نزعنا الغل من صدورهم وقيل هو استيناف و
قالوا الحمد لله الذى هدينا لهذا اى هدينا للعمل الذي استوجبنا به هذا الثواب بان دلنا عليه وعرضنا له بتكليفه ايانا وقيل معناه
هدينا لثبوت الايمان فى قلوبنا وقيل لنزع الغل من صدورنا وقيل هدانا لمجاوزة الصراط ودخول الجنة وما كنا لنهتدى لما يصيرنا
الى هذا النعيم المقيم والثواب العظيم لولا ان هدانا الله هذا اعتراف من اهل الجنة بنعمة الله سبحانه اليهم ومنه عليهم فى دخول الجنة
على سبيل الشكر والتلذذ بذلك لانه لا تكليف هناك لقد جاءت رسل ربنا بالحق وهذا اقرار منهم بان ما جاءت به الرسل اليهم
من جهة الله تعالى فهو حق لا شبهة فى صحته ونودوا اي ويناديهم مناد من جهة الله تعالى ويجوز ان يكون ذلك خطابا منه سبحانه
لهم ان تلكم الجنة اى هذه الجنة وانما قال تلكم لانهم وعدوا بها فى الدنيا فكانه قيل لهم هذه تلكم التى وعدتم بها ويجوز ان يكونوا
عاينوها فيقال لهم قبل ان يدخلوها اشارة اليها تلكم الجنة اورثتموها اى اعطيتموها ارثا وصارت اليكم كما يصير الميراث لاهله
وقيل معناه جعلها الله سبحانه بدلا لكم عما كان اعدة للكفار لو آمنوا وروي عن النبى صلى الله عليه وآله انه قال ما من احد الا وله
منزل فى الجنة ومنزل فى النار فاما الكافر فيرث المؤمن منزله من النار والمومن يرث الكافر منزله من الجنة فذلك قوله اورثتموها
بما كنتم تعملون اى توحدون الله وتقومون بفرايضه قوله تعالى ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا
حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله
ويبغونها عوجا وهم بالآخرة كافرون ايتان القراءة قرا الكسائى وحده نعم بكسر العين كل القران والباقون بالفتح
وقرا اهل المدينة والبصرة وعاصم ان مخففة لعنة الله بالرفع والباقون ان بالتشديد لعنة الله بالنصب الحجة قال الاخفش نعم
ونعم لغتان فالكسر لغة كنانة وهذيل والفتح لغة باقى العرب وان التى تقع بعد العلم انما هى المشددة والمخففة عنها واذن مؤذن
معناه اعلم معلم ان لعنة الله ومن خفف ان فعلى ارادة اضمار القصة والحديث وتقديره انه لعنة الله ومثله واخر دعويهم ان الحمد لله رب
العالمين التقدير انه ولا يخفف ان هذه الا واضمار القصة والحديث يراد معها والمكسورة اذا خففت لا يكون كذلك والفصل بينهما ان
المفتوحة موصولة والموصولة تقتضى صلتها فصارت لاقتضائها الصلة اشد اتصالا بما بعدها من المكسورة فقدر بعدها الضمير
الذي هو من جملة صلتها وليست المكسورة كذلك الاعراب قال سيبويه نعم عدة وتصديق فاذا استفهمت اجبت بنعم قال ابو على
والذي يريد بقوله عدة وتصديق انه يستعمل عدة ويستعمل تصديقا وليس يريد انه يجتمع التصديق مع العدة الا ترى انه اذا قال
اتعطينى فقلت نعم كان عدة ولا تصديق فى هذا واذا قال قد كان كذا فقلت نعم فقد صدقته ولا عدة فى هذا فليس هذا القول من
سيبويه كقوله فى اذا انها جواب وجزاء لان اذا يكون جوابا فى الموضع الذي يكون فيه جزاء وقوله اذا استفهمت اجبت بنعم يريد اذا
استفهمت عن موجب اجبت بنعم ولو كان مكان الايجاب النفي لقلت بلى ولم تقل نعم كما لا تقول فى جواب الموجب بلى قال الست بربكم
قالوا بلى والذين يصدون فى موضع جر بانه صفة للظالمين وعوجا يجوز ان يكون منصوبا بانه مفعول به بمعنى تبغون لها العوج
ويجوز ان يكون منصوبا على المصدر بمعنى تطلبون لها هذا الضرب من الطلب كما تقول رجع القهقري اى رجع هذا الضرب من
الرجوع وكذلك قعد القرفصاء واشتمل الصماء والعوج بالكسر يكون فى الطريق وفى الدين وبالفتح يكون فى الخلقة تقول فى ساقه عوج
بفتح العين وفى دينه عوج بالكسر المعنى ثم حكى سبحانه ما يجرى بين اهل الجنة والنار بعد استقرارهم فى الدارين فقال ونادى اي

ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار اي اهل الجنة اهل النار وانما ذكر بلفظ الماضي لتحقيق المعنى بجعل ما سيكون كانه قد كان لانه كاين لا محالة
وذلك ابلغ في الردع ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا من الثواب في كتبه وعلى السنة رسله حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم من العقاب حقا وانما
اضافوا الوعد بالجنة الى نفوسهم لان الكفار ما وعدهم الله بالجنة الا بشرط ان يؤمنوا فلما لم يؤمنوا فكانهم لم يوعدوا بالجنة وانما سالوهم
هذا السؤال لان الكفار كانوا يكذبون المؤمنين فيما يدعون لانفسهم من الثواب ولهم من العقاب فهو سؤال توبيخ وشماتة يزيد به سرور
اهل الجنة وحسرة اهل النار قالوا نعم اى قال اهل النار انما وجدنا ما وعدنا ربنا من العقاب حقا وصدقا فاذن موذن بينهم اى نادى مناد
بينهم اسمع الفريقين ان لعنة الله على الظالمين اى غضب الله وسخطه واليم عقابه على الكافرين لانه وصف الظالمين بقوله الذين يصدون
عن سبيل الله اى يعرضون عن الطريق الذي دل الله سبحانه على انه يودي الى الجنة وقيل معناه يصرفون غيرهم عن سبيل الله اى دينه
والحق الذى دعا اليه ويبغونها عوجا قال ابن عباس معناه يصلون لغير الله ويعظمون ما لم يعظمه الله وقيل معناه يطلبون لها العوج
بالشبه التي يلبسون بها ويوهمون انها تقدح فيها وهي معوجة عن الحق بتناقضها وهم بالاخرة اى بالدار الاخرة يعنى القيمة والبعث
والجزاء كافرون جاحدون وقيل في الموذن انه مالك خازن النار وروى عن ابى الحسن الرضا عليه السلم انه قال الموذن امير المومنين
على عليه السلم ذكره على بن ابراهيم في تفسيره قال حدثني ابي عن محمد بن فضيل عن الرضا عليه السلم ورواه الحاكم ابو القسم الحسكاني باسناده عن
محمد بن الحنفية عن على عليه السلم انه قال انا ذلك الموذن وباسناده عن ابى صالح عن ابن عباس ان لعلى في كتاب الله اسماء لا يعرفها
الناس قوله فاذن موذن بينهم فهو الموذن بينهم يقول الا لعنة الله على الذين كذبوا بولايتي ... تعفوا بحقي قوله تعالى وبينهما حجاب
وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون
واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين ۞ اللغة الحجاب الحاجز
المانع من الادراك ومنه قيل للضرير محجوب وحاجب الامير وحاجب العين والاعراف الامكنة المرتفعة اخذ من عرف الفرس ومنه
عرف الديك وكل مرتفع من الارض عرف لانه بظهوره اعرف مما انخفض قال الشماخ وظلت باعراف تعالى كانها رماح نحاها وجهة الريح
راكز وقال اخر كل كناز لحمه نياف كالعلم الموفى على الاعراف يعنى نشوزا من الارض والسيماء العلامة وهى فعلى من سام ابله يسومها اذا
ارسلها في المرعى معلمة وهى السائمة وقيل ان وزنه عفلى من وسمت فقلبت كما قالوا الجاه في الناس واصله وجه وكما قالوا اضمحل وامضحل
وارض خامة اي وخيمة وفيه ثلث لغات سيما وسيماء بالقصر والمد وسيمياء على وزن كبرياء قال الشاعر له سيمياء ما يشق على البصر والتلقاء
جهة اللقاء وهى جهة المقابلة ولذلك كان ظرفا من ظروف المكان تقول هو تلقاءك كقولك هو حذاءك والابصار جمع بصر وهو الحاسة
التي يدرك بها المبصر وقد يستعمل بمعنى المصدر يقال له بصر بالاشياء اى علم بها وهو بصير بالامور اى عالم المعنى ثم ذكر سبحانه الفريقين
في الجزاء فقال وبينهما حجاب اى بين الفريقين اهل الجنة واهل النار ستر وهو الاعراف والاعراف سور بين الجنة والنار عن ابن عباس ومجاهد
والسدى وفي التنزيل فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب وقيل الاعراف شرف ذلك السور عن الجبائي
وقيل الاعراف الصراط عن الحسين بن فضل وعلى الاعراف رجال اختلف في المراد بالرجال هنا على اقوال فقيل انهم قوم استوت حسناتهم
وسياتهم فحالت حسناتهم بينهم وبين النار وحالت سياتهم بينهم وبين الجنة فجعلوا هنالك حتى يقضى الله فيهم ما شاء ثم يدخلهم الجنة
عن ابن عباس وابن مسعود وذكر ان بكر بن عبد الله المزنى قال للحسن بلغنى انهم قوم استوت حسناتهم وسياتهم فضرب الحسن يده
على فخذه ثم قال هؤلاء قوم جعلهم الله على تعريف اهل الجنة والنار يميزون بعضهم من بعض والله لا ادري لعل بعضهم معنا في هذا البيت
وقيل ان الاعراف موضع عال على الصراط عليه حمزة والعباس وعلى وجعفر يعرفون محبيهم ببياض الوجوه ومبغضيهم بسواد الوجوه عن
الضحاك عن ابن عباس رواه الثعلبي بالاسناد في تفسيره وقيل انهم الملئكة في صورة الرجال يعرفون اهل الجنة والنار ويكونون خزنة الجنة و
النار جميعا او يكونون حفظة الاعمال الشاهدين بها في الاخرة عن ابى مجلز وقيل انهم فضلاء المؤمنين عن الحسن ومجاهد وقيل انهم الشهداء
وهم عدول الاخرة عن الجبائى وقال ابو جعفر الباقر عليه السلم هم آل محمد عليهم السلم لا يدخل الجنة الا من عرفهم وعرفوه ولا يدخل النار الا من
انكرهم وانكروه وقال ابو عبد الله جعفر بن محمد ع الاعراف كثبان بين الجنة والنار فيوقف عليها كل نبي وكل خليفة مع المذنبين من اهل زمانه

كما يقف صاحب الجيش مع الضعفاء من جنده وقد سيق المحسنون الى الجنة فيقول ذلك الخليفة للمذنبين الواقفين معه انظروا الى اخوانكم
المحسنين قد سيقوا فيسلم المذنبون عليهم وذلك قوله ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم ثم اخبر سبحانه انهم لم يدخلوها وهم يطمعون
يعني هؤلاء المذنبين لم يدخلوا الجنة وهم يطمعون ان يدخلهم الله اياها بشفاعة النبي والامام وينظر هؤلاء المذنبون الى اهل النار
فيقولون ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ثم ينادى اصحاب الاعراف وهم الانبياء والخلفاء اهل النار مقرعين لهم ما اغنى عنكم جمعكم
وما كنتم تستكبرون اهؤلاء الذين اقسمتم يعني اهؤلاء المستضعفين الذين كنتم تحقرونهم وتستطيلون بدنياكم عليهم ثم يقولون لهؤلاء
المستضعفين عن امر من الله لهم بذلك ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون ويؤيده ما رواه عمر بن شبة وغيره ان عليا قسيم النار
والجنة ورواه ايضا باسناده عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال يا علي كاني بك يوم القيمة وبيدك عصا عوسج تسوق قوما الى الجنة وآخرين
الى النار وروى الحاكم ابو القسم الحسكاني باسناده رفعه الى الاصبغ بن نباتة قال كنت جالسا عند علي عليه السلم فاتاه ابن الكوا فسأله عن
هذه الاية فقال ويحك يا ابن الكوا نحن نوقف يوم القيمة بين الجنة والنار فمن نصرنا عرفناه بسيماه فادخلناه الجنة ومن ابغضنا عرفناه
بسيماه فادخلناه النار وقوله يعرفون كلا بسيماهم يعني هؤلاء الرجال الذين على الاعراف يعرفون جميع الخلق بسيماهم يعرفون اهل
الجنة بسيما المطيعين واهل النار بسيما العصاة ونادوا اصحاب الجنة يعني هؤلاء الذين على الاعراف ينادون باصحاب الجنة ان سلام
عليكم وهذا تسليم تهنية وسرور بما وهب الله لهم لم يدخلوها اي لم يدخلوا الجنة بعد عن ابن عباس وابن مسعود والحسن وقتادة وهم
يطمعون ان يدخلوها وقيل ان الطمع ههنا طمع يقين مثل قول ابراهيم والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي وهو قول الحسن وابي علي
الجبائي واذا صرفت ابصارهم يعني ابصار الذين على الاعراف تلقاء اصحاب النار اي الى نحوهم فنظروا اليهم وانما قال صرفت ابصارهم لان نظرهم
نظر عداوة فلا ينظرون اليهم الا اذا صرفت وجوههم اليهم قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين اي لا تجمعنا واياهم في النار وروي ان في قراءة
عبد الله بن مسعود وسالم واذا قلبت ابصارهم تلقاء اصحاب النار قالوا ربنا عائذا بك ان تجعلنا مع القوم الظالمين وروي ذلك عن
ابو عبد الله عليه السلم **قوله تعالى** وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ
تَسْتَكْبِرُونَ أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ● آيتان اللغة
النداء امتداد الصوت ورفعه ونادى نظير دعا الا ان الدعاء قد يكون بعلامة من غير صوت ولا كلام ولكن باشارة تنبئ عن معنى تعال
ولا يكون النداء الا برفع الصوت وهو مشتق من الندى والخوف توقع المكروه وهو ضد الامن وهو الثقة بانتفاء المكروه الاعراب
هؤلاء مبتداء وخبره الذين اقسمتم والاولى ان يكون الذين اقسمتم خبر مبتداء محذوف التقدير اهؤلاء هم الذين اقسمتم وقوله لا ينالهم الله
برحمة جواب اقسمتم وهو داخل في صلة الذين لان الذين هنا وصل بالقسم وجوابه ولا يجوز ان يكون الذين صفة لهؤلاء من وجهين
احدهما ان المبهم لا يوصف الا بالجنس والاخر انه يبقى المبتداء بلا خبر المعنى ثم بين سبحانه خطاب اصحاب الاعراف لاصحاب النار فقال
ونادى اي وسينادي اصحاب الاعراف رجالا من اصحاب النار يعرفونهم بسيماهم اي بصفاتهم يدعونهم باساميهم وكناهم ويسمون رؤساء
المشركين عن ابن عباس وقيل بعلاماتهم التي جعلها الله تعالى لهم من سواد الوجوه وتشويه الخلق وزرقة العين عن الجبائي وقيل بصورهم
التي كانوا يعرفونهم بها في الدنيا عن ابي مسلم قالوا ما اغنى عنكم جمعكم الاموال والعدد في الدنيا وما كنتم تستكبرون اي واستكباركم عن عبادة
الله تعالى وعن قبول الحق وقد كنا نصحناكم فاشتغلتم بجمع المال وتكبرتم فلم تقبلوا منا فاين ذلك المال واين ذلك التكبر وقيل معناه ما نفعكم
جماعتكم التي استندتم اليها وتجبركم عن الانقياد للانبياء اسلف الدنيا عن الجبائي اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة اي حلفتم انهم
لا يصيبهم الله برحمة وخير ولا يدخلون الجنة كذبتم ثم يقولون لهؤلاء ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون اي لا خائفين ولا محزونين على
اكمل سرور واتم كرامة والمراد بهذا تقريع على الذين زروا على ضعفاء المؤمنين حتى حلفوا انهم لا خير لهم عند الله وقد اضطربت اقوال المفسرين
في القائل لهذا القول فقال الاكثرون انه كلام اصحاب الاعراف وقيل هو كلام الله تعالى وقيل كلام الملائكة والصحيح ما ذكرناه لان المروي
عن الصادق عليه السلم **قوله تعالى** وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ
حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا

بآياتنا يجحدون. البيان اللغة الافاضة اجراء الماء من علو ومنه قولهم افاضوا في الحديث اي اخذوا فيه من اوله لانه بمنزلة اعلاه و
افاضوا من عرفات الى المزدلفة صاروا اليها واللهو طلب صرف الهم بما لا يحسن ان يطلب به واللعب طلب المدح بما لا يحسن ان يطلب به
واشتقاقه من اللعاب وهو المرور على غير استواء الاعراب قال ان افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله ثم قال حرمهما ولم يقل حرمه وان كان
التقدير افيضوا احد هذين لانه جاء على قولهم جالس الحسن وابن سيرين فيجوز مجالستهما جميعا وقوله الذين اتخذوا يجوز ان يكون في موضع
جر صفة للكافرين ويحتمل ان يكون رفعا بالابتداء فيكون اخبارا من الله تعالى على وجه الذم لهم المعنى ثم ذكر سبحانه كلام اهل النار
وما اظهروه من الافتقار بدلا مما كانوا عليه من الاستكبار فقال ونادى اي وسينادي اصحاب النار وهم المخلدون في النار وفي عذابها
اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء اي صبوا علينا من الماء نسكن به العطش او ندفع به حر النار او مما رزقكم الله اي اعطاكم الله من
الطعام عن السدي وابن زيد قالوا يعني اهل الجنة جوابا لهم ان الله حرمهما على الكافرين ويسأل فيقال كيف يتنادى اهل الجنة واهل النار
واهل الجنة في السماء على ما جاءت به الرواية واهل النار في الارض وبينهما ابعد الغايات من البعد واجيب عن ذلك بانه يجوز ان يزيل الله
تعالى عنهم ما يمنع من السماع ويجوز ان يقوي الله اصواتهم فيسمع بعضهم كلام بعض الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا اي اعدوا دينهم الذي
امرهم الله تعالى به للهو واللعب دون التدين به وقيل معناه اتخذوا دينهم الذي كان يلزمهم التدين به والتجنب من محظوراته لعبا ولهوا
فحرموا ما شاؤوا واستحلوا ما شاؤوا بشهواتهم وغرتهم الحيوة الدنيا اي اغتروا بها وبطول البقاء فيها فكان الدنيا غرتهم فاليوم ننسيهم
كما نسوا لقاء يومهم اي نتركهم في العذاب كما تركوا التاهب والعمل للقاء هذا اليوم عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقيل معناه نعاملهم
معاملة المنسي في النار فلا نجيب لهم دعوة ولا نرحم لهم عبرة كما تركوا الاستدلال حتى نسوا العلم وتعرضوا للنسيان عن الجبائي وما كانوا
بآياتنا يجحدون ما في الموضعين بمعنى المصدر تقديره كنسيانهم لقاء يومهم هذا وكونهم جاحدين لآياتنا واختلف في هذه الآية فقيل
ان الجميع كلام الله تعالى على غير وجه الحكاية عن اهل الجنة وتم كلام اهل الجنة بقوله فاليوم ننسيهم قوله تعالى ولقد جئناهم بكتاب
فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون. هل ينظرون الا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق
فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا او نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل قد خسروا انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون
البيان اللغة الكتاب صحيفة فيها كتابة والكتابة حروف مسطورة تدل بتأليفها على معان مفهومة والتفصيل والتبيين والتقسيم نظائر
ينظرون اي ينتظرون والانتظار هو الاقبال على ما يأتي بالتوقع له واصله الاقبال على الشيء بوجه من الوجوه والتأويل ما يؤول اليه حال
الشيء والنسيان ذهاب المعنى عن النفس واختلف المتكلمون فيه فقال ابو علي الجبائي انه معنى وقال ابو هاشم ليس بمعنى وانما هو من
قبيل السهو وقال القاضي هو ذهاب العلم الضروري واليه ذهب المرتضى الاعراب هدى ورحمة يجوز ان يكون حالا ويجوز ان يكون مفعولا
به وقال ابو مسلم مصدر وضع موضع الحال ولو قرئ بالرفع على الاستيناف او بالجر على البدل لجاز الا ان القراءة بالنصب فيشفعوا نصب
لانه جواب التمني بالفاء وتقديره هل يكون لنا شفعاء فشفاعة او نرد على تقدير او هل نرد فنعمل اي هل يكون لنا رد فان نعمل اي فعمل
منا غير ما كنا عملناه المعنى لما ذكر حال الفريقين بين سبحانه انه قد اتاهم الكتاب والحجة فقال ولقد جئناهم بكتاب وهو القرآن
فصلناه وبيناه وفسرناه على علم اي ونحن عالمون به ولما كانت لفظة عالم ماخوذة من العلم جاز ان يذكر العلم ليدل به على العالم كما ان
الوجود في صفة الموجود كذلك هدى ورحمة لقوم يؤمنون اي دلالة ترشدهم الى الحق وتنجيهم من الضلالة ونعمة على جميع المؤمنين
لانهم المنتفعون به هل ينظرون الا تأويله اي هل ينتظرون الا عاقبة الجزاء عليه وما يؤول مغبة امورهم اليه عن الحسن وقتادة ومجاهد
والسدي وانما اضاف اليهم مجازا لانهم كانوا جاحدين لذلك غير متوقعين له وانما كان ينتظر بهم المؤمنون لايمانهم بذلك واعترافهم به
وقيل ان تأويله ما وعد وا به من البعث والنشور والحساب والعقاب عن الجبائي يوم يأتي تأويله اي يوم يأتي عاقبة ما وعدوا به يقول
الذين نسوه من قبل اي يقول الذين تركوا العمل به ترك الناسي له واعرضوا عنه عن مجاهد والزجاج قد جاءت رسل ربنا بالحق اعترفوا بان
ما جاءت به الرسل كان حقا والحق ما شهد بصحته العقل فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا تمنوا ان يكون لهم شفعاء يشفعون لهم في ازالة
العقاب او نرد اي وهل نرد الى الدنيا فنعمل غير الذي كنا نعمله من الشرك والمعصية قد خسروا انفسهم اي اهلكوا بالعذاب وضل عنهم ما كانوا

يفترون على الاصنام بقولهم انها الهة وانها تشفع لنا **قوله تعالى** إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ آية

القراءة قرا اهل الكوفة غير حفص ويعقوب يغشّي بالتشديد وكذلك في الرعد والباقون بالتخفيف وقرا ابن عامر والشمس والقمر والنجوم مسخرات كله بالرفع والباقون بالنصب **الحجة** قال ابو علي غشي فعل متعد الى مفعول واحد فاذا نقلته بالهمزة او بتضعيف العين تعدى الى مفعولين وقد جاء التنزيل بالامرين قال فغشّيها ما غشّى فما في موضع النصب بانه المفعول الثاني وقال فاغشيناهم فهم لا يبصرون فهذا منقول بالهمزة والمفعول الثاني محذوف والمعنى فاغشيناهم العمى او فقد الرؤية عنهم فاذا جاء التنزيل بالامرين فكلا الفريقين بما جاء في التنزيل وقوله يغشي الليل النهار كل واحد من الليل والنهار منتصب بانه مفعول به والفعل قبل النقل غشي الليل النهار ولم يقل يغشي النهار الليل كما قال سرابيل تقيكم الحر ولم يقل تقيكم البرد للعلم بذلك من الفحوى ومثل هذا لا يضيق ووجه من نصب الشمس والقمر والنجوم انه حمله على خلق كما قال واسجدوا لله الذي خلقهن ووجه ابن عامر قوله وسخر لكم ما في السموات وما في الارض وما في السماء الشمس والقمر فاذا اخبر بتسخيرها حسن الاخبار عنهما كما انك اذا قلت ضربت زيدا استقام ان تقول زيد مضروب **اللغة** قد بينا معنى الاستواء في سورة البقرة عند قوله ثم استوى الى السماء والعرش السرير ومنه ولها عرش عظيم والعرش الملك يقال ثل عرشه والعرش السقف ومنه قوله فهي خاوية على عروشها والحثيث السير السريع بالسوق واصل البركة الثبات ومنه براكاء القتال **الاعراب** قوله حثيثا يجوز ان يكون حالا من الفاعل او المفعول او منهما جميعا ومثله قوله فاتت به قومها تحمله كذلك ومثله قول الشاعر متى ما تلقني فردين ترجف روانف اليتيك وتستطارا **المعنى** لما ذكر الله سبحانه الكفار وعبادتهم غير الله احتج عليهم بمقدوراته ومصنوعاته ودلهم بذلك على انه لا معبود سواه فقال مخاطبا لجميع الخلق ان ربكم الله اي سيدكم ومالككم ومنشئكم ومحدثكم هو الله الذي خلق السموات اي انشا اعيانها وابدعها لا من شيء ولا على مثال ثم امسكها بلا عماد يدعمها والارض اي وانشا الارض واوجدها كذلك في ستة ايام اي في مقدار ستة ايام من ايام الدنيا ولا شبهة انه سبحانه يقدر على خلق امثال ذلك في لحظة ولكنه خلقهما في هذه المدة لمصلحة ورتبهما على ايام الاسبوع فابتدأ بالاحد والاثنين والثلثا والاربعا والخميس والجمعة فاجتمع له الخلق يوم الجمعة فلذلك سمي جمعة عن مجاهد وقيل ان ترتيب الحوادث على انشاء شيء بعد شيء على ترتيب ادل على كون فاعله عالما مدبرا يصرفه على اختياره ويجريه على مشيته وقيل انه سبحانه علم خلقه التثبت والرفق في الامور عن سعيد بن جبير ثم استوى على العرش اي استوى امره على الملك عن الحسن يعني استقر ملكه واستقام بعد خلق السموات والارض وظهر ذلك للملائكة وانما اخرج هذا على المتعارف من كلام العرب لقولهم استوى الملك على عرشه اذا انتظمت امور مملكته واذا اختل امر ملكه قالوا ثل عرشه ولعل ذلك الملك لا يكون له سرير ولا يجلس على سرير ابدا قال الشاعر اذا ما بنو مروان ثلت عروشهم واودت كما اودت اياد وحمير وقال ان يقتلوك فقد ثللت عروشهم بعتيبة بن الحارث بن شهاب وقيل معناه استولى عليه بان رفعه عن الجبائي وقيل معناه ثم قصد الى خلق العرش عن الفراء وجماعة واختاره القاضي قال ودل بقوله ثم ان خلق العرش كان بعد السماء والارض وروي عن مالك بن انس انه قال الاستواء غير مجهول وكيفيته غير معلومة والسؤال عنه بدعة وروي عن ابي حنيفة انه قال امروه كما جاء لا تفسيره يغشي اي يلبس الليل النهار يعني ياتي باحدهما بعد الاخر فيجعل ظلمة الليل بمنزلة الغشاوة للنهار ولم يقل ويغشي النهار الليل لان الكلام يدل عليه وقد ذكر في مواضع اخر يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل يطلبه حثيثا اي يتلوه فيدركه سريعا وهذا توسع يريد انه ياتي في اثره كما ياتي الشيء في اثر الشيء طالبا له والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره اي مذللات جاريات في مجاريهن بتدبيره وصنعه خلقهن لمنافع العباد ومن قرا مسخرات بالنصب فانه منصوب على الحال الا له الخلق والامر انما فصل بين الخلق والامر لان فايدتهما مختلفة لانه يريد بالخلق ان له الاختراع وبالامر ان له ان يامر في خلقه بما احب ويفعل بهم ما شاء تبارك الله اي تعالى بالوحدانية فيما لم يزل ولا يزال فهو بمعنى تعالى بدوام الثبات وقيل معناه تعالى عن صفات المخلوقين والمحدثين وقيل تعالى بدوام البركة اي البركة في ذكر اسمه رب العالمين **قوله تعالى** ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا

خمس

وطمعا إن رحمة الله قريب من المحسنين ● آيتان القراءة قرا ابو بكر عن عاصم خفية بكسر الخاء والباقون بضمها وهما

لغتان اللغة التضرع التذلل وهو اظهار الذل الذي في النفس ومثله التخشع ومنه الطلب للامر من الامور واصل التضرع الميل في الجهات

ذلا من قولهم ضرع الرجل يضرع ضرعا اذا مال باصبعه يمينا وشمالا ذلا وخوفا ومنه ضرع الشاة لان اللبن يميل اليه ومنه المضارعة

للشابهة لانها يميل الى شبه والضريع نبت لا يسمن لانه يميل مع كل دواء والخفيه خلاف العلانية والهمزة في الاخفاء منقلبة عن الياء

كما ان الهمزة في الغناء منقلبة عن الياء بدلالة الغنيه وقالوا خفيت الشئ اذا اظهرته قال يخفي التراب باظلاف ثمانية في اربع مسهن

الارض تحليل ويمكن ان يكون اخفيت الشئ اي ازلت اظهاره واذا ازلت اظهاره فقد كتمته كما ان اشكيته بمعنى ازلت شكايته والخفية

الاخفاء والخيفة الخوف والرهبة والطمع توقع المحبوب وضده الياس وهو القطع بانتفاء المحبوب الاعراب تضرعا وخفية مصدران

وضعا موضع الحال اى ادعوه متضرعين ومخفين وقوله خوفا وطمعا في موضع الحال اى خائفين عقابه وطامعين في رحمته قال

الفراء انما ذكر قريب ولم يؤنث ليفصل بين القريب من القرابه والقريب من القرب قال الزجاج وهذا غلط لان كل ما قرب في مكان او

نسب فهو جار على ما يصيبه من التانيث والتذكير والوجه تذكيره هنا ان الرحمة والغفران والعفو في معنى واحد وكذلك كل تانيث

ليس بحقيقي قال الاخفش جايز ان يكون اراد بالرحمة هنا النظر فلذلك ذكره ومثله قول الشاعر يا ايها الراكب المزجي مطيته سايل

بني اسد ما هذه الصوت اى ما هذه الصيحة وقول الاخر ان السماحة والمروة ضمنا قبرا بمرو على الطريق الواضح المعنى ثم امر سبحانه

بعد ذكر دلايل توحيده بدعايه على وجه الخشوع كافة عبيده فقال ادعوا ربكم تضرعا وخفية اى تخشعا وسرا عن الحسن قال بين دعوة

السر ودعوة العلانية سبعون ضعفا ثم قال ان كان الرجل لقد جمع القران وما يشعر به جاره وان كان الرجل لقد فقه الفقه الكثير

وما يشعر به الناس وان كان الرجل ليصلي الصلوة الكثيرة في بيته وعنده الزور فلا يشعرون به ولقد ادركنا اقواما ما كان على

الارض من عمل يقدرون ان يعملوه في السر فيكون علانية ابدا ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء وما يسمع لهم صوت ان كان الا

الا همسا بينهم وبين ربهم وروي ان النبي صلى الله عليه وآله كان في غزاة فاشرفوا على واد فجعل الناس يهللون ويكبرون ويرفعون اصواتهم

فقال عليه السلم اربعوا على انفسكم اما انكم لا تدعون اصم ولا غايبا انكم تدعون سميعا قريبا انه معكم وقيل ان التضرع رفع الصوت والخفية

السر يعني ادعوه علانية وسرا عن ابي مسلم ورواية علي بن ابراهيم في تفسيره انه لا يحب المعتدين في الدعاء قيل هو ان يطلب منازل الانبياء فيجاوز

الحد في الدعاء عن ابي مجلز وقيل هو الصياح في الدعاء عن ابن جريج وقيل معناه لا يحب المجاوزين الحد الموسوم في جميع العبادات والدعوات

ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها معناه النهي عن قتل المؤمنين واضلالهم والعمل بالمعاصي في الارض بعد ان اصلحها الله تعالى

بالكتب والرسل عن الحسن والسدي والضحاك والكلبي وقيل بعد ان امر الله بالاصلاح فيها قال الحسن واصلاحها اتباع اوامر الله تعالى

فيها وروي عنه ايضا انه قال لا تفسدوها بقتل المؤمن بعد اصلاحها ببقائه وقيل لا تفسدوها بالظلم بعد اصلاحها بالعدل وقيل لا

تعصوا في الارض فيمسك الله المطر ويهلك الحرث بمعاصيكم عن عطية وعلى هذا فيكون معنى قوله بعد اصلاحها بعد اصلاح الله اياها

بالمطر والخصب وروي ميسر عن ابي جعفر عليه السلم في هذه الآية قال ان الارض كانت فاسدة فاصلحها الله بنبيه ع وادعوه خوفا من

عقابه وطمعا في ثوابه وقيل خوفا من الرد وطمعا في الاجابة وقيل خوفا من عدله وطمعا في فضله عن ابن جريج وقيل معناه خوفا من النيران

وطمعا في الجنان عن عطاء ان رحمة الله قريب من المحسنين معناه ان انعام الله قريب الى فاعل الاحسان وقيل ان رحمة الله اي

ثوابه قريب من المطيعين عن سعيد بن جبير وقيل المراد بالرحمة المطر عن الاخفش ويؤيده قوله فانظر الى اثار رحمة الله كيف يحيي الارض

بعد موتها والاحسان هو النفع الذي يستحق به الحمد والاساءة هي الضرر الذي يستحق به الذم ومن قال ان المراد بالمحسنين من خلصت

افعاله من الاساءة وكانت كلها حسنة فالظاهر لا يقتضي ذلك بل الذي يقتضيه ان رحمة الله واصلة الى من فعل الاحسان وليس

فيه انه لا يصل الى من جمع الاحسان والاساءة وذلك موقوف بالدلالة قوله تعالى وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته

حتى اذا اقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فانزلنا به الماء فاخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون

والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون ● آيتان

القراءة قرا ابن كثير الريح واحدة ونشرا مضمومة النون والشين وقرا اهل المدينة والبصرة الرياح جمع نشرا بضم النون والشين حيث
كان وقرا اهل الكوفة غير عاصم الريح نشرا بفتح النون وسكون الشين وقرا ابن عامر الرياح نشرا بضم النون وسكون الشين وقرا عاصم
الرياح بشرا بالباء ساكنة الشين وقرا ابو جعفر الا نكدا بفتح الكاف والباقون نكدا بالكسر قال ابو علي اعلم ان الريح اسم على فعل
والعين منه واو فانقلبت في الواحد للكسرة فاما في الجمع القليل فصحت لانه لا شئ فيه يوجب الاعلال الا ترى ان الفتحة لا توجب اعلال
هذه الواو في نحو قوم وقول فاما في الجمع الكثير رياح انقلبت ياء للكسرة التي قبلها واذا كانت انقلبت في نحو ديمة وديم وحيلة وحيل
فان تنقلب في رياح اجدر لوقوع الالف بعدها والالف تشبه الياء والياء اذا تاخرت عن الواو وجب فيها الاعلال وكذلك الالف
لتشبهها بها وقد يجوز ان تكون الريح على لفظ الواحد ويراد بها الكثرة كقولهم كثر الدرهم والدينار والشاء والبعير وان الانسان
لفي خسر ثم قال الا الذين امنوا وكذلك من قرا الريح نشرا فافرد ووصفه بالجمع فانه حمله على المعنى وقد اجاز ابو الحسن ذلك وقال فيها
اثنتان واربعون حلوبة سودا كخافية الغراب الاسود ومن نصب حمله على المعنى لان هو نشرا احسن وهذا وجه قراءة ابن كثير وقول
من جمع الريح اذا وصفها بالجمع الذي هو نشرا احسن لان الحمل على المعنى ليس بكثير كالحمل على اللفظ واما جاء في الحديث ان النبي صلى الله
عليه وآله كان يقول اذا هبت ريح اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا فلان عامة ما جاء في التنزيل على لفظ الرياح للسقيا
والرحمة كقوله تعالى وارسلنا الرياح لواقح وان يرسل الرياح مبشرات وما جاء بخلاف ذلك جاء على الافراد كقوله فاهلكوا بريح صرصر
ريح فيها عذاب اليم ابو عبيدة نشرا متفرقة من كل جانب وقال ابو زيد انشر الله الموتى انشارا اذا بعثها وانشر الله الريح مثل احياها فنشرت
هي اي حييت والدليل على ان انشار الريح احياؤها قول المرار الفقعسي وهبت له ريح الجنوب واحييت له ريدة يحيي المياه نسيمها
والريدة والريد انه قال اودت به ريدانة صرصر ومن قرا نشرا يحتمل ضربين يجوز ان يكون جمع ريح نشور وريح ناشر ويكون على
معنى النسب فاذا جعلته جمع نشور احتمل امرين احدهما ان يكون النشور بمعنى المنشر كما ان الركوب بمعنى المركوب فكان المعنى ريح
او رياح منشرة ويجوز ان يكون جمع نشور يراد به الفاعل مثل طهور ونحوه من الصفات ويجوز ان يكون نشرا جمع ناشر كشاهد وشهد
ونازل ونزل وقاتل وقتل قال الاعشى انا لامثالكم يا قومنا قتل وقول ابن عامر نشرا يحتمل الوجهين ان يكون على فعول وفاعل
فخفف العين كما خفف في كتب ورسل ويكون جمع فاعل كبازل وبزل وعايط وعيط واما من قرا نشرا فانه يحتمل ضربين احدهما ان
يكون المصدر حالا من الريح فاذا جعلته حالا منها احتمل امرين احدهما ان يكون النشر الذي هو خلاف الطي كانها كانت بانقطاعها
كالمطوية ويجوز على تاويل ابي عبيدة ان تكون متفرقة في وجوهها والاخر ان يكون النشر الذي هو الحيوة في نحو قوله يا عجبا للميت الناشر
فاذا حملته على ذلك وهو الوجه كان المصدر يراد به الفاعل كما تقول اتانا ركضا اي راكضا ويجوز ان يكون المصدر يراد به المفعول كانه
يرسل الرياح انشارا اي محياة فحذف الزوايد من المصدر كما قال عمرك الله وكما قال وان يهلك فذلك كان قدري اي تقديري و
الضرب الاخر ان يكون نشرا ينتصب انتصاب المصدر من باب صنع الله لانه اذا قال يرسل الرياح دل هذا الكلام على ينشر الرياح
نشرا وتنشر نشرا من قوله كما تنشر بعد الطية الكتب ومن نشرت الريح كما ينشر الميت وقراءة عاصم بشرا جمع بشير وبشير من قوله يرسل
الرياح مبشرات اي تبشر بالمطر والرحمة وجمع بشيرا على بشر ككتاب وكتب والوجه قراءة ابي جعفر نكدا انه لغة في نكد قال الزجاج
ويجوز فيه وجهان اخران نكدا ونكدا الا انه لم يثبت بهما رواية اللغة الاقلال حمل الشيء باسره حتى يقل في طاقة الحامل له بقوة جسمه
يقال استقل بحمله استقلالا واقله اقلالا والسحاب الغيم الجاري في السماء يقال سحبته فانسحب والسوق حث الشيء في السير حتى يقع
الاسراع فيه يقال ساقه واستاقه والبلد هو الارض التي تجمع الخلق الكثير والبادية كالبلد للاعراب ونحوهم من الاكراد والنكد
العسر الممتنع من اعطاء الخير على وجه البخل يقال نكد ينكد نكدا ونكدا فهو نكد ونكد وقد نكد اذا سئل فبخل قال الشاعر واعط ما
اعطيته طيبا لا خير في المنكود والناكد لما اخبر الله سبحانه في الاية المتقدمة بانه الذي خلق السموات والارض وما فيهما من البدايع عطف
على ذلك بقوله وهو الذي يرسل الرياح نشرا بين يدي رحمته تعداد النعمه على بريته اي يطلقها ويجريها منتشرة في الارض او
محيية للارض او مبشرة بالغيث على ما تقدم بيانه قدام رحمته وهو المطر حتى اذا اقلت اي حملت وقيل رفعت سحابا ثقالا بالماء

سقناه لبلد ميت اي الى بلد ميت وموت البلد تعفى مزارعه ودروس مشاربه لا نبات فيه ولا زرع ولم يقل سقناها لانه رد الضمير الى
لفظ السحاب والرياح تحمل السحاب من المواضع المختلفة حتى اذا اتصل السحاب انزل المطر فانزلنا به الماء يجوز ان يكون الضمير في به راجعه
الى البلد اى فانزلنا بالبلد الماء ويجوز ان يكون راجعة الى السحاب اى فانزلنا بالسحاب الماء فاخرجنا به اى بهذا المنزل او بهذا البلد من
كل الثمرات يحتمل ان يكون من للتبعيض ويحتمل ان يكون لتبيين الجنس كذلك نخرج الموتى اى كما اخرجنا الثمرات كذلك نخرج الموتى بان
نحييها بعد موتها لعلكم تذكرون اي يتذكروا ويتفكروا ويعتبروا بان من قدر على انشاء الاشجار والثمار في البلد الذى لا ماء فيه ولا زرع
بريح يرسلها فانه يقدر على احياء الاموات بان يعيدها الى ما كانت عليه ويخلق فيها الحيوة والقدرة واستدل ابو القسم البلخي بهذه
الاية على ان كثيرا من الاشياء تكون بالطبع قال لان الله تعالى بين انه يخرج الثمرات بالماء الذي ينزله من السماء ثم قال ولا ينبغي ان ننكر
ذلك وانما ننكر قول من يقول بقدم الطبايع او ان الجمادات فاعلة فاما من قال ان الله تعالى هو الفاعل لهذه الاشياء غير انه يفعلها
تارة مخترعة بلا وسايط وتارة يفعلها بوسايط فلا كراهة في ذلك كما نقول في السبب والمسبب وانكر عليه هذا القول اكثر اهل العدل
وقالوا ان الله سبحانه اجرى العادة باخراج النبات عند انزال المطر مع قدرته اخراج ذلك من غير مطر لما تقتضيه الحكمة من وجوه
المصالح الدينية والدنيويه ثم بين سبحانه حال الارض التي ياتيها المطر فقال والبلد الطيب ترابه يخرج نباته اى زرعه خروجا حسنا
ناميا زاكيا من غير كد ولا عناء باذن ربه وانما قال باذن ربه ليكون ادل على العظمة ونفوذ الارادة من غير تعب ولا نصب والذي
خبث لا يخرج الا نكدا والارض السبخة التي خبث ترابها لا يخرج ريعها الا شيئا قليلا لا ينتفع به عن السدي ومعناه الا عسرا ممتنعا من
الخروج لو اراد سبحانه ان يخرج من الارض النكدة اكثر مما يخرج من الارض الطيبه لامكنه الا انه اجرى العادة باخراجه من الارض
الطيبه ليكون ذلك باعثا للانسان على طلب الخير من مظانه ودلالة على وجوب الاجتهاد في الطاعات فانا اذا حمل نفسه على ابتغاء
الخير اليسير الذي لا يدوم وربما لا يحصل فان يبتغي النعيم الدايم الذي لا يفنى ولا يبيد بالاعمال الصالحة اولى كذلك نصرف
الايات اي الدلالات المختلفه لقوم يشكرون معناه كما بينا هذا المثل نبين الدلالات للشاكرين وقيل كما صرفنا الايات لكم بالاتيان اية بعد
اية وحجة بعد اخرى نصرفها لقوم يشكرون الله على انعامه عليهم ومن انعامه عليهم هدايته اياهم لما فيه نجاتهم ومصيرهم سبيل اهل
الضلال وامره اياهم بتجنب ذلك والعدول عنه وروى عن ابن عباس ومجاهد والحسن ان هذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر بان
الارض كلها جنس واحد الا ان منها طيبة تلين بالمطر ويحسن نباتها ويكثر ريعها ومنه سبخة لا تنبت شيئا وان انبت فما لا منفعة فيه و
كذلك القلوب كلها لحم ودم ثم منها لين يقبل الوعظ ومنها قاس جاف لا يقبل الوعظ فليشكر الله تعالى من لان قلبه لذكره قوله تعالى

لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ❁ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ
إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ❁ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ❁ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي
وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ❁ أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ
وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ❁ فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ❁ ست آيات القراءة

قرا ابو جعفر والكساي من اله غيره بخفض الراء حيث وقع والباقون بالرفع وقرا ابو عمرو وحده ابلغكم بتخفيف اللام والباقون بتشديدها
الحجة قال ابو علي وجه قراءة من جر جعل غيرا صفة لاله على اللفظ وجعل لكم مستقرا او جعله غير مستقر واضمر الخبر ما لكم في الوجود
او في العالم او نحو ذلك لا بد من هذا الاضمار اذا لم يجعل لكم مستقرا لان الصفة والموصوف لا يستقل بهما كلام وحجة من رفع قوله ما من اله الا
الله فكما ان قوله الا الله بدل من قوله من اله كذلك قوله غيره بدلا من قوله من اله وغير يكون بمنزلة الاسم الذي بعد الا وهذا الذي ذكرنا اولى
ان يحمل عليه من ان يجعل غير صفة لاٰلهة قيل ان الا بكونها استثناء اعرف واكثر من كونها صفة وانما جعلت صفة على التشبيه بغير
فاذا كان الاستثناء اولى حملنا هل من خالق غير الله ولا بد من اضمار الخبر كانه ما من خالق للعالم غير الله ويوكد ذلك لا اله الا الله فهذا
استثناء من منفي مثل لا احد في الدار الا زيد فاما قراءة حمزة والكسايي هل من خالق غير الله فعلى ان جعلا غير صفة للخالق واضمر الخبر
كما تقدم والباقون جعلوه استثناء بدلا من المنفي وهو الاولى عندنا لما تقدم من الاستشهاد عليه من قوله ما من اله الا الله واما ابلغكم

عشر

ع ١٥

ل فيه ان بلغ يتعدي الى مفعول في نحو بلغني الخبر فاذا نقلته تعدى الى مفعولين والنقل يكون بالهمزة وبتضعيف العين وكلا
ين جاء به التنزيل قال سبحانه يا ايها الرسول بلغ ما انزل الى قوله فما بلغت رسالته وقال فان تولوا فقد ابلغتكم وليعلم ان قد
و اللغة الملأ الجماعة من الرجال خاصة ومثله النفر والقوم والرهط عن الفراء وسموا بذلك لانهم يملأون المحافل والقوم الجمع
ي يقوم بالامر سموا بالمصدر والابلاغ ايصال ما فيه بيان وافهام ومنه البلاغة وهو ايصال المعنى الى النفس باحسن صورة من
ظ والبليغ الذي ينشئ البلاغة لا الذي ياتي بها على وجه الحكاية والفرق بين الابلاغ والاداء ان الاداء ايصال الشيء على الوجه
يجب فيه ومنه فلان ادى الدين اداء وفلان حسن الاداء لما يسمع وحسن الاداء للقراءة والرسالات جمع رسالة وهي جملة من
ن يحملها القايم بها ليوديها الى غيره والنصيحة اخلاص النية من شايب الفساد في المعاملة والفلك السفن تقع على الواحد
والجمع واصله الدور مشتق من قولهم فلك ثدي الجارية اذا استدار ومنه الفلكة والفلك الاعراب يا قوم حذفت ياء الاضافة
ر النداء على التغيير حتى يحذف للترخيم فلما جاز ان يحذف في غير النداء للاجتزاء بالكسرة منها لزم ان يحذف فيه لاجتماع سببين
لكني اصله لكنني حذف النون لاجتماع النونات ويجوز الاتمام في غير القرآن لانه الاصل وكذلك اني وكانني فاما ليتني فلا يجوز
الا اثبات النون لانه لم يعرض فيه علة الحذف واما لعلي فيجوز فيه الوجهان لان اللام قريبة من النون رسول من رب العالمين
من لابتداء الغاية اي هو ابتدائي بالرسالة وكل مبتدئ بفعل فذلك الفعل منه واصل من ان يكون لابتداء الغاية المعنى
ن الله سبحانه الادلة على وحدانيته ذكر بعده حال من عاند وكذب رسله تسلية لنبينا صلى الله عليه وآله وتثبيتا له على
ال الاذى من قومه وتحذيرا لهم عن الاقتداء باولئك فينزل بهم ما نزل بهم وابتدأ بقصة نوح فقال لقد ارسلنا نوحا الى قومه
م للقسم وقد تاكيد للكلام وتقديره حقا اقول انا حملنا نوحا الرسالة الى قومه وتحميل الرسالة تكليفه القيام بها وهي منزلة جليلة
فيه يستحق الرسول بتقبله اياها وقيامه باعبائها من التعظيم والاجلال ما لا يستحق بغيره وهو نوح بن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ
وهو ادريس ع وهو اول نبي بعد ادريس وقيل انه كان نجارا وولد في العام الذي مات فيه ادم ع قبل موت ادم في الالف الاولى
ث في الالف الثانية وهو ابن اربعماية وقيل بعث وهو ابن خمسين سنة ولبث في قومه الف سنة الا خمسين عاما وكان في تلك
ت ثلثه قرون عايشهم وعمر فيهم وكان يدعوهم ليلا ونهارا فلا يزيدهم دعاؤه الا فرارا وكان يضربه قومه حتى يغشى عليه فاذا
قال اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون ثم شكاهم الى الله تعالى ففرقت له الدنيا وعاش بعد ذلك تسعين سنة وروي اكثر
لك ايضا فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره اخبر سبحانه انه امرهم بعبادة الله وحده لانه لا اله لهم غيره ولا معبود لهم
ه ثم اوعدهم على مخالفته فقال اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم انما قال اخاف ولم يقطع لانه جوز ان يؤمنوا ثم ذكر سبحانه
بهم فقال قال الملأ من قومه اي الجماعة من قومه عن الجبائي وقيل الاشراف والرؤساء الذين يملأون الصدور هيبة وجمالا
ي مسلم انا لنريك في ضلال مبين قيل معناه رؤية القلب الذي هو العلم اي انا لنعلمك في ذهاب من الحق بين ظاهر لدعايك
الى ترك عبادة الاصنام وقيل معناه رؤية البصر اي نراك بابصارنا على هذه الحال وقيل انه من الراي الذي هو غالب الظن فكانه
انا لنظنك قال يا قوم ليس بي ضلالة ثم هذا اخبار عما اجابهم به نوح ع اي ليس بي عدول عن الحق ولا ذهاب عن الصواب فيقال به
لة لان معناه عرض به ذاك كما يقال به جنة ولا يجوز ان يقال به معرفة لانها ليست مما يعرض لصاحبها لكن يصح ان يقال
ع وبه عطش ولكني رسول من رب العالمين الذي يملك كل شيء ابلغكم رسالات ربي اي اؤدي اليكم ما حملني ربي من الرسالات
ح لكم في تبليغ الرسالة على وجهها من غير تغيير ولا زيادة ولا نقصان واعلم من الله اي من صفات الله وتوحيده وعدله وحكمته
تعلمون وقيل اعلم من دين الله وقيل اعلم من قدرته وسلطانه وشدة عقابه ما لا تعلمونه والكل محتمل وقيل انما قال ذلك لان
نوح لم يسمعوا قط ان الله سبحانه عذب قوما وقد سمعت الامم بعدهم هلاك من قبلهم الا ترى ان هودا قال جعلكم خلفاء من
قوم نوح وقال شعيب مثل ما اصاب قوم نوح او عجبتم هذه همزة دخلت على واو العطف على جهة الانكار فبقيت الواو مفتوحة
ت فالكلام مستانف من وجه متصل من وجه ان جاءكم ذكر اي لان جاءكم بيان وقيل نبوة ورسالة من ربكم على رجل منكم لينذركم

اى على بشر مثلكم ليخوفكم العقاب ان لم تؤمنوا وقيل ان على ههنا بمعنى مع اى مع رجل منكم تعرفون مولده ومنشاه ليعلمكم بموضع المخافة
وانما انكر عليهم التعجب لانه ليس فى ارسال اليهم ليرشدهم الى ما فيه صلاحهم موضع تعجب وانما العجب من اهمال امرهم كيف ووجوب
الرسالة اذا كان للخلق فيها مصلحة امر قد اقتضته الحكمة ودل عليه العقل ولتتقوا اي ولتتقوا الشرك والمعاصى ولعلكم ترحمون اي
ولكي ترحموا قال الحسن ولتتقوه رجاء ان يرحمكم فكذبوه اي فكذبوا نوحا فيما دعاهم اليه فانجيناه والذين معه فى الفلك اى خلصناه
والذين كانوا معه فى السفينة وهم المؤمنون من عذاب الغرق واغرقنا الذين كذبوا باياتنا اى واهلكنا الذين كذبوا بدلايلنا بالماء انهم
كانوا قوما عمين عن الحق اى ذاهبين عنه جاهلين به يقال رجل عم اذا كان اعمى القلب ورجل اعمى فى البصر قال زهير ولكننى عن علم
ما فى غد عمى قصة نوح ع وقد ذكرنا نسبه وكان من قصته ما رواه الشيخ ابو جعفر بن بابويه باسناده فى كتاب النبوة مرفوعا الى
ابى عبد الله عليه السلم قال لما ان بعث الله عز وجل نوحا دعا قومه علانية فلما سمع عقب هبة الله بن نوح تصديق ما فى ايديهم من العلم
وعرفوا ان العلم الذي فى ايديهم هو العلم الذي جاء به نوح صدقوه وسلموا له فاما ولد قابيل فانهم كذبوه وقالوا ان الجن كانت
قبلنا نبعث الله اليهم ملكا فلو اراد ان يبعث الينا لبعث الينا ملكا من الملائكة حنان بن سدير عن ابى عبد الله عليه السلم قال آمن
مع نوح من قومه ثمانية نفر وفى حديث وهب بن منبه ان نوحا ع كان اول نبي نباه الله عز وجل بعد ادريس وكان الى الادمة ماهو
دقيق الوجه في راسه طول عظيم العينين دقيق الساقين طويلا جسيما دعا قومه الى الله حتى انقرضت ثلثة قرون منهم كل قرن ثلثماية
سنة يدعوهم ليلا ونهارا وسرا وجهرا فلا يزدادون الا طغيانا ولا ياتى منهم قرن الا كان اعتى على الله من الذين قبلهم وكان الرجل
منهم ياتى بابنه وهو صغير فيقيمه على راس نوح فيقول يا بنى ان بقيت بعدي فلا تطيعن هذا المجنون وكانوا يثورون الى نوح فيضربونه
حتى يسيل مسامعه دما وحتى لا يعقل شيئا مما يصنع به فيحمل فيرمى به فى بيت او على دارة مغشيا عليه فاوحى الله تعالى اليه انه لن يؤمن
من قومك الا من قد آمن فعندها اقبل على الدعاء عليهم ولم يكن دعا عليهم قبل ذلك فقال رب لا تذر على الارض الى اخر السورة فاعقم
الله تعالى اصلاب الرجال وارحام النساء فلبثوا اربعين سنة لا يولد لهم ولد وقحطوا تلك الاربعين سنة حتى هلكت اموالهم واصابهم
الجهد والبلاء ثم قال لهم نوح استغفروا ربكم انه كان غفارا الايات فاعذر اليهم وانذر فلم يزدادوا الا كفرا فلما يئس منهم اقصر عن كلامهم
ودعائهم فلم يؤمنوا وقالوا لا تذرن الهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا الاية يعنون حتى غرقهم الله والهتهم التى كانوا يعبدونها فلما
كان بعد خروج نوح من السفينة وعبد الناس الاصنام سموا اصنامهم باسماء اصنام قوم نوح فاتخذ اهل اليمن يغوث ويعوق واهل
دومة الجندل صنما سموه ودا واتخذت حمير صنما سمته نسرا وهذيل صنما سموه سواعا فلم يزل يعبدونها حتى جاء الاسلام وسنذكر
قصة السفينة والغرق فى سورة هود ان شاء الله تعالى وروى الشيخ ابو جعفر بن بابويه عن على بن احمد بن موسى قال حدثنا محمد بن ابى
عبد الله الكوفى قال حدثنا سهل بن زياد الادمي قال حدثنا عبد العظيم بن عبد الله الحسنى قال سمعت على بن محمد عليهما السلم يقول عاش
نوح ع الفين وخمسماية سنة وكان يوما فى السفينة نايما فهبت ريح فكشفت عورته فضحك حام ويافث فانتبه نوح ورآهم يضحكون
فقال ما هذا فاخبره سام بما كان فرفع نوح يده الى السماء يدعو فقال اللهم غير ماء صلب حام حتى لا يولد له الا السودان اللهم غير ماء صلب يافث فغير الله ماء صلبيهما
فجميع السودان من صلب حام حيث كانوا وجميع الترك والسقلاب وياجوج وماجوج والصين من يافث وجميع البيض سواهم من
سام وقال نوح لحام ويافث جعل الله ذريتكما خولا لذرية سام الى يوم القيمة لانه برّ بى وعققتمانى فلا زالت سمة عقوقكما لى فى
ذريتكما ظاهرة وسمة البر فى ذرية سام ظاهرة ما بقيت الدنيا قال الشيخ ابو جعفر بن بابويه رحمه الله ذكر يافث فى هذا الخبر غريب
لم اروه الا من هذا الطريق وجميع الاخبار التى رويتها فى هذا المعنى فيها ذكر حام وحده وانه ضحك لما انكشفت عورة ابيه وان ساما
ويافث كانا فى ناحية فبلغهما ما صنع فاقبلا ومعهما ثوبا وهما معرضان والقيا عليه الثوب وهو نايم فلما استيقظ اوحى الله عز وجل
اليه ما الذى صنع حام فلعن حاما ودعا عليه وروى ابراهيم بن هاشم عن على بن الحكم عن بعض اصحابنا عن ابى عبد الله عليه السلم قال
عاش نوح الفى سنة وخمسماية سنة منها ثمان ماية وخمسين قبل ان يبعث والف سنة الا خمسين عاما وهو فى قومه يدعوهم ومائتى عام

في عمل السفينة وخمسمائة عام بعد ما نزل من السفينة ونضب الماء فمصر الامصار واسكن ولده البلدان ثم ان ملك الموت جاءه وهو
في الشمس فقال السلام عليك فرد عليه نوح وقال له ما جاء بك يا ملك الموت فقال جئت لاقبض روحك فقال له تدعني اتحول من الشمس
الى الظل فقال له نعم قال فتحول نوح ثم قال يا ملك الموت كان ما مر بي من الدنيا مثل تحولي من الشمس الى الظل فامض لما امرت به قال
فقبض روحه صلى الله عليه وعلى نبينا **قوله تعالى** وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۞
قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ۞ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ
الْعَالَمِينَ ۞ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ۞ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا
إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۞ قَالُوا
أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۞ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ
رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ
الْمُنتَظِرِينَ ۞ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ۞ ثماني آيات **اللغة**
السفاهة خفة الحلم وثوب سفيه اذا كان خفيفا قال مورج السفاهة الجنون بلغة حمير والفرق بين العجب والعجب ان العجب
بضم العين عقد النفس على فضيلة لها ينبغي ان يعجب منها وليس كذلك العجب بفتح العين والجيم لانه قد يكون حسنا وفي المثل لا خير
فيمن لا يتعجب من العجب وارذل منه المتعجب من غير عجب وخلفاء جمع خليفة وهو الكائن بدل غيره ليقوم مقامه في تدبيره وهذا الجمع
على التذكير لا على اللفظ مثل ظريف وظرفاء وجائز ان يجمع على خلائف على اللفظ مثل ظريفة وظرائف والآلاء النعم وفي واحدها اربع
لغات الى مثل معا والى مثل قفا والى مثل رمي والى مثل حسي قال الاعشى ابيض لا يرهب الهزال ولا يقطع رحما ولا يخون الى وهو عك الى
وقيل اراد بقوله الا الايا الشد دد تخففه وهو العهد والقرابة والوقوع والسقوط والنزول نظائر والرجس العذاب وقيل الرجس
الرجز قلبت الزاي سينا كما قلبت السين تاء في قول الشاعر الا لحى الله بني السعلات عمرو بن يربوع شرار النات اي الناس ليسوا
باعفاف ولا اكيات يريد اكياس **الاعراب** انتصب اخاهم هودا بقوله ارسلنا في اول الكلام لان تفصيل القصص يقتضي ذلك
والتقدير وارسلنا الى عاد اخاهم هودا وصرف هود لخفته كما صرفت جمل لخفتها يا قوم موضع قوم نصب لانه نداء مضاف ولم تعمه
لم يجز في صفته الا النصب قوله ولكني رسول استدرك بلكن لان فيه معنى ما دعاني الى امركم السفه ولكن دعاني اليه اني رسول
المعنى ثم عطف سبحانه على قصة نوح قصة هود عليهما السلام فقال والى عاد وهو عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح اخاهم يعني
في النسب لا في الدين هودا وهو هود بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح عن محمد بن اسحق وقيل هو هود بن عبد الله بن رباح
بن حلوث بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عن غيره وكذا هو في كتاب النبوة وانما قال اخاهم لانه ابلغ في الحجة عليهم اذا اختار
للرسالة اليهم من هو من قبيلتهم ليكونوا اليه اسكن وبه آنس وعنه افهم قال هود يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد مر تفسيره
افلا تتقون استفهام يراد به التقرير قال الملأ الذين كفروا من قومه تقدم تفسيره انا لنراك يا هود في سفاهة اي جهالة ومعناه نراك
سفيها الا انه قال في سفاهة على جهة المبالغة اي نراك منغمسا في سفاهة وانا لنظنك من الكاذبين اي كذبة ظانين لا متيقنين
عن الحسن والزجاج وقيل ان المراد بالظن هنا العلم كما في قول الشاعر فقلت لهم ظنوا بالفي مدجج سراتهم في الفارسي المسرد قيل معناه
ايقنوا قال هود ليس بي سفاهة اي لم يحملني على هذا الاخبار السفاهة ولكني رسول من رب العالمين هذا تعليم من الله تعالى بان لا
يقابل السفهاء بالكلام القبيح ولكن يقتصر الانسان على نفي ما اضيف اليه عن النفس ابلغكم رسالات ربي اي نبوات ربي انما قال
رسالات هنا وفيما تقدم بلفظ الجمع لان الرسالة متضمنة لاشياء كثيرة من الامر والنهي والترغيب والترهيب والوعد والوعيد وغير ذلك
فاتى بلفظ يدل عليها واذا قال رسالة ربي بلفظ الواحد اتى بلفظة مشتملة على هذه الاشياء بطريق الاجمال وانا لكم ناصح فيما ادعوكم
اليه من طاعة الله وتوحيده امين اي ثقة مأمون في تأدية الرسالة فلا اكذب ولا اغير عن الضحاك والجبائي وقيل معناه كنت مأمونا فيكم
فكيف تكذبونني عن الكلبي اوعجبتم ان جاءكم ذكر اي لا عجب في ان جاءكم نبوة وقيل معجزة وبيان على رجل منكم في النسب نشأ بينكم

خمس

نصف الحزب

عشر

ع ١٦

وقيل ان معناه كيف تتعجبون من بعثة رجل منكم ولا تتعجبون من عبادة حجر لينذركم ليخوفكم واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح
معناه واذكروا نعمة الله عليكم بان جعلكم سكان الارض من بعد قوم نوح وهلاكهم بالعصيان وزادكم في الخلق بسطة اي طولا وقوة
عن ابن عباس وجماعة قال الكلبي كان اطولهم مائة ذراع واقصرهم ستين ذراعا وقيل كان اقصرهم اثني عشر ذراعا وقال ابو جعفر
الباقر كانوا كانهم النخل الطوال وكان الرجل منهم ينحو الجبل بيده فيهدم منه قطعة وقيل معناه وزادكم في خلقتكم بسطة وكانوا
اطول من غيرهم بمقدار ان يمد الانسان يده فوق راسه باسطا فاذكروا الاء الله اي نعم الله لعلكم تفلحون اي لكي تفوزوا بنعيم الدنيا و
الاخرة قالوا اجئتنا يا هود لنعبد الله وحده ونذر عبادة ما كان يعبد اباؤنا من الاصنام فاتنا بما تعدنا من العذاب ان كنت من
الصادقين في انك رسول الله الينا في نزول العذاب بنا ان لم نترك عبادة الاصنام قال هود لقومه جوابا عما قالوه قد وقع عليكم اي
وجب عليكم وحل بكم لا محالة فهو كالواقع من ربكم رجس اي عذاب وغضب والغضب من الله ارادة العقاب بمستحقيه ومثله السخط
اتجادلونني اي اتناظرونني وتخاصمونني في اسماء سميتموها انتم واباؤكم اي في اصنام صنعتموها انتم واباؤكم واخترعتم لها اسماء فسميتموها
الهة وما فيها من معنى الالهية شيء وقيل معناه تسميتهم لبعضها انه يسقيهم المطر والاخر انه ياتيهم بالرزق والاخر انه يشفي المرضى
والاخر انه يصحبهم في السفر ما نزل الله بها من سلطان اي حجة وبرهان وبينة وعليكم البينة بما ادعيتم وسميتم وليس علي ان اتيكم
بالبينة على ما تعبدون من دون الله بل ذلك عليكم وعلي ان اتيكم بسلطان مبين ان الله تعالى هو المعبود ولا معبود سواه واني
رسوله فانتظروا عذاب الله فانه نازل بكم اني معكم من المنتظرين لنزوله بكم عن الحسن والجبائي والمفسرين فانجيناه والذين معه برحمة منا
اي خلصنا هودا والذين كانوا امنوا معه من العذاب باخراجنا اياهم من بينهم قبل انزال العذاب بهم وقطعنا دابر الذين كذبوا باياتنا
واستاصلنا الذين كذبوا بحججنا بعذاب الاستيصال فلم يبق لهم نسل ولا ذرية وما كانوا مؤمنين بالله ورسوله وانما قال ذلك ليبين
انه كان المعلوم من حالهم انه لو لم يهلكهم ما كانوا ليؤمنوا كما قال في موضع اخر ولقد اهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم
بالبينات وما كانوا ليؤمنوا وفي هذه الاية دلالة على ان قوم هود استوصلوا فلا عقب لهم قصة هود عليه السلام جملة ما ذكره السدي
ومحمد بن اسحق وغيرهما من المفسرين في قصة هود ان عادا كانوا ينزلون اليمن وكان مساكنهم بالشحر بالاحقاف وهي رمال يقال لها
رمل عالج والدهناء ويبرين ما بين عمان الى حضرموت وكان لهم زرع ونخل ولهم اعمار طويلة واجساد عظيمة وكانوا اصحاب اصنام
يعبدونها فبعث الله تعالى اليهم هودا نبيا وكان من اوسطهم نسبا وافضلهم حسبا فدعاهم الى التوحيد وخلع الانداد فابوا عليه
وكذبوه واذوه فامسك الله عنهم المطر سبع سنين وقيل ثلث سنين حتى قحطوا وكان الناس في ذلك الزمان اذا نزل بهم بلاء او
جهد التجاوا الى بيت الله الحرام بمكة مسلمهم وكافرهم واهل مكة يومئذ العماليق من ولد عمليق بن لاود بن سام بن نوح وكان سيد
العماليق اذ ذاك بمكة رجلا يقال له معوية بن بكر وكانت امه من عاد فبعث عاد وفدا الى مكة ليستسقوا لهم فنزلوا على معوية بن بكر
وهو بظاهر مكة خارجا من الحرم فاكرمهم وانزلهم واقاموا عنده شهرا يشربون الخمر فلما راى معوية طول مقامهم وقد بعثهم قومهم يتغوثون
من البلاء الذي نزل بهم شق ذلك عليه وقال هلك اخوالي وهؤلاء مقيمون عندي وهم ضيفي استحيي ان امرهم بالخروج الى ما بعثوا
وشكا ذلك الى قينتيه اللتين كانتا تغنيانهم وهما الجرادتان فقالتا قل شعرا نغنيهم به لا يدرون من قاله فقال معوية بن بكر
الا يا قيل ويحك قم فهينم لعل الله يصبحنا غماما فيسقي ارض عاد ان عادا قد امسوا ما يبينون الكلاما وان الوحش تاتيهم جهارا
ولا تخشى لعادي سهاما وانتم ههنا فيما اشتهيتم نهاركم وليلكم التماما فقبح وفدكم من وفد قوم ولا لقوا التحية والسلاما فلما
غنتهم الجرادتان بهذا قال بعضهم لبعض انما بعثكم قومكم يتغوثون بكم من هذا البلاء فادخلوا هذا الحرم واستسقوا لهم فقال رجل منهم قد
امن بهود سرا والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم سقيتم فزجروه وخرجوا يستسقون بها لعاد وكان قيل بن عنز راس وفد عاد
فقال يا الهنا ان كان هود صادقا فانا قد هلكنا فانشا الله سحابا ثلثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك
ولقومك فاختار السحابة السوداء التي فيها العذاب فساق الله سبحانه تلك السحابة بما فيها من النقمة الى عاد فلما راوها استبشروا بها و
قالوا هذا عارض ممطرنا يقول الله عز وجل بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب اليم سخرها الله تعالى عليهم سبع ليال وثمانية ايام

حسوما اي دائمة فلم تدع من عاد احدا الا اهلكت واعتزل هود ومن معه من المؤمنين في حظيرة ما يصيبه ومن معه الا ما تلين عليه الجلود

وتلتذ النفوس وانها لتمر من عاد بالظعن ما بين السماء والارض وتدمغهم بالحجارة فاهلكتهم وروى ابو حمزة الثمالي عن سالم عن ابي جعفر

قال ان الله تبارك وتعالى بيت ريح مقفل عليه لو فتح لاذرت ما بين السماء والارض ما ارسل على قوم عاد الا قدر الخاتم وكان هود

وصالح وشعيب واسمعيل ونبينا صلى الله عليه وآله وعليهم يتكلمون بالعربية قوله تعالى وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ

اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا

تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا

وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ * قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ

اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ * قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي

آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ * فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ * فَأَخَذَتْهُمُ

الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ * فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ *

سبع آيات القراءة قرا ابن عامر وحده وقال الملأ باثبات الواو والباقون بغير واو الحجة قد تقدم القول في نحو هذا الواو وان

اثباتها حسن وحذفها حسن اللغة البينة العلامة الفاصلة بين الحق والباطل من جهة شهادتها به والناقة اصلها من التوطية

والتذليل قالوا بعير منوق اي مذلل موطأ وتنوق في العمل جوده والاية والعبرة والدلالة والعلامة نظاير والتبوية التمكين من المنازل

يقال بوأته منزلا اذا مكنته منه ليأوي اليه واصله من الرجوع قال الشاعر وبوئت في صميم معشرها فتم في قومها مبوأها اي انزلت

ومكنت والقصور جمع قصر وهو الدار التي لها سور تكون به مقصورة واصله القصر الذي هو الحبس على منزلة دون منزلة ومنه القصير

دون غيره والقصر الغاية يقال قصرك الموت لانه مقصور عليه والعثي الفساد يقال عثي يعثى وعاث يعيث بمعنى والعقر الجرح الذي

ياتي على اصل النفس وهو من عقر الحوض اصله قال امرؤ القيس باذاء الحوض او عقره والعتو تجاوز الحد في الفساد والرجفة الاضطراب

يقال رجف بهم السقف يرجف رجوفا اذا اضطرب من تحتهم وارجف الناس بالشيء اذا خاضوا فيه واضطربوا والجثوم البروك على

الركبة يقال جثم يجثم جثوما قال جرير عرفت المنتأى وعرفت منها مطايا القدر كالحداء الجثوم الاعراب ثمود جاء مصروفا وغير مصروف

فمن صرفه فعلى انه اسم الحي مذكر ومن ترك صرفه فعلى انه اسم القبيلة كما قال الا ان ثمودا كفروا ربهم الا بعدا لثمود فصرف الاول ولم يصرف

الثاني آية منصوب على الحال لان معنى قوله هذه ناقة الله انظروا الى هذه الناقة آية اي علامة وتاكل في موضع نصب على الحال اي

آكلة ومفسدين ايضا نصب على الحال وقوله لمن آمن منهم موضعه نصب بدل من قوله للذين استضعفوا وهو بدل البعض من الكل الا

انه اعيد فيه حرف الجر وقوله يا صالح ائتنا ان وصلته همزت وان ابتدأت به لم تهمز بل تقول ايتنا وانما كان كذلك لان اصله ائتنا بهمزتين

فكرهوا اجتماعهما فقلبوا الثانية ياء لكسرة ما قبلها واذا وصل سقط همزة الوصل فيظهر همزة الاصل المعنى ثم عطف سبحانه على ما تقدم

قصة صالح فقال والى ثمود اخاهم صالحا اي ارسلنا الى ثمود وثمود هنا القبيلة وهو ثمود بن عاثر بن ارم بن سام بن نوح وصالح من ولد

ثمود وقال يا قوم اعبدوا الله وحده ما لكم من اله غيره تعبدونه قد جاءتكم بينة من ربكم اي دلالة معجزة شاهدة على صدقي هذه ناقة

الله لكم آية اشار الى ناقة بعينها اضافها الى الله سبحانه تفضيلا وتخصيصا نحو بيت الله وقيل انما اضافها اليه لانه خلقها بلا واسطة و

جعلها دلالة على توحيده وصدق رسوله لانها خرجت من صخرة ملساء تمخضت بها كما تتمخض المراة ثم انفلقت عنها على الصفة التي طلبوها

وكان لها شرب يوم تشرب فيه ماء الوادي كله وتسقيهم اللبن بدله ولهم شرب يوم يخصهم لا تقرب فيه ماءهم عن السدي وابن اسحق وجماعة

وقيل انما اضافها الى الله لانه لم يكن لها مالك سواه تعالى عن الجبائي قال الحسن كانت ناقة من النوق وكان وجه الاعجاز فيها انها

كانت تشرب ماء الوادي كله في يوم على ما شرحناه فذروها اي اتركوها تاكل في ارض الله ولا تمسوها بسوء اي بعقر او نحر فياخذكم اي

ينالكم عذاب اليم اي مؤلم واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد اي واذكروا نعم الله تعالى عليكم في ان اورثكم الارض ومكنكم فيها من

بعد عاد وبوأكم في الارض اي انزلكم فيها وجعل لكم فيها مساكن وبيوتا تأوون اليها وتتخذون من سهولها قصورا والسهل خلاف الجبل

الجبل وهو ما ليس فيه مشقة على النفس اى تبنون في سهولها الدور والقصور وانما اتخذوها في السهول ليصيفوا فيها وتنحتون الجبال بيوتا
قال ابن عباس كانوا يبنون القصور بكل موضع وينحتون من الجبال بيوتا يسكنونها شتاء لتكون مساكنهم في الشتاء احصن وادفأ ويروى
انهم لطول اعمارهم يحتاجون الى ان ينحتوا في الجبال بيوتا لان السقوف والابنية كانت تبلى قبل فناء اعمارهم فاذكروا آلاء الله اى نعم
الله عليكم بما اعطاكم من القوة وطول العمر والتمكن في الارض ولا تعثوا في الارض مفسدين اى ولا تضطربوا بالفساد في الارض ولا
تبالغوا فيه قال الملأ الذين استكبروا اى تعظموا ورفعوا انفسهم فوق مقدارها بجحود الحق للانفة من اتباع الرسول الداعي اليه من
قومه اى من قوم صالح للذين استضعفوا اى للذين استضعفوهم من المؤمنين لمن آمن منهم انما ذكره لئلا يظن بالمستضعفين انهم كانوا
غير مؤمنين لانه قد يكون المستضعف مستضعفا في دينه ولا يكون مؤمنا فازال سبحانه هذه الشبهة اتعلمون ان صالحا مرسل
من ربه اى هل تعلمون ان الله سبحانه ارسل صالحا قالوا انا بما ارسل به مؤمنون اى مصدقون قال الذين استكبروا لهم حين سمعوا منهم
الايمان والاعتراف بنبوة صالح انا بالذي آمنتم به اي صدقتم به كافرون جاحدون ثم اخبر سبحانه عما فعله المستكبرون بقوله فعقروا
الناقة اى نحروا الناقة قال الازهري العقر قطع عرقوب البعير ثم جعل النحر عقرا لان ناحر البعير يعقره ثم ينحره وعتوا عن امر ربهم
اى تجاوزوا الحد في الفساد والمعصية وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا من العذاب على قتل الناقة فقد قتلناها ان كنت من المرسلين
ثم اخبر سبحانه بما حل بهم من العذاب بقوله فاخذتهم الرجفة اى الصيحة عن مجاهد والسدي وقيل الصاعقة وقيل الزلزلة اهلكوا
بها عن ابي مسلم وقيل كانت صيحة زلزلت بها الارض واصل الرجفة الحركة المزعجة بشدة الزعزعة فاصبحوا في دارهم اى في بلدهم
ولذلك وحد وقيل يريد في دورهم وانما وحد لانه اراد الجنس كقوله ان الانسان لفي خسر وقد ذكر في موضع آخر ديارهم بالجمع جاثمين
اى صرعى ميتين ساقطين لا حركة بهم وقيل كالرماد الجاثم لانهم احترقوا بالصاعقة فتولى عنهم صالح اي اعرض عنهم لانه انما كان
يقبل عليهم لدعائهم الى الايمان وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم اى اديت النصح في تبليغ الرسالة ولكن لا تحبون
الناصحين اى ولكنكم لا تحبون من ينصح لكم لان من احب انسانا قبل منه قصة صالح عليه السلم وكان من قصة صالح وقومه
على ما ذكره اصحاب التواريخ ان عادا لما هلكت وتقضى امرها عمرت ثمود بعدها واستخلفوا في الارض فكثروا وعمروا وكانوا في سعة من معاشهم
فعتوا على الله وافسدوا في الارض وعبدوا غير الله فبعث الله اليهم صالحا وكان من اوسطهم نسبا وكانوا قوما عربا وروي في الخبر انه
لما بعث كان ابن ست عشرة سنة فلبث فيهم يدعوهم الى الله تعالى حتى بلغ عشرين ومائة سنة لا يجيبونه الى خير وكان لهم سبعون
صنما يعبدونها فلما رأى ذلك منهم قال لهم انا اعرض عليكم امرين ان شئتم فاسئلوني حتى اسأل الهي فيجيبكم فيما تسألون وان
شئتم سألت آلهتكم فان اجابوني خرجت عنكم فقد شئتكم وشئتموني قالوا قد انصفت فاتعد واليوم يخرجون فيه فخرجوا باصنامهم
الى عيدهم واكلوا وشربوا فلما فرغوا دعوه فقالوا يا صالح سل فسألها فلم تجبه قال لا ارى آلهتكم تجيبني فاسألوني حتى اسأل الهي
يجيبكم الساعة فقالوا يا صالح اخرج لنا من هذه الصخرة واشاروا الى صخرة منفردة ناقة مخترجة جوفاء وبراء والمخترجة ما شاكل
البخت من الابل فان فعلت صدقناك وآمنا بك فسأل الله سبحانه ذلك صالح فانصدعت الصخرة صدعا كادت عقولهم تطير منه
ثم اضطربت كالمرأة ياخذها الطلق ثم انصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا لا يعلم ما بين جنبيها الا الله عظما وهم ينظرون
ثم نتجت سقبا مثلها في العظم فآمن به رهط من قومه ولم يؤمن اكابرهم فقال لهم صالح هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم و
قد بينا ذلك قبل فاذا كان يومها وضعت راسها في مائهم فما ترفعه حتى تشرب كل ما فيه ثم ترفع راسها فتفحج لهم فيحلبون ما شاؤا
من لبن فيشربون ويدخرون حتى يملؤوا اوانيهم كلها قال الحسن بن محبوب حدثني رجل من اصحابنا يقال له سعيد بن يزيد قال اتيت
ارض ثمود فذرعت مصدر الناقة بين الجبلين ورايت اثر جنبيها فوجدته ثمانين ذراعا وكانت تصدر من غير الفج الذي منه وردت
لا تقدر على ان تصدر من حيث ترد لانه يضيق عنها فكانوا في سعة ودعة منها وكانوا يشربون الماء يوم الناقة من الجبال والمغارات
فشق ذلك عليهم وكانت مواشيهم تنفر منها لعظمها فهموا بقتلها قالوا وكانت امرأة جميلة يقال لها صدوف ذات مال من ابل وبقر
وغنم وكانت اشد الناس عداوة لصالح فدعت رجلا من ثمود يقال له مصدع بن مهرج وجعلت له نفسها على ان يعقر الناقة وامرأة اخرى

يقال لها عنيزة دعت قذار بن سالف وكان احمر ازرق قصيرا وكان ولد زنا ولم يكن لسالف الذي يدعى اليه ولكنه ولد على فراشه وقالت
اعطيك اى بناتى شئت على ان تعقر الناقة وكان قذار عزيزا منيعا فى قومه قذار بن سالف ومصدع فاستغوى يا غواة ثمود فاتبعهم سبعة
نفر واجمعوا على عقر الناقة قال السدى وغيره اوحى الله الى صالح ان قومك سيعقرون ناقتك فقال ذلك لقومه فقالوا ما كنا
لنفعل قال صالح انه يولد فى شهركم هذا غلام يعقرها ويكون هلاككم على يديه فقالوا لا يولد لنا ابن فى هذا الشهر الا قتلناه فولد لتسعة
منهم فى ذلك الشهر فذبحوا ابناءهم ثم ولد العاشر فابى ان يذبح ابنه وكان لم يولد له قبل ذلك شئ وكان العاشر ازرق احمر ونبت
نباتا سريعا وكان اذا مر بالتسعة فرأوه قالوا لو كان ابناؤنا احياء لكانوا مثل هذا فغضب التسعة على صالح لانه كان سبب قتلهم
ابناءهم فتقاسموا بالله لنبيتنه واهله قالوا نخرج فيرى الناس انا قد خرجنا الى سفر فناتى الغار فنكون فيه حتى اذا كان الليل وخرج
صالح الى مسجده اتيناه فقتلناه ثم رجعنا الى الغار فكنا فيه فقلنا ما شهدنا مهلك اهله وانا لصادقون فيصدقوننا يعلمون انا قد
خرجنا الى سفرنا وكان صالح لا ينام معهم فى القرية ويبيت فى مسجد يقال له مسجد صالح فاذا اصبح اتاهم فوعظهم واذا امسى خرج
الى المسجد فبات فيه فانطلقوا فلما دخلوا الغار وارادوا ان يخرجوا من الليل سقط عليهم الغار فقتلهم فانطلق رجال ممن اطلع
على ذلك منهم فاذاهم رضخ فرجعوا وجعلوا يصيحون فى القرية اى عباد الله اما رضى صالح ان امرهم بقتل اولادهم اذ قتلهم فاجتمع
اهل القرية على عقر الناقة وقال ابن اسحق انما كان تقاسم التسعة على تبييت صالح بعد عقر الناقة وانذار صالح اياهم بالعذاب قال
السدى ولما ولد قذار وكبر جلس مع اناس يصيبون من الشراب فارادوا ماء يمزجون به شرابهم وكان ذلك اليوم شرب الناقة فوجدوا
الماء قد شربته الناقة فاشتد ذلك عليهم فقال قذار هل لكم فى ان اعقرها لكم قالوا نعم وقال كعب كان سبب عقرهم الناقة ان امراة
يقال لها ملكاء كانت قد ملكت ثمود فلما اقبل الناس على صالح وصارت الرياسة اليه حسدته فقالت لامراة يقال لها قطام
وكانت معشوقة قذار بن سالف ولامراة اخرى يقال لها قبال كانت معشوقة مصدع وكان قذار ومصدع يجتمعان معهما كل ليلة
ويشربون الخمر فقالت لهما ملكاء ان اتاكما الليلة قذار ومصدع فلا تطيعاهما وقولا لهما ان الملكاء حزينة لاجل الناقة ولاجل صالح
فنحن لا نطيعكما حتى تعقرا الناقة فلما اتياهما قالتا هذه المقالة لهما فقالا نحن نكون من وراء عقرها قالوا فانطلق قذار ومصدع
واصحابهما التسعة فرصدوا الناقة حين صدرت عن الماء وقد كمن لها قذار فى اصل صخرة على طريقها وكمن لها مصدع فى اصل
اخرى فمرت على مصدع فرمى بسهم فانتظم به عضلة ساقها وخرجت عنيزة وامرت ابنتها وكانت من احسن الناس فاسفرت لقذار
ثم دعرته فشد على الناقة بالسيف فكشف عرقوبها فخرت ورغت رغاة واحدة تحذر سقبها ثم طعن فى لبتها فنحرها وخرج اهل البلدة
واقتسموا لحمها وطبخوه فلما راى الفصيل ما فعل بامه ولى هاربا حتى صعد جبلا ثم رغا رغاء تقطع منه قلوب القوم واقبل صالح فخرجوا
يعتذرون اليه انما عقرها فلان ولا ذنب لنا فقال صالح انظروا هل تدركون فصيلها فان ادركتموه فعسى ان يرفع عنكم العذاب فخرجوا
يطلبونه فى الجبل فلم يجدوه وكانوا عقروا الناقة ليلة الاربعاء فقال لهم صالح تمتعوا فى داركم يعنى فى محلتكم فى الدنيا ثلثة ايام فان العذاب
نازل بكم ثم قال يا قوم انكم تصبحون غدا ووجوهكم مصفرة واليوم الثانى تصبحون ووجوهكم محمرة واليوم الثالث وجوهكم مسودة فلما كان
اول يوم اصبحت وجوههم مصفرة فقالوا جاءكم ما قال صالح ولما كان اليوم الثانى احمرت وجوههم واليوم الثالث اسودت وجوههم
فلما كان نصف الليل اتاهم جبرئيل عليه السلم فصرخ بهم صرخة خرقت اسماعهم وفلقت قلوبهم وصدعت اكبادهم وكانوا قد تحنطوا
وتكفنوا وعلموا ان العذاب نازل بهم فماتوا اجمعين فى طرفة عين صغيرهم وكبيرهم فلم يبق الله منهم ثاغية ولا راغية ولا شيئا يتنفس الا اهلكها
فاصبحوا فى ديارهم موتى ثم ارسل الله اليهم مع الصيحة النار من السماء فاحرقتهم اجمعين فهذه قصتهم وفى كتاب على بن ابراهيم فبعث الله
عليهم صيحة وزلزلة فهلكوا وروى الثعلبى باسناده مرفوعا عن النبى صلى الله عليه وآله قال يا على اتدرى من اشقى الاولين قال قلت الله
ورسوله اعلم قال عاقر الناقة قال اتدرى من اشقى الاخرين قال قلت الله ورسوله اعلم قال قاتلك وفى رواية اخرى قال اشقى الاخرين
من يخضب هذه من هذه واشار الى لحيته وراسه وروى ابو الزبير عن جابر بن عبد الله قال لما مر النبى صلى الله عليه وآله بالحجر فى غزوة
تبوك قال لاصحابه لا يدخلن احد منكم القرية ولا تشربوا من مائهم ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين الا ان تكونوا باكين ان يصيبكم الذي

اصابهم ثم قال اما بعد فلا تسألوا رسولكم الايات هؤلاء قوم صالح سألوا رسولهم الآية فبعث الله لهم الناقة وكانت ترد من هذا
الفج وتصدر من هذا الفج تشرب ماءهم يوم ورودها واراهم مرتقى الفصيل حتى ارتقى فى القارة فعتوا عن امر ربهم فعقروها فاهلك الله
من تحت اديم السماء منهم فى مشارق الارض ومغاربها الا رجلا واحدا يقال له ابو رغال وهو ابو ثقيف كان فى حرم الله فمنعه حرم الله
من عذاب الله فلما خرج اصابه ما اصاب قومه فدفن ودفن معه غصن من ذهب واراهم قبر ابى رغال فابتدروه باسيافهم وحثوا
عليه فاستخرجوا ذلك الغصن ثم قنع رسول الله صلى الله عليه وآله راسه واسرع السير حتى جاز الوادي قوله تعالى ولوطا
اذ قال لقومه اتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين انكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل انتم قوم
مسرفون وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم انهم اناس يتطهرون فانجيناه واهله الا امرأته كانت من الغابرين
وامطرنا عليهم مطرا فانظر كيف كان عاقبة المجرمين خمس ايات القراءة قرا اهل المدينة وحفص وسهل هنا انكم لتأتون
وكذلك مذهبهم فى الاستفهامين يجتمعان يكتفون بالاستفهام الاول عن الثاني فى كل القرآن وهو مذهب الكسائي الا فى قصة
لوط والباقون بهمزتين الثانيه مكسورة وحققهما اهل الكوفة الا ان حفصا يفصل بينهما بالف وابن كثير وابو عمرو ورويس تحقق الاولى
وتلين الثانيه الا ان ابا عمرو يفصل بينهما بالف الحجة قال ابو على كل واحد من الاستفهامين لا تحتاج فى تمامها الى شئ فى الحجرف
الاستفهام جملة نقلها به من الخبر الى الاستخبار ومن لم يلحقها بناها على الخبر واذا كان كذلك فمن قرأ انكم لتأتون الرجال جعله تفسيرا
للفاحشة كما ان قوله للذكر مثل حظ الانثيين تفسير الوصية اللغة قال الزجاج لوط اسم غير مشتق لان العجمي لا يشتق من العربي وانما
قال ذلك لانه لم يوجد الا علما فى اسماء الانبياء وقيل انه مشتق من لطت الحوض اذا الزقت عليه الطين وملسته به ويقال هذا الوط بقلبي
من ذاك اى الصق واللبطة الفشر لصوقه بما اتصل به الشهوة مطالبة النفس بفعل ما فيه اللذة وليست كالارادة لانها قد تدعو الى
الفعل من جهة الحكمة والشهوة ضرورية فينا من فعل الله تعالى والارادة من فعلنا يقال شهيت اشهى شهوة قال واشعث يشهى النوم
قلت له ارتحل اذا ما النجوم اعرضت واسبكرت فقام يجر البرد لو ان نفسه يقال له خذها يكفيك خرت والاسراف الخروج عن حد الحق
الى الفساد والغابر الباقي قال الاعشى عض بما ابقى المواسي له من امة فى الزمن الغابر الاعراب انما صرف لوط لخفته بكونه على ثلثة
احرف ساكن الاوسط فقاومت الخفة احد السببين ويجوز فى قوله جواب قومه الرفع الا ان الاجود النصب وعليه القراءة شهوة
مصدر فى موضع الحال وقوله الا امرأته استثناء متصل لانه يجوز ان تدخل الزوجة فى الاهل على التغليب فى الجملة دون التفصيل ولم يقل
من الغابرات لانه اراد انها ممن بقيت مع الرجال ومطرا مصدر ذكر للتاكيد كقولهم ضربه ضربا المعنى ثم عطف سبحانه على ما تقدم
فقال ولوطا اى وارسلنا لوطا وقيل ان تقديره واذكروا لوطا قال الاخفش يحتمل المعنيين هنا ولم يحتمل فى قصة عاد وثمود الا ارسلنا
لان فيهما ذكر الى وهو لوط بن هاران بن تارخ بن اخى ابرهيم الخليل عليه السلم وقيل انه كان ابن خالة ابراهيم وكانت سارة امرأة ابراهيم
اخت لوط اذ قال لقومه اتأتون الفاحشة اي السيئة العظيمة القبح يعنى اتيان الرجال فى ادبارهم ما سبقكم بها من احد من العالمين
قيل ما نزا ذكر على ذكر قبل قوم لوط عن عمرو بن دينار قال الحسن وكانوا يفعلون ذلك بالغرباء ثم بين تلك الفاحشة فقال انكم لتأتون
الرجال شهوة من دون النساء معناه اتأتون الرجال فى ادبارهم اشتهاء منكم اى تشتهونهم فتأتونهم وتتركون اتيان النساء التى اباحها
الله لكم بل انتم قوم مسرفون اى متجاوزون عن الحد فى الظلم والفساد ومستوفون جميع المعايب اتيان الذكران وغيره وما كان
جواب قومه اى لم يجيبوه عما قال الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم وقابلوا الوعظ والنصح بالسفاهة فقالوا اخرجوا لوطا ومن امن به
من بلدتكم والمراد بالقرية البلدة كما قال ابو عمرو بن العلاء ما رايت قرويين افصح من الحسن البصري والحجاج يريد بالقروي من يسكن البلد
انهم اناس يتطهرون اى يتحرجون عن ادبار الرجال فعابوهم بما يجب ان يمدحوا به عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وقيل معناه يتنزهون
عن افعالكم وطرائقكم فانجيناه اى فخلصنا لوطا من الهلاك واهله المختصين به واهل الرجل من يختص به اختصاص القرابة الا امرأته
كانت من الغابرين اى من الباقين فى قومه والمتخلفين عن لوط حتى هلكت لانها كانت على دينهم فلم تؤمن به وقيل معناه كانت من
الباقين فى عذاب الله عن الحسن وقتادة وامطرنا عليهم مطرا اى ارسلنا عليهم الحجارة كالمطر كما قال فى اية اخرى وامطرنا عليهم حجارة من سجيل

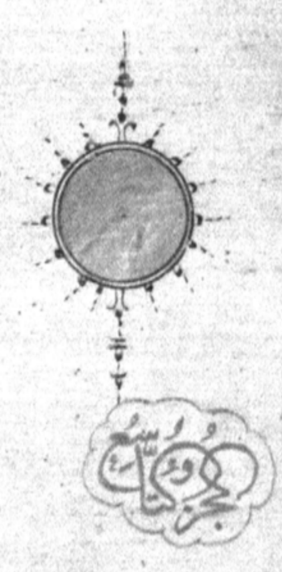
عشر

ع ١٧

فانظر

فانظر كيف كان عاقبة المجرمين معناه ثم تفكروا وانظروا بعين العقل كان كان مال امر المقترفين للسيات والمنقطعين اليها وعاقبة فعلهم
من عذاب الدنيا بالاستيصال قبل عذاب الآخرة بالخلود في النار قصة لوط عليه السلم وجملة امرهم فيما روي عن ابي حمزة الثمالي و
ابي بصير عن ابي جعفر عليه السلم ان لوطا لبث في قومه ثلثين سنة وكان نازلا فيهم ولم يكن منهم يدعوهم الى الله وينهاهم عن الفواحش ويحثهم
على الطاعة فلم يجيبوه ولم يطيعوه وكانوا لا يتطهرون من الجنابة بخلاء اشحاء على الطعام فاعقبهم البخل الداء الذي لا دواء له في فروجهم
وذلك انهم كانوا على طريق السيارة الى الشام ومصر وكان ينزل بهم الضيفان فدعاهم البخل الى ان كانوا اذا نزل بهم الضيف فضحوه وانما
فعلوا ذلك لينكل النازلة عليهم من غير شهوة بهم الى ذلك فاوردهم البخل هذا الداء حتى صاروا يطلبونه من الرجال ويعطون عليه الجعل
وكان لوط سخيا كريما يقري الضيف اذا نزل به فنهوه عن ذلك وقالوا لا تقرين ضيفا ما ينزل بك فانك ان فعلت فضحنا ضيفك فكان
لوط اذا نزل به الضيف كتم امره مخافة ان يفضحه قومه ولما اراد الله سبحانه عذابهم بعث اليهم رسلا مبشرين ومنذرين فلما عتوا عن امره
بعث الله اليهم جبرئيل عليه السلم في نفر من الملئكة فاقبلوا الى ابراهيم قبل لوط فلما راهم ابراهيم ذبح عجلا سمينا فلما راى ايديهم لا تصل اليه نكرهم
واوجس منهم خيفة قالوا يا ابرهيم انا رسل ربك ونحن لا ناكل الطعام انا ارسلنا الى قوم لوط وخرجوا من عند ابراهيم فوقفوا على لوط وهو يسقي
الزرع فقال من انتم قالوا نحن ابناء السبيل اضفنا الليلة فقال لوط ان اهل هذه القرية قوم سوء ينكحون الرجال في ادبارهم وياخذون
اموالهم قالوا قد ابطانا فاضفنا فجاء لوط الى اهله وكانت كافرة فقال قد اتاني اضياف في هذه الليلة فاكتمي امرهم قالت افعل وكانت
العلامة بينها وبين قومها انه اذا كان عند لوط اضياف بالنهار تدخن من فوق السطح واذا كان بالليل توقد النار فلما دخل جبرئيل والملئكة
معه بيت لوط وثبت امراته على السطح فاوقدت نارا فاقبل القوم من كل ناحية يهرعون اي يسرعون ودار بينهم ما قص الله تعالى في مواضع
من كتابه فضرب جبرئيل بجناحه على عيونهم فطمسها فلما راوا ذلك علموا انه قد اتاهم العذاب فقال جبرئيل عليه السلم للوط اخرج من بينهم
انت واهلك الا امراتك فقال كيف اخرج وقد اجتمعوا حول داري فوضع بين يديه عمودا من نور وقال اتبع هذا العمود ولا يلتفت منكم احد
فخرجوا من القرية فلما طلع الفجر ضرب جبرئيل عليه السلم بجناحه في طرف القرية فقلعها من تخوم الارضين السابعة ثم رفعها في الهواء
حتى سمع اهل السماء نباح كلابهم وصراخ ديوكهم ثم قلبها عليهم وهو قول الله عز وجل فجعلنا عاليها سافلها وذلك بعد ان امطر الله عليهم
حجارة من سجيل وهلكت امراته بان ارسل الله عليها صخرة فقتلها وقيل قلبت المدينة على الحاضرين منهم فجعل عاليها سافلها وامطرت
الحجارة على الغائبين فاهلكوا به وقال الكلبي اول من عمل عمل قوم لوط ابليس الخبيث لان بلادهم اخصبت فانتجعها اهل البلدان فتمثل
لهم ابليس في صورة شاب ثم دعا الى دبره فنكح في دبره ثم عبثوا بذلك العمل فلما كثر ذلك فيهم عجت الارض الى ربها فسمعت السماء فعجت
الى ربها فسمع العرش فعج الى ربه فامر الله السماء ان تحصبهم وامر الارض ان تخسف بهم قوله تعالى وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ
يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا
فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ
عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ
وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ثلث آيات اللغة
الايفاء اتمام الشيء الى حد الحق فيه ومنه ايفاء العهد وهو اتمامه بالعمل به والكيل تقدير الشيء بالمكيال حتى يظهر مقداره منه والوزن
تقديره بالميزان والمساحة تقديره بالذراع او ما زاد عليه او نقص والبخس النقص عن الحد الذي يوجبه الحق والافساد اخراج الشيء الى
حد لا ينتفع به بدلا من حال ينتفع بها وضده الاصلاح والصد الصرف عن الفعل بالاغواء فيه كما يصد الشيطان عن ذكر الله وعن الصلوة
يقال صده عن الامر يصده اي منعه العوج بكسر العين في الدين وكل ما لا يرى والعوج بفتح العين في العود وكل ما يرى كالحائط
وغيره والطائفة الجماعة من الناس وهو من الطوف ماخوذة من انها تجتمع على الطوف الاعراب مدين اسم للمدينة او القبيلة لا ينصرف
للتعريف والتانيث ويجوز ان يكون اعجميا عن الزجاج بكل صراط يعني على كل صراط ويجوز تعاقب الحروف الثلثة هنا الباء وعلى وفي تقول
لا تقعد بكل صراط وعلى كل صراط وفي كل صراط لانه اجتمع معاني الاحرف الثلثة فيه فان الباء للالصاق وقد لاصق المكان وعلى للاستعلاء

وهو قد علا المكان وفي للمحل وهو قد حل المكان ومن آمن في موضع نصب بانه مفعول به اي ويصدون المؤمنين بالله وانما قال فاصبروا
ليحصل الصبر جزاء وهو لازم على كل حال لان المعنى فسيقع جزاء كل فريق بما يستحقه من ثواب او عقاب كانه قال فانتم مصبورون على حكم
الله بذلك المعنى ثم عطف سبحانه على ما تقدم من القصص قصة شعيب فقال والى مدين اي وارسلنا الى مدين اخاهم شعيبا وقيل
ان مدين ابن ابراهيم الخليل فنسبت القبيلة اليه قال عطا هو شعيب بن توبة بن مدين بن ابراهيم وقال قتادة هو شعيب بن يويب وقال
ابن اسحق هو شعيب بن ميكيل بن يشجب بن مدين بن ابراهيم وام ميكيل بنت لوط وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه وهم
اصحاب الايكة وقال قتادة ارسل شعيب مرتين الى مدين مرة والى اصحاب الايكة مرة قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من
ربكم قد مر تفسيره فاوفوا الكيل والميزان اي اتموا ما تكيلونه على الناس بالمكيال وما تزنونه عليهم بالميزان ومعناه ادوا حقوق الناس على التمام
في المعاملات ولا تبخسوا الناس اشياءهم اي لا تنقصوهم حقوقهم وقال قتادة والسدي البخس الظلم ومنه المثل تحسبها حمقاء وهي باخس
ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها يعني لا تعملوا في الارض بالمعاصي واستحلال المحارم بعد ان اصلحها الله بالامر والنهي وبعثة الانبياء
وتعريف الخلق مصالحهم وقيل لا تفسدوا بان لا تؤمنوا فيهلك الله الحرث والنسل ذلكم الذي امرتكم به خير لكم واعود عليكم ان كنتم مؤمنين
مصدقين بالله وانما علق خيريته بالايمان وان كان هو خيرا على كل حال من حيث ان من لا يكون مؤمنا بالله عارفا بنبيه لم يمكنه ان يعلم ان
ذلك خير له وكانه قال لهم كونوا مؤمنين لتعلموا ان ذلك خير لكم ويمكن ان يكون المراد لا ينفعكم ايفاء الكيل والوزن الا بعد ان تكونوا
مؤمنين وقال الفراء لم يكن لشعيب معجزة على نبوته لان الله تعالى لم يذكر له دلالة في القران وهذا غلط لانه لا يجوز ان يخلي الله نبيا عن معجز
هذا وقد قال سبحانه قد جاءتكم بينة من ربكم فادخل المجاز بالفاء جوابا للجزاء ويجوز ان يكون له معجزات وان لم تذكر في القرآن كما ان اكثر ايات
نبينا صلى الله عليه وآله ومعجزاته غير مذكور في القران ولم يوجب ذلك نفيها ولا تقعدوا بكل صراط توعدون قيل في معناه اقوال احدها
انهم كانوا يقعدون على طريق من قصد شعيبا للايمان به فيخوفونه بالقتل عن ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد والسدي وثانيها انهم كانوا يقطعون
الطريق فنهاهم عنه عن ابي هريرة وعبد الرحمن بن زيد ويمكن ان يكونا اراد به انهم كانوا يقطعون الطريق على الناس عن قصد شعيب
فيرجع الى معنى القول الاول وثالثها ان المراد لا تقعدوا بكل طريق من طرق الدين فتطلبون له العوج بايراد الشبه ويقولون لشعيب
انه كذاب فلا يفتننكم عن الدين وتوعدونه وتصدون عن سبيل الله من آمن به اي تمنعون عن دين الله من اراد ان يؤمن به من الناس
وتبغونها عوجا الهاء راجعة الى السبيل اي تبغون السبيل عوجا عن الحق وهو ان يقولوا هذا كذاب وباطل وما اشبه ذلك عن قتادة
وقيل معناه تلتمسون لها الزيغ عن مجاهد وقيل معناه لا تستقيمون على طريق الهدى عن الحسن وقيل تريدون الاعوجاج والعدول
عن القصد عن الزجاج واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم اي كثر عددكم قال ابن عباس وذلك ان مدين بن ابراهيم تزوج بنت لوط فولدت حتى
كثر اولادها قال الزجاج وجائز ان يكون كثركم جعلكم اغنياء بعد ان كنتم فقراء وجائز ان يكون عز ذوي مقدرة واقدار فكثرهم وجائز ان
يكون عددهم قليلا فكثرهم وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين يعني فكروا في عواقب امر عاد وثمود ولوط وانزال العقاب بهم واستيصال
شافتهم وما حل بهم من البوار وان كان طائفة اي جماعة منكم امنوا بالذي ارسلت به اي صدقوني في رسالتي وقبلوا قولي وطائفة لم
يؤمنوا لم يصدقوا قولي فاصبروا حتى يحكم الله بيننا خاطب الطائفتين ومعناه لا يغرنكم تفرق الناس عني فاني جميل العاقبة لي وسيجزي الله
كل واحد من الفريقين بما يستحقه على عمله في الدنيا او في الاخرة دون الدنيا وهو خير الحاكمين لانه لا يجوز عليه الجور ولا المحاباة في الحكم و
هذا وعيد لهم قال البلخي امرهم في هذه الآية بالكف عما كانوا يفعلون من الصد عن الدين والايعاد عليه والكف عنه خير ورشد ولم يامرهم
بالمقام على الكفر وفي ذلك دلالة على انه ليس كل افعال الكفار كفرا ومعصية كما يذهب اليه بعض اهل النظر قوله تعالى قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ
اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ۞ قَدِ افْتَرَيْنَا
عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا
كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ۞ آيتان اللغة العود الرجوع
وهو مصير الشيء الى حال كان عليها ومنه اعادة الله الخلق ويستعمل لفظة الاعادة في الفعل مرة ثانية حقيقة وفي فعل مثله مجازا وكليهما



يسمى اعادة تقول اعدت الكتابة والقراءة ومعناه فعلت مثله قال الزجاج يقال قد عاد على من فلان مكروه وان لم يكن سبقه مكروه قبل
ذلك وتاويله انه قد لحقني منه مكروه قال الشاعر لئن كانت الايام احسن مرة الي فقد عادت لهن ذنوب الافتراء مشتق من فري الاديم وهو
مثل الاختلاف والافتعال والملة الديانة التي تجتمع على العمل بها فرقة عظيمة والاصل فيه تكرر الامر من قولهم طريق مليل اذا تكرر سلوكه
حتى توطأ ومنه الملل وهو تكرر الشيء على النفس حتى تضجر والملة الرماد الحار تدفن فيه الخبزة حتى تنضج لتكرار الحمي عليها والفتح الحكم والفتاح
والفتاح الحاكم لانه يفتح باب العلم الذي انغلق على غيره وفاتحته في كذي اي قاضيته قال ابن عباس ما كنت ادري ما الفتح حتى سمعت
بنت سيف بن ذي يزن وقد جرى بيني وبينها كلام فقالت انطلق افاتحك الى القاضي اي احاكمك اليه المعنى ثم اخبر سبحانه عما دار بينه
وبين قومه فقال قال الملأ الذين استكبروا من قومه اي رفعوا انفسهم فوق مقدارها لنخرجنك يا شعيب والذين امنوا معك من قريتنا
اي نخرجك واتباعك من المؤمنين بك من بلدتنا التي هي وطنك ومستقرك او لتعودن في ملتنا او لترجعن الى ملتنا التي كنا عليها لانه
كان عندهم وفي ظنهم انه كان قبل ذلك على دينهم فلذلك اطلقوا لفظ العود وقد كان ع يخفي دينه فيهم ويحتمل انهم ارادوا به قومه
فادخلوه معهم في الخطاب ويحتمل ان يكون المراد به او لتدخلن في ديننا وطريقتنا لان العود يذكر ويراد به الابتداء كما قاله الزجاج و
يكون بمعنى الصيرورة ومثله قول الشاعر تلك المكارم لا قعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعد ابوالا وحقيقة المعنى انا لا نمكنك من
المقام في بلدنا وانت على غير ملتنا فاما ان تخرج من بلدتنا او تدخل في ملتنا قال اولو كنا كارهين قال شعيب لهم اتعيدوننا في ملتكم
وتردوننا اليها ولو كنا كارهين للدخول فيها والمعنى انا مع كراهتنا لذلك لما عرفناه من بطلانه لا نرجع فادخل همزة الاستفهام على
واو وقيل المعنى انكم لا تقدرون على ردنا الى دينكم على كره منا فيكون على هذا كارهين بمعنى مكرهين قد افترينا على الله كذبا ان عدنا
في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها اي ان عدنا في ملتكم بان نحل ما تحلونه ونحرم ما تحرمونه وننسبه الى الله تعالى بعد اذ نجانا الله منها بان
اقام الدليل ونصبه على بطلانها واوضح الحق لنا فقد اختلقنا على الله كذبا فيما دعوناكم اليه وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله
ربنا قيل في معنى هذه المشية مع حصول العلم بانه سبحانه لا يشاء عبادة الاصنام اقوال احدها ان المراد بالملة الشريعة وليس المراد بها
ما يرجع الى الاعتقاد في الله سبحانه وصفاته مما لا يجوز ان يختلف العبادة فيه وفي شريعتهم اشياء يجوز ان يتعبد الله تعالى بها فكانه
قال ليس لنا ان نعود في ملتكم الا ان يشاء الله ان يتعبدنا بها وينقلنا اليها وينسخ ما نحن فيه من الشريعة عن الجبائي والقاضي وثانيها
انه سبحانه علق ما لا يكون ، اعلم انه لا يكون على وجه التبعيد كما قال ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكقول الشاعر اذا شاب
الغراب اتيت اهلي وصار القار كاللبن الحليب فيكون معناه كما لا يشاء الله عبادة الاصنام والقبائح لان ذلك لا يليق بحكمته فكذلك
لا نعود في ملتكم عن جعفر بن حرب وثالثها ان المراد الا ان يشاء الله ان يمكنكم من اكراهنا ويخلي بينكم وبينه فنعود الى اظهارها مكرهين
ويقوي هذا قوله ولو كنا كارهين ورابعها ان تعود الهاء التي في قوله فيها الى القرية لا الى الملة لان ذكر القرية قد تقدم كما ان ذكر الملة
تقدم فيكون تحقيق الكلام انا سنخرج من قريتكم ولا نعود فيها الا ان يشاء الله بما ينجزه لنا من الوعد في الاظهار عليكم والظفر بكم
فنعود فيها وخامسها ان يكون المعنى الا ان يشاء الله ان يردكم الى الحق فنكون جميعا على ملة واحدة غير مختلفة لانه لما قال حاكيا عنهم
او لتعودن في ملتنا كان معناه او لنكونن على ملة واحدة فان قيل فكان الله تعالى ما شاء ان يرجع الكفار الى الحق قلنا بلى قد شاء
ذلك الا انه انما شاء ان يؤمنوا مختارين ليستحقوا الثواب ولم يشاءه على كل حال لما جاز ان لا يقع منهم ذلك فكانه قال ان ملتنا لا تكون
واحدة ابدا الا ان يشاء الله ان يجبركم الى الايمان والاجتماع معنا على ملتنا وسع ربنا كل شيء علما انتصب علما على التمييز وتقديره وسع
علم ربنا كل شيء فنقل الفعل الى نفسه لما فيه من جزالة اللفظ وفخامة المعنى وقيل في وجه اتصاله بما قبله ان الملة انما يتعبد بها على حسب
ما في المعلوم من المصلحة فالمعنى انه سبحانه احاط علمه بكل شيء فهو اعلم بما هو اصلح لنا فيتعبدنا به وقيل ان المراد به انه عالم بما يكون
منا من عود او ترك على الله توكلنا في الانتصار منكم وفي كل امورنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق هذا سؤال من شعيب ورغبة منه الى الله
تعالى في ان يحكم بينه وبين قومه بالحق على سبيل الانقطاع اليه وان كان من المعلوم ان الله تعالى سيفعله لا محالة وقيل ان
معناه اكشف بيننا وبين قومنا بين انا على حق وهذا استعجال منه للنصر وانت خير الفاتحين اي خير الحاكمين والفاصلين

عشر

قوله تعالى: وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ ۝ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ۝ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ ۝ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ ۝ اربع ايات

اللغة غنى بالمكان يغنى غنى وغنيانا اقام به كانه استغنى بذلك المكان عن غيره والمغانى المنازل واصل الباب الغنى قال حاتم طي عنينا زمانا بالتصعلك والغنى فكلا سقاناه بكاسيهما الدهر فما زادنا بغيا على ذي قرابة غنانا ولا ازرى باحسابنا الفقر والاسى شدة الحزن تقول اسى ياسى اسى وقال يقولون لا تهلك اسى

ع

و تجمل الاعراب انكم اذا لخاسرون جواب القسم وقد سد مسد جواب الشرط من قوله لئن واذا ههنا ملغاة لانها وقعت حشو الكلام وما بعدها يعتمد على ما قبلها الذين كذبوا شعيبا الاول فى موضع رفع بالابتداء وخبره كان لم يغنوا فيها وانما اعيد مرة ثانية من غير كناية لتغليظ الامر فى تكذيبهم شعيبا مع البيان انهم اذا حصلوا على الخسران لا من نسبوه الى ذلك من اهل الايمان وهم فى قوله هم الخاسرون فصل وانما دخل الفصل مع ان المضمر لا يوصف لانه يحتاج فيه الى التوكيد ليتمكن معناه فى النفس وان الذي بعده من المعرفة لا يخرجه ذلك من معنى الخبر وان كان الاصل فى الخبر النكرة

المعنى ثم حكى الله ما قالت الجماعة الكافرة الجاحدة بايات الله فقال سبحانه وقال الملاء الذين كفروا من قومه اى من قوم شعيب للباقين منهم لئن اتبعتم شعيبا فى دينه وتركتم دينكم انقيادا لامره ونهيه لان الاتباع هو طلب الثاني موافقة الاول فيما دعا اليه انكم اذا لخاسرون والخسران ذهاب راس المال فكانهم قالوا ان تبعتموه كنتم بمنزلة من ذهب راس ماله وقيل خاسرون مغبونون عن ابن عباس وقيل هالكون فاخذتهم الصاعقة اى فاخذ قوم شعيب الزلزلة عن الكلبي وقيل ارسل الله عليهم ومدة وحرا شديدا فاخذ بانفاسهم فدخلوا اجواف البيوت فدخل عليهم البيوت فلم ينفعهم ظل ولا ماء وانضجهم الحر فبعث الله تعالى سحابة فيها ريح طيبة فوجدوا برد الريح وطيبها وظل السحابة فتنادوا عليكم بها فخرجوا الى البرية فلما اجتمعوا تحت السحابة الهبها الله عليهم نارا ورجفت بهم الارض فاحترقوا كما يحترق الجراد المقلي وصاروا رمادا وهو عذاب يوم الظلة عن ابن عباس وغيره من المفسرين وقيل بعث الله عليهم صيحة واحدة فماتوا عن ابى عبد الله عم وقيل انه كان لشعيب قومان قوم اهلكوا بالرجفة وقوم هم اصحاب الظلة فاصبحوا فى دارهم اى منازلهم جاثمين اى ميتين ملقين على وجوههم الذين كذبوا شعيبا كان لم يغنوا فيها اى كانهم لم يقيموا بها قط لان المهلك يصير كانه لم يكن وقيل كان لم يغنوا فيها كان لم يعيشوا فيها مستغنين عن قتادة وقيل كان لم يعمروا فيها عن ابن عباس الذين كذبوا شعيبا اعاد اللفظ تاكيدا وتغليظا كانوا هم الخاسرين ومعناه بين سبحانه انهم الخاسرون دون من آمن به فتولى عنهم شعيب اى اعرض عنهم لما رأى اقبال العذاب عليهم اعراض الايس منهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي فيما امرني فلم تؤمنوا ونصحت لكم فلم تقبلوا ومعناه ان ما نزل بكم من البلاء وان كان عظيما فقد استوجبتم ذلك بجنايتكم على انفسكم فكيف آسى اى فكيف احزن على قوم كافرين حل العذاب لهم مع استحقاقهم له وقوله فكيف آسى وان كان على لفظ الاستفهام فالمراد به النفي جواز فى هذا الموضع لا يصح الا بالنفي وانما يدخله مع الانكار ايضا لهذه العلة وهذا كما قال العجاج اطربا وانت قنسري وهذا تسل من شعيب عم بما يذكر من حاله معهم فى مناصحته لهم وتاديته رسالة ربه وانه لا ينبغي ان يأسى عليهم مع تمردهم فى كفرهم وشدة عتوهم قال البلخي وفى هذا دلالة على انه لا يجوز للمسلم ان يدعوا للكافر بالخير وانه لا يجوز الحزن على هلاك الكافرين والظالمين

الرجفة م

قوله تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ۝ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝ ايتان

خمس

اللغة التبديل وضع احد الشيئين مكان الاخر واصل العفو الترك من قولهم عفى له من اخيه شيء فمعنى قوله عفوا تركوا حتى كثروا قال ولكنا نعض السيف منها باسوق عافيات اللحم كوف والبغتة الفجأة وهى الاخذ على غرة من غير تقدمة تؤذن بالنازلة يقال بغته يبغته بغتا وبغتة قال وانكاء شيء حين يفجاك البغت

ولا يدغم الزائد فى الناقص

الاعراب اصل يضرعون يتضرعون فادغمت التاء فى الضاد ولا يدغم الضاد فى التاء لان فى الضاد استطالة وانما يدغم الناقص فى الزائد لما فى ذلك من الاخلال به وهو فى موضع نصب بانه خبر لعل وبغتة مصدر وضع موضع الحال

المعنى ثم ذكر سبحانه ما اقتص من قصص الانبياء وتكذيب اممهم اياهم وما نزل بهم من العذاب سنته فى امثالهم تسلية لنبينا صلى الله عليه وآله فقال وما ارسلنا فى قرية من القرى التى اهلكناها بالعذاب وقيل فى سائر القرى عن الجبائي من نبي وهو من يؤدي عن الله بلا واسطة من البشر فلم يؤمنوا به بعد قيام الحجة عليهم

الا

الا اخذنا اهلها اى اهل تلك القرية بالباساء والضراء لعلهم يضرعون اى ليتنبهوا ويعلموا انه مقدمة العذاب ويتضرعوا ويتوبوا عن شركهم
ومخالفتهم ويعنى بالباساء ما نالهم من الشدة فى انفسهم وبالضراء ما نالهم فى اموالهم وقيل ان الباساء الجوع والضراء الامراض والشدايد
عن الحسن وقيل ان الباساء الجوع والضراء الفقر عن السدى ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة اى رفعنا السيئة ووضعنا الحسنة مكانها
والسيئة الشدة والحسنة الرخاء عن ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد وسميت سيئة لانها تسوء صاحبها قال الجبائي جرى فى هذا
الموضع على سبيل التوسع والمجاز حتى عفوا اى كثروا عن ابن عباس ومجاهد والسدى وقيل سمنوا عن الحسن وقيل اعرضوا عن الشكر عن
ابى مسلم وقالوا قد مس اباءنا الضراء والسراء اى قال بعضهم لبعض هكذا عادة الدهر فكونوا على ما انتم عليه كما كان اباؤكم كذلك فلم ينتقلوا
عن حالهم فتنتقلوا فاخذناهم بغتة اى فجاة عبرة لمن بعدهم وهم لا يشعرون اى لم يعلموا ان العذاب نازل بهم الا بعد حلوله وحقيقة
المعنى فى الاية انه سبحانه يدبر خلقه الذين يعصونه بان يأخذهم تارة بالشدة وتارة بالرخاء فاذا افسدوا على الامرين جميعا اخذهم فجاة
ليكون ذلك اعظم فى الحسرة وابلغ فى العقوبة نعوذ بالله من سخطه **قوله تعالى** وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ
السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ ۝ أَوَأَمِنَ أَهْلُ
الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ۝ اربع ايات

ع ٢

القراءة او امن بفتح الواو عراقي وابن فليح والباقون او امن بسكون الواو الا ان ورشا قراءه على اصله فى القاء حركة الهمزة على الساكن
قبلها فقال اوامن الحجة قال ابو على او حرف استعمل على ضربين احدهما ان يكون بمعنى احد الشيئين او الاشياء فى الخبر والاستفهام و
الاخر ان يكون للاضراب عما قبلها فى الخبر والاستفهام كما ان ام المنقطعة فى الاستفهام والخبر كذلك فاما التى تكون لاحد الشيئين او
الاشياء فمثاله فى الخبر زيد او عمرو جاء وزيد او عمرو ضربته كما تقول احدهما جاء واحدهما ضربته وهى اذا كانت للاباحة كذلك ايضا وهو قوله
جالس الحسن او ابن سيرين واما او التى تجئ للاضراب بعد الخبر والاستفهام فكقولك انا اخرج ثم تقول او اقيم اضربت عن الخروج واثبت
الاقامة كانك قلت لا بل اقيم كما انك فى قولك انها لابل ام شاء تضرب عن الاول ولا يقع بعدها هذه الاجملة ومن ثم قال سيبويه فى
قوله ولا تطع منهم اثما او كفورا انك لو قلت او لا تطع كفورا انقلبت المعنى وانما كان ينقلب المعنى لانه اذا قال لا تطع اثما او كفورا فكانه قال
لا تطع هذا الضرب او لا تطع هؤلاء فانما لزمه ان لا يطيع واحدا منهما لان كل واحد منهما اهل للمجالسة ومجالسة كل واحد منهما كمجالسة
الاخر ولو قال ولا تطع منهم اثما او لا تطع كفورا كان بقوله او لا تطع قد اضرب عن ترك طاعة الاول وكان يجوز ان يطيعه وفى جواز
ذلك انقلاب المعنى ووجه قراءة من قرا او امن انه جعل او للاضراب لا على انه ابطل الاول ولكن كقوله الم تنزيل الكتاب ثم قال ام يقولون
افتراه فجاء هذا ليبصروا ضلالتهم فكان المعنى او امنوا هذه الضروب من معاقبتهم والاخذ لهم وان شئت جعلته او التى فى قولك ضربت
زيدا او عمروا كانك اردت افامنوا احدى هذه العقوبات ووجه قراءة من قرا او امن انه ادخل همزة الاستفهام على حرف العطف كما
دخل فى نحو قوله اثم اذا ما وقع وقوله او كلما عاهدوا عهدا ومن حجة من قرا ذلك انما شبه بما قبله وبما بعده الا ترى ان قبله افامن اهل القرى
وبعده افامنوا مكر الله اولم يهد للذين يرثون الارض فكما ان هذه الاشياء عطف حرف دخل عليها حرف الاستفهام كذلك يكون اوامن اللغة
البركات الخيرات النامية واصله الثبوت والامن والثقة والطمانينة نظاير فى اللغة وضد الامن الخوف وضد الثقة الريبة وضد الطمانينة
الانزعاج والامن الثقة بالسلامة من الخوف والباس العذاب والبؤس الفقر والاصل الشدة ورجل بئيس شديد فى القتال والنوم
نقيض اليقظة وهو سهو يغمر القلب ويغشى القلب ويضعف الحس وينافى العلم يقال نام الرجل ينام نوما وحسن النيمة اذا كان
حسن هيئة النوم ورجل نومة بسكون الواو اذا كان خسيسا لا يؤبه به ورجل نومة بفتح الواو اذا كان كثير النوم والنيم الفرو لان من شانه
ان ينام فيه او لانه يغشى كما يغشى النوم والضحى صدر النهار فى وقت انبساط الشمس واصله الظهور من قولهم ضحا للشمس يضحو ضحوا
وضحوا وفعل ذلك الامر ضاحية وافعله ظاهرا والاضحية لانها تذبح عند الضحى يوم العيد قال الخليل المكر الاحتيال باظهار خلاف
الاضمار وقيل ان اصل المكر الالتفاف ومنه ساق ممكورة اى ملتفة حسنة قال ذو الرمة عجزاء ممكورة خمصانة قلق عنها الوشاح وتم الجسم
والقصب والمكور شجر ملتف قال يستن فى علقى وفى مكور فمعنى قولك مكر فلان يمكر مكرا التف تدبيره على مكروه لصاحبه الاعراب

لو معناه تعليق الثاني بالاول الذي يجب الثاني بوجوبه وينتفي بانتفائه على طريقه كان وان فيها هذا المعنى على طريقه يكون والفرق بينهما
ان ان تعلق الثاني بالاول الذي يمكن ان يكون ويمكن ان لا يكون كقولك ان امن هذا الكافر استحق الثواب وهذا مقدور وليس كذلك
لو لانها قد تدخل على ما لا يمكن ان يكون كقولك لو كان الجسم قديما لاستغنى عن صانع وانما فتحت ان بعد لو لانها وقعت في الموضع
الذي يختص بالفعل فان لو ليس يدخل الا على الفعل وان مع اسمها وخبرها في تاويل اسم مفرد فيكون تقديره لو وقع ان اهل القرى امنوا
فيكون ان ما بعده في موضع رفع بالفعل المقدر بعد لو وانما دخلت همزة الاستفهام على حرف العطف من قوله افامن او امن مع ان الاستفهام
للاستيناف والعطف بخلافه لانهما انما يتنافيان في المفرد لان الثاني اعمل فيه الاول كان من الكلام الاول والاستيناف قد اخرجه من ان
يكون منه واما في عطف جملة على جملة فيصح لانه على استيناف جملة بعد جملة المعنى ثم بين سبحانه ان كل من اهلكه من الامم المتقدم ذكرهم انما
اتوا في ذلك من قبل نفوسهم فقال ولو ان اهل القرى التي اهلكناها بسبب جحودهم وعنادهم امنوا وصدقوا رسلنا واتقوا الشرك والمعاصي
لفتحنا عليهم بركات الخيرات نامية من السماء بانزال المطر ومن الارض باخراج النبات والثمار كما وعد نوح بذلك امته فقال يرسل السماء
عليكم مدرارا الايات وقيل بركات السماء اجابة الدعاء وبركات الارض تيسير الحوائج ولكن كذبوا الرسل فاخذناهم بما كانوا يكسبون من
المعاصي والمخالفة وتكذيب الرسل فحبسنا السماء عليهم واخذناهم بالضيق عليهم عقوبة لهم على فعلهم افامن اهل القرى المكذبون لك
يا محمد ان ياتيهم باسنا اي عذابنا بياتا ليلا وهم نائمون في فرشهم ومنازلهم كما اتى المكذبين قبلهم اوامن اهل القرى ان ياتيهم باسنا ضحى اي
عذابنا نهارا عند ارتفاع الشمس وهم يلعبون اي وهم في غير ما ينفعهم او يعود عليهم بنفع فان من اشتغل بدنياه واعرض عن اخرته فهو
كاللاعب والمعنى باهل القرى كل اهل قرية يقيم على معاصي الله في كل وقت وزمان وان نزلت بسبب اهل القرى الظالم اهلها المشركين في زمن
النبي صلى الله عليه وآله وانما خص سبحانه هذين الوقتين لانه اراد انه لا يحق لهم ان يامنوا ليلا ونهارا عن الحسن افامنوا مكر الله اي ابعد
هذا كله امنوا عذاب الله ان ياتيهم من حيث لا يشعرون عن الجبائي قال دخلت الفاء للتعقيب وسمى العذاب مكرا لنزوله بهم من حيث لا يعلمون
كما ان المكر ينزل بالممكور به من جهة الماكر من حيث لا يعلمه وقيل ان مكر الله استدراجه اياهم بالصحة والسلامة وطول العمر وتظاهر
النعمة فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون يسأل عن هذا فيقال ان الانبياء والمعصومين امنوا مكر الله وليسوا بخاسرين وجوابه من وجوه
احدها ان معناه لا يامن مكر الله من المذنبين الا القوم الخاسرون بدلالة قوله سبحانه ان المتقين في مقام امين وثانيها ان معناه لا يامن
عذاب الله للعصاة الا الخاسرون والمعصومون لا يامنون عذاب الله للعصاة ولهذا سلموا من مواقعة الذنوب وثالثها لا يامن عقاب الله
جهلا بحكمته الا الخاسرون ومعنى الاية الابانة عما يجب ان يكون عليه المكلف من الخوف لعقاب الله ليسارع الى طاعته واجتناب
معاصيه ولا يستشعر الامن من ذلك فيكون قد خسر في دنياه واخرته بالتهالك في القبائح قوله تعالى أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ
مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا وَلَقَدْ
جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ
مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ثلث آيات القراءة قرا ابن يعقوب برواية زيد اولم نهد بالنون وكذلك في طه
والسجدة وبه قرا ابو عبد الرحمن السلمي وقتادة والباقون بالياء الحجة من قرا نهد بالنون فانه للتعظيم وهذا يقوي ان المعنى في قوله
اولم يهد بالياء اولم يبين الله لهم دون ان يكون المعنى اولم يهد مشيتنا او اصطلامنا لمن اهلكناه اللغة القصص اتباع الحديث
الحديث يقال فلان يقص الاثر اي يتبعه ومنه المقص لانه يتبع في القطع اثر القطع والنبأ الخبر عن امر عظيم الشان ولذلك اخذ منه
اسم نبي والوجدان والالفاء والادراك والمصادفة نظائر الاعراب تطبع ليس بمحمول على اصبناهم لانه لو حمل عليه لكان ولطبعنا ولكنه
على الاستيناف اي ونحن نطبع من عهد من هنا للتبعيض لانه اذا لم يوجد بعض العهد لم يوجد الجميع والاولى ان تكون من مزيدة للتعميم
واستغراق الجنس وقيل ان اصلها لابتداء الغاية فدخلت على ابتداء الجنس الى انتهائه وان وجدنا اكثرهم لفاسقين ان هذه هي المخففة
من الثقيلة واذا خففت جاز الغاؤها من العمل وان يليها الفعل لانها حينئذ قد صارت خارجة من شبه الفعل لم نبين عن ابن عباس
ومجاهد والسدي وقيل معناه اولم يهد ما تلونا من انباء القرى وقيل تقديره اولم يهد لهم مشيتنا لان قوله ان لو نشاء اصبناهم في موضع رفع

بانه

المعنى ثم ذكر سبحانه عليهم تركهم الاعتبار بمن تقدمهم من
الامم فقال اولم يهد هو استفهام يراد به التقرير اولم
يبين الله وبالنون او م

بانه فاعل يهدى للذين يرثون الارض من بعد اهلها معناه للذين خلفوا فى الارض من بعد اهلها الذين اهلكهم الله بتكذيبهم للرسل ان لو
نشاء اصبناهم بذنوبهم يعنى اولم نبين انا لو شئنا اهلكناهم بعقاب ذنوبهم كما اهلكنا الامم الماضية قبلهم ونطبع على قلوبهم قد ذكرنا
معنى الطبع والختم فى اوايل سورة البقرة فهم لا يسمعون الوعظ ولا يقبلونه ثم اخبر سبحانه عن اهل القرى التى ذكرها وقص خبرها فقال
تلك القرى والمخاطبة للنبى صلى الله عليه وآله نقص عليك من انبائها لتتفكر فيها وتخبر قومك بها ليتذكروا ويعتبروا ويحذروا عن الاصرار
على مثل حال اولئك المغترين بطول الامهال فى النعم السابغة والمنن المتظاهرة ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات اى الدلالات والحجج
وانما اضاف الرسل اليهم مع انهم رسل الله لان المرسل مالك لرسالته وقد ملك العباد الانتفاع بها والاهتداء بما فيها من البيان فما
كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل معناه فما اهلكناهم الا وقد كان فى معلومنا انهم لا يؤمنون ابدا عن مجاهد قال ويريد بقوله من قبل من
قبل الهلاك وهو بمنزلة قوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وقيل معناه ان عتوهم فى كفرهم وتمردهم فيه يحملهم على ان لا يركنوا الى الايمان
فما كانوا ليؤمنوا بعد ان جاءتهم الرسل بالمعجزات وبما كذبوا به من قبل رؤيتهم تلك البينات عن الحسن وقيل معناه ما كان هؤلاء الخلف
ليؤمنوا بما كذب به اوايلهم من الامم وقال الاخفش بما كذبوا معناه بتكذيبهم فجعل ما مصدرية كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين قيل ان
الله سبحانه شبه الكفر بالصدأ لانه يذهب عن القلوب بحلاوة الايمان ونور الاسلام كما يذهب الصدأ بنور السيف وصفاء المرآة ولما
صاروا عند امر الله لهم بالايمان الى الكفر جاز ان يضيف الله سبحانه الطبع الى نفسه كما قال زادتهم رجسا الى رجسهم وان كانت السورة لم
تزدهم ذلك عن جعفر بن حرب والبلخى ووجه التشبيه فى الكاف ومعناه ان دلالته على انهم لا يؤمنون كالطبع على قلوب الكافرين
الذين فى مثل صفتهم وقيل معناه كما دل الله لكم بالاخبار على انهم لا يؤمنون فكذلك يدل الملائكة بالطبع على انهم لا يؤمنون وما وجدنا
لاكثرهم اى لاكثر المهلكين من عهد اى من وفاء بعهد كما يقال فلان لا عهد له اى لا وفاء له بالعهد وليس يحافظ للعهد ويجوز ان يكون
المراد بهذا العهد ما اودع الله العقول من وجوب شكر المنعم وطاعة المالك المحسن واجتناب القبائح ويجوز ان يكون المراد به ما اخذ
على المكلفين على السنة الانبياء ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وهو قول الحسن وان وجدنا اكثرهم لفاسقين اللام وان للتاكيد والمعنى
وانا وجدنا اكثرهم ناقضين للعهد مخلفين للوعد ويسال فيقال كيف قال اكثرهم وكلهم فسقه وكيف يجوز ان يكون كافر غير فاسق والجواب
انه قد يكون الكافر عدلا فى دينه غير مرتكب لما يحرم فى طريقته فعلى هذا يكون المعنى ان اكثرهم مع كفرهم فاسق فى دينه غير لازم لمذهبه
ناقض للعقد قليل الوفاء بالعهد **قوله تعالى** ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ
عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ • وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ • حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ
بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ • قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ • فَأَلْقَى عَصَاهُ
فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ • وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ • ست آيات **القراءة** قرا نافع وحده حقيق علىّ بتشديد الياء
والباقون بتخفيف الياء **الحجة** قال ابو على حجة نافع فى قوله حقيق علىّ واتصاله بعلى من وجهين احدهما ان حق الذى هو فعل يتعدى
بعلى قال فحق علينا قول ربنا والاخر ان حقيق بمعنى واجب كما ان وجب يتعدى بعلى كذلك تعدى حقيق به ومن قرا حقيق على فجائز
تعديته بعلى من الوجهين اللذين ذكرنا وقد قالوا هو حقيق بكذا فيجوز على هذا ان يكون بمعنى الباء قال ابو الحسن كما وقعت الباء فى
قوله بكل صراط توعدون موقع على كذلك وقعت على هنا موقع الباء **الاعراب** البعث الارسال وهو فى الاصل النقل باعتماد يوجب
الاسراع فى المشى فالبعث بعد الموت نقل الى حال الحيوة والبعث للانبياء نقل بالارسال عن حاله الى حال النبوة والعصا عود
كالقضيب يابس واصله الامتناع بيبسه يقال عصى بالسيف يعصى اذا امتنع قال جرير تصف السيوف وغيركم يعصى بها يا ابن القيون
وذلك فعل الصيقل ويقال عصى بالسيف اى اخذه اخذ العصا ويقال لمن استقر بعد تنقل القى عصاه قال فالقت عصاها واستقرت
بها النوى كما قر عينا بالاياب المسافر وليست المعصية بمشتقة من العصا لان العصا من بنات الواو والمعصية من بنات الياء قال
فجاءت بنسج العنكبوت كانه على عصويها سابرى مشبرق واصل القى من اللقاء الذى هو الاتصال فالقى عصاه اى ازال اتصالها عما كان
عليه والثعبان الحية الضخمة الطويلة قال الفراء الثعبان اعظم الحيات وهو الذكر وهو مشتق من ثعبت الماء اثعبه اذا فجرته والمثعب موضع

انفجار الماء فسمي الثعبان لانه يجري كمثل الماء عند الانفجار والنزع ازالة الشيء عن مكانه الملابس له المتمكن فيه كنزع الرداء عن الانسان ف
النزع والقلع والجذب نظاير الاعراب موضع كيف في قوله كيف كان نصب لانه خبر كان وتقديره انظر اي شيء كان عاقبة المفسدين وموسى
على وزن مفعل والميم زايدة لكثرة زيادتها اولا كالهمزة حتى صارت اغلب من زيادة الالف اخيرا وانه على وزن افعل لهذه العلة وموسى
لا ينصرف لانه اسم اعجمي معرفة وموسى الحديد عربي ان سميت به رجلا لم تصرفه لانه مؤنث ومعرفة على اكثر من ثلثة احرف كما لو سميته بعناق
لم تصرفه وفرعون على وزن فعلون مثل برذون فالواو زايدة لانها جاءت مع سلامة الاصول الثلثة والنون زايدة للزومها وفرعون لا ينصرف
لانه اعجمي معرفة عرب في حال تعريفه لانه نقل من الاسم العلم ولو عرب في حال تنكيره لانصرف كما ينصرف ياقوت في اسم رجل الا الحق نصب
بانه مفعول القول على غير الحكاية بل على معنى الترجمة عن المعنى دون حكاية اللفظ قوله ان كنت جيت باية قال ابو العباس المبرد ان هنا
لم ينقل الماضي الى معنى الاستقبال من اجل قوة كان لانها ام الافعال ولا يجوز ذلك في غيرها وقال ابو بكر السراج المعنى ان تكن جيت باية
اي ان يصح ذلك قال اذا امكن اجراء الحرف على اصله لم يجز اخراجه عنه وان ينقل الفعل نقلين الى الشرط والاستقبال كما ان لم ينقل الفعل
الى النفي والماضي وضمير المخاطب في كنت يرجع الى المكنى ولا يجوز ذلك في الذي لان الذي غايب فحقه ان يعود اليه ضمير الغايب وقد
اجازوه اذا تقدمت كناية المتكلم في نحو قول الشاعر وانا الذي قتلت بكرا بالقنا وتركت تغلب غير ذات سنام ونحو ما روي عن امير المؤمنين
عليه السلم من قوله انا الذي سمتني امي حيدره اكيلكم بالسيف كيل السندره وعلى هذا نحو انت الذي ضربك عمرو والوجه ضربه وقوله فات
بها بر جاز وقوع الامر في جواب الشرط لان فيه معنى ان كنت جيت باية فاتي الزمك ان تاتي بها فقد عاد الى انه وجب الثاني بوجوب
الاول قوله فاذا هي ثعبان مبين اذا هذه ظرف مكان وتسمى ظرف المفاجاة وهي بخلاف اذا التي هي ظرف زمان وفيها معنى الشرط ويعمل
فيها جوابها ومثال اذا التي هي ظرف المكان قولهم خرجت فاذا الناس وقوف فاذا في موضع نصب بكونها ظرفا للوقوف وتقديره فبالحضرة
الناس وقوف ويجوز ان ينصب وقوفا على الحال لان اذا ظرف مكان وظرف المكان يكون اخبارا عن الجثث وهذه المسئلة وقعت
بين سيبويه والكسايي لما اجتمعا عند يحيى بن خالد البرمكي فيما رواه علي بن سليمن الاخفش قال حدثني احمد بن يحيى ثعلب ومحمد بن يزيد
المبرد قالا لما ورد سيبويه بغداد شق امره على الكسايي فاتى جعفر بن يحيى والفضل بن يحيى فقال انا وليكما وصاحبكما وهذا الرجل قد قدم
ليذهب بمحلي فقالا له فاحتل لنفسك فانا سنجمع بينكما فجمعا بينهما عند ابيهما وحضر سيبويه وحده وحضر الكسايي ومعه الفراء وعلي الاحمر
وغيرهما من اصحابه فسالوه كيف تقول كنت اظن العقرب اشد لسعة من الزنبور فاذا هو هي او فاذا هو اياها قال اقول فاذا هو هي
فاقبل عليه الجمع فقالوا اخطات ولحنت فقال يحيى هذا موضع مشكل انتما اماما مصريكما فمن يحكم بينكما قال فقال الكسايي واصحابه الاعراب
الذين على الباب فادخل ابو الجراح ومن وجد معه ممن كان الكسايي واصحابه يحملون عنهم فقالوا فاذا هو اياها وانصرف المجلس على ان
سيبويه اخطا وحكموا عليه بذلك فاعطاه البرامكة واخذوا له من الرشيد وبعثوا به الى بلده فما لبث بعد هذا الا يسيرا حتى مات ويقال انه
مات كمدا قال علي بن عيسى واصحاب سيبويه الى هذه المدة لا اختلاف بينهم يقولون ان الجواب على ما قال سيبويه فاذا هو هي وهذا
موضع الرفع وهو كما قال علي بن سليمان وذلك ان النصب انما يكون على الحال نحو خرجت فاذا الناس وقوفا جاز النصب هنا لان
وقوفا نكرة والحال لا يكون الا نكرة فاذا اضمرت بطل امر الحال فان المضمر معرفة والمعرفة لا تكون حالا فوجب العدول عن النصب الى
الرفع كما تقول فاذا الناس وقوف المعنى ثم عطف سبحانه بقصة موسى ع على ما تقدم من قصص الانبياء عليهم السلم فقال ثم بعثنا
من بعدهم اي من بعد الرسل الذين ذكرناهم او من بعد الامم الذين ذكرنا اهلاكهم موسى باياتنا اي بدلايلنا وحججنا الى فرعون وملايه
اي اشراف قومه وذوي الامر منهم فظلموا بها اي ظلموا انفسهم بجحدها عن الحسن والجبايي وقيل فظلموا بوضعها غير مواضعها فجعلوا
بدل الايمان بها الكفر والجحود لان الظلم وضع الشيء في غير موضعه الذي هو حقه ولم يقل فذهب موسى فادى اليهم الرسالة فكذبوه لان
في قوله فظلموا بها دلالة عليه فانظر كيف كان عاقبة المفسدين يعني ما آل اليه امرهم في الهلاك قال موسى يا فرعون اني رسول من رب
العالمين هذه حكاية قول موسى لفرعون وندائه اني رسول اليك من قبل رب العالمين مبعوث اليك والى قومك قال وهب وكان اسم
فرعون الوليد بن مصعب وهو فرعون يوسف وكان بين اليوم الذي دخل يوسف مصر واليوم الذي دخلها موسى رسولا اربع مائة عام

حقيق

حقيق على ان لا اقول الاعلى الله الا الحق قال الزجاج معناه حقيق على ترك القول على الله الا الحق وقال الامام العلامة الزمخشري يقول
انا حقيق على قول الحق اي واجب على قول الحق ان اكون انا قايله والقايم به ولا يرضى الا مثلي ناطقا به ومنه قول العرب فلان يدعيه الحلم
بالطرف فوق ما يدعي هو العلم بها وقال الفراء معناه حقيق بان لا اقول على الله الا الحق فيكون على بمعنى الباء كما تقول رميت على القوس
وبالقوس وجاء في فلان على حالة حسنة وبحالة حسنة وقيل معناه حريص على ان لا اقول على الله الا الصدق وما فرضه علي من الرسالة
عن ابي عبيدة قد جئتكم ببينة اي بحجة ومعجزة من ربكم اي اعطانيها ربكم فارسل معي بني اسرائيل اي فاطلق بني اسرائيل من عقال التسخير
خلهم يرجعوا الي الارض المقدسة وذلك ان فرعون والقبط كانوا قد استعبدوا بني اسرائيل واعتقلوهم للاستخدام في الاعمال الشاقة
مثل بناء المنازل وحمل الماء ونقل التراب وما اشبه ذلك قال فرعون ان كنت جئت باية اي بحجة ودلالة تشهد لك على ما تقول فأت بها
ان كنت من الصادقين في انك رسول الله فالقى عصاه الفاء فاء الجواب اي فكان جوابه لفرعون ان القى عصاه من يده فاذا هي ثعبان
مبين اي حية عظيمة بين ظاهر انه ثعبان بحيث لا يشتبه على الناس ولم يكن مما يخيل انه حية وليس بحية وقيل ان العصا لما صارت
حية اخذت قبة فرعون بين فكيها وكان بينهما ثمانون ذراعا فتضرع فرعون الى موسى بعد ان وثب من سريره وهرب منها واحدث و
هرب الناس ودخل فرعون البيت وصاح يا موسى خذها وانا او من بك فاخذها موسى فعادت عصا عن ابن عباس والسدي وقيل كان
طولها ثمانين ذراعا ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين هناك قيل ان فرعون قال له هل معك اية اخرى قال نعم فادخل يده في جيبه قيل
تحت ابطه ثم نزعها اي اخرجها منه واظهرها فاذا هي بيضاء اي لونها ابيض نوري ولها شعاع يغلب نور الشمس وكان موسى عليه السلم
ادم فيما يروى ثم اعاد اليد الى كمه فعادت الى لونها الاول عن ابن عباس والسدي ومجاهد سوال قيل كيف قال سبحانه هنا فاذا هي
ثعبان وقال في موضع اخر فلما راها تهتز كانها جان والثعبان الحية العظيمة والجان الحية الصغيرة فاختلف الوصفان والقصة
واحدة والجواب ان الاثنين ليستا اخبارا عن قصة واحدة بل الحالتان مختلفتان فالحالة التي كانت العصا بصفة الجان كانت في ابتداء
النبوة والحالة التي كانت بصفة الثعبان كانت عند لقائه فرعون وعلى هذا فلا سوال وقد اجيب ايضا عن ذلك بانه شبهها بالجان لسرعة
حركتها ونشاطها وخفتها مع انها في جسم الثعبان وكبر خلقه وهذا اظهر في باب الاعجاز حديث العصا
قد ذكرنا نسب موسى عليه السلم في سورة البقرة واما عصاه فقيل انه اعطاه ملك حين توجه الى مدين وقيل ان عصا ادم من اس الجنة
حين اهبط فكان يدور بين اولاده حتى انتهت النوبة الى شعيب فكان ميراثا له مع اربعين عصا كانت لابائه فلما استاجر شعيب موسى
امره بدخول بيت فيه العصي وقيل له خذ عصا من تلك العصي فوقع تلك العصي بيد موسى فاسترده شعيب وقال خذ غيرها حتى فعل
ذلك ثلث مرات في كل مرة تقع يده عليها دون غيرها فتركها في يده في المرة الرابعة فلما خرج من عنده متوجها الى مصر وراى نارا واتى الشجرة
فناداه الله تعالى ان يا موسى اني انا الله وامره بالقائها القاها فصارت حية فولى هاربا فناداه الله سبحانه خذها ولا تخف فادخل
يده بين لحييها فعادت عصى فلما اتى فرعون القاها بين يديه على ما تقدم بيانه وقيل كان الانبياء ياخذون العصا تجنبا من الخيلاء و
قال رسول الله صلى الله عليه واله تعصوا فانها من سنن اخواني المرسلين وقال امير المومنين علي عليه السلم قال رسول الله صلى الله
عليه واله من خرج في سفر ومعه عصى لوز مر وتلا هذه الاية ولما توجه تلقاء مدين الى قوله والله على ما نقول وكيل امنه الله من كل
سبع ضار ومن كل لص عاد ومن كل ذات حمة حتى يرجع الى اهله ومنزله وكان معه سبعة وسبعون من المعقبات يستغفرون له
حتى يرجع ويضعها وقيل ان اول من اخذ العصا عند الخطبة قس بن ساعدة قوله تعالى قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ
عَلِيمٌ ۝ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ۝ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ۝ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ۝
اربع ايات القراءة قرا اهل المدينة والكسائي وخلف ارجه بكسر الهاء بغير همز بين الجيم والهاء الا ان نافعا والكسائي وخلفا
يشبعون كسرة الهاء ولا يشبع ابو جعفر وقالون عن نافع بل يكسران الهاء وقرا عاصم وحمزة ارجه بغير همز وسكون الهاء وقرا الباقون
ارجيه بالهمز وضم الهاء وفي الشعراء مثله وقرا بكل سحار بالف بعد الحاء هناك الحجة قال ابو علي ارجيه افعله من الارجاء وهو
التاخير ولا بد من ضم الهاء مع الهمزة ولا يجوز غيره وان لا يبلغ الواو احسن لان الهاء خفية فلو بلغ بها الواو لكان كانه جمع بين ساكنين

عشر

ومن قال ارجئهو فالحق الواو فلان الهاء متحركة ولم يلتق ساكنان لان الهاء تفصل بينهما ولو كان مع الهاء حرف لين لكان وصلها بالواو
اقبح نحو عليهو لاجتماع حروف متقاربة مع ان الهاء ليس بحاجز قوي ومن قرا ارجهي ووصل الهاء بياء فلان هذه الهاء توصل في الادراج
بواو ويا نحو بهو بهي وضربهو ومن قرا ارجه فلان في ارجات لغتين ارجات وارجيت فاذا قال ارجه كان من ارجيت قال الزجاج زعم
الحذاق بالنحو ان هذه الهاء لا يجوز اسكانها اعني هاء الاضمار وزعم بعض النحويين ان اسكانها جائز وان هاء التانيث يجوز اسكانها
استشهد ببيت مجهول وهو لما رأى ان لا دعه ولا شبع مال الى ارطاة حقف فاضطجع قال وهذا شعر لا يعرف قايله والشاعر يجوز ان
يغلط وحجة من قرا ساحر قوله فالقي السحرة ولعلنا نتبع السحرة والسحرة جمع ساحر وكذلك قوله سحروا اعين الناس وحجة من قرا سحار انه
قد وصفه بعليم وذلك يدل على تناهيه فيه وحذقه به فحسن لذلك ان يذكروا بالاسم الدال على المبالغة في السحر اللغة السحر لطف
الحيلة في اظهار اعجوبة توهم المعجزة وقال الازهري السحر صرف الشيء عن حقيقته الى غيره واصل السحر خفاء الامر والسحر آخر الليل لخفاء الشخص
بقية ظلمته والسحر الرية لخفاء امرها ويقال سحر المطر الارض اذا جادها فقطع نباتها من اصوله فقلب الارض ظهر البطن فهو ساحر والارض
مسحورة فشبه سحر الناس بذلك لتخييله الى من سحره انه يرى الشيء بخلاف ما هو به الاعراب فماذا تامرون موضع ما يحتمل ان يكون رفعا
ويكون ذا بمعنى الذي فيكون بمعنى فما الذي تامرون ويحتمل ان يكون نصبا ويكون ماذا اسما واحدا فيكون بمعنى فاي شيء تامرون ويأتوك
مجزوم لانه جواب الامر وعامل الاعراب فيه محذوف وتقديره فانك ان ترسل يأتوك والباء في قوله بكل ساحر يحتمل ان يكون بمعنى
مع اي ياتون ومعهم كل ساحر فيكون في موضع الحال ويحتمل ان يكون للتعدية تقول ذهبت به واذهبته واتيت به وآتيته المعنى
ثم حكى سبحانه ما قاله اشراف قوم فرعون فقال قال الملأ من قوم فرعون لمن دونهم في الرتبة من الحاضرين ان هذا الساحر عليم بالسحر يريد ان
يخرجكم من ارضكم معناه يريد ان يستميل بقلوب بني اسرائيل الى نفسه ويتقوى بهم فيغلبكم بهم ويخرجكم من بلدتكم فماذا تامرون قيل
ان هذا قول الاشراف بعضهم لبعض على سبيل المشورة ويحتمل ان يكون قالوا ذلك لفرعون وانما قالوا تامرون بلفظ الجمع على خطاب الملوك
ويحتمل ايضا ان يكون قول فرعون لقومه فيكون تقديره قال فرعون لهم فماذا تامرون وهو قول الفراء والجبائي قالوا ارجئه واخاه اي قالوا
لفرعون اخره واخاه هرون ولا تعجل بالحكم فيهما بشيء فيكون عجلتك حجة عليك عن الزجاج وقيل اخره اي احبسه والاول اصح لانه
كان يعلم انه لا يقدر على حبسه مع ما رأى من تلك الآيات وارسل في المداين التي حولك حاشرين اي جامعين للسحرة يحشرونهم ومن
يعلمونه منهم عن مجاهد والسدي وقيل هم اصحاب الشرط ارسلهم في حشر السحرة وكانوا اثنين وسبعين رجلا عن ابن عباس يأتوك بكل ساحر
عليم اي يحشرونه اليك السحرة ليجتمعوا ويعارضوا موسى فيغلبوه قوله تعالى وجاء السحرة فرعون قالوا ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين
قال نعم وانكم لمن المقربين قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين قال القوا فلما القوا سحروا اعين الناس واسترهبوهم وجاءوا
بسحر عظيم اربع آيات القراءة قرا اهل الحجاز وحفص ان لنا لاجرا بهمزة واحدة على الخبر وقرا الباقون بهمزتين محققتين ابن عامر واهل
الكوفة غير حفص وقرا ابو عمرو وابن همزة ممدودة وقرا يعقوب غير زيد بهمزة غير ممدودة الحجة قال ابو علي الاستفهام اشبه بهذا الموضع
لانهم يستفهمون عن الاجر وليسوا يقطعون على ان لهم الاجر ويقوي ذلك اجماعهم في الشعراء وربما حذفت همزة الاستفهام قال ابو الحسن
في قوله وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل ان من الناس من يذهب الى انه على الاستفهام وقد جاء ذلك في الشعر قال افرح ان
ارزأ الكرام وان اورث ذودا شصايصا نبلا وهذا اقبح من قوله واصبحت فيهم آمنا لا كمعشر اتوني فقالوا من ربيعة او مضر لان ام يدل
على الهمزة الاعراب نحن يحتمل ان يكون موضعه رفعا ويكون تاكيدا للضمير المتصل في كنا ويحتمل ان يكون فصلا بين الخبر والاسم ونعم حرف
مع انه يصح الوقف عليه لانه في الوجوب نظير لا في النفي وانما جاز الوقف على كل واحد منهما لانه جواب لكلام يستغني بدلالته عليه عما يتصل به
والواو في قوله وانكم واو العطف فكانه قال لكم ذلك وانكم لمن المقربين وهو في مخرج الكلام كانه معطوف على الحرف وكسرت الالف من انكم
لانه في موضع استيناف بالوعد ولم يكسر لدخول اللام في الخبر لانه لو لم تكن اللام لكانت مكسورة وانما دخلت ان في قوله اما ان تلقي ولم تدخل
في اما يعذبهم واما يتوب عليهم لان فيه معنى الامر كانه قال اختر اما ان تلقي اي اما القاءك واما القاءنا فموضع ان نصب ويجوز ايضا
ان يكون التقدير اما القاؤك مبدوء به واما القاؤنا فموضع ان على هذا يكون نصبا المعنى وجاء السحرة فرعون في الكلام حذف كثير

نصف الحزب

تمت القراءة

تقديره

تقديره فارسل فرعون فى المداين حاشرين يحشرون السحرة فحشروهم لعله السحرة فرعون وكانوا خمسة عشر الفا عن ابن اسحق وقيل ثمانين الفا عن
ابن المنكدر وقيل سبعين الفا عن عكرمة وقيل بضع وثلثون الفا عن السدى وقيل كانوا اثنين وسبعين ساحرا اثنان من القبط وهما رئيسا
القوم وسبعون من بنى اسرائيل عن مقاتل وقيل كانوا سبعين عن الكلبي قالوا لفرعون انما لم يقل فقالوا حتى تتصل الثانى بالاول لان المعنى
لما جاءوا قالوا فلم يصلح دخول الفاء على هذا الوجه اين لنا لاجرا اى عوضا على عملنا وجزاء بالخير ان كنا نحن الغالبين لموسى قال نعم اى قال فرعون
مجيبا لهم عما سالوه نعم لكم الاجر وانكم لمن المقربين اي وانكم مع حصول الاجر لمن المقربين الى المنازل الجليلة والمراتب الخطيرة التى لا يحظى
اليها العامة ولا يحظى بها الخاصة وفى هذا دلالة على حاجة فرعون وذلته لو استدل قومه به واحسنوا النظر فيه لنفوسهم لان من المعلوم انه
لم يحتج الى السحرة الا لعجزه وضعفه قالوا يعنى قالت السحرة لموسى اما ان تلقى ما معك من العصا اولا واما ان نكون نحن الملقين لما معنا
من العصى والحبال اولا قال موسى لهم القوا انتم وهذا امر تهديد وتقريع كقوله سبحانه اعملوا ما شئتم وقيل معناه القوا على ما يصح ويجوز
لا على ما يفسد ويستحيل وقيل معناه ان كنتم محقين فالقوا فلما القوا سحروا اعين الناس اى فلما القى السحرة ما عندهم من السحر احتالوا فى تحريك
العصى والحبال بما جعلوا فيها من الزيبق حتى تحركت بحرارة الشمس وغير ذلك من الحيل وانواع التمويه والتلبيس وخيل الى الناس انها تتحرك
على ما يتحرك الحية وانما سحروا اعين الناس لانهم اروهم شيئا لم يعرفوا حقيقته وخفى ذلك عليهم لبعده منهم فانهم لم يخلوا الناس يدخلون
فيما بينهم وفى هذا دلالة على ان السحر لا حقيقة له لانه لو صارت حيات حقيقة لم يقل الله سبحانه سحروا اعين الناس بل كان يقول فلما القوا
صارت حيات وقد قال سبحانه ايضا يخيل اليه من سحرهم انها تسعى واسترهبوهم اي استدعوا رهبتهم حتى رهبهم الناس عن الزجاج
وقيل معناه ارهبوهم وافزعوهم عن المبرد وجاءوا بسحر عظيم وصف سحرهم بالعظم لبعد مرام الحيلة فيه وشدة التمويه فهو لذلك عظيم
الشان عند من يراه من الناس وهذا يدل على ما ذكرناه فى عدة السحرة لكثرتهم كان مع كل واحد منهم عصى وحبل فلما القوه وخيل الى الناس انها
تسعى استعظموا ذلك وخافوه قوله تعالى وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ۞ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ
مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۞ فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانقَلَبُوا صَاغِرِينَ ۞ وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ۞ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ۞
ست آيات القراءة قرا حفص عن عاصم تلقف خفيفة وفى طه والشعراء مثله والباقون تلقف بتشديد القاف فى جميعها الحجة تلقف وتلقم
واحد واصله تتلقف فحذفت التاء التى للمطاوعة فى تفعل وتثبت التى للمضارعة وتلقف ساكنة اللام مضارع لقف يلقف لقفا قال الشاعر
انت عصى موسى التى لم تزل تلقف ما يافكه الساحر اللغة الافك قلب الشئ عن وجهه فى الاصل ومنه الافك الكذب لانه قلب المعنى عن
جهة الصواب اصل الوقوع السقوط كسقوط الحايط والطاير الواقعة النازلة من السماء قال على بن عيسى الوقوع ظهور الشئ بوجوده نازلا
الى مستقره والحق كون الشئ فى موضعه الذى اقتضته الحكمة والباطل الكاين بحيث يؤدى الى الهلاك وهو نقيض الحق فان الحق كون الشئ
بحيث يؤدي الى النجاة والغلبة الظفر بالبغيه من العدو فى حال المنازعه والصاغر الذليل والصغر والصغار الذلة يقال صغر الشئ يصغر
صغرا وصغرا وصغارا اذا ذل واصله صغر القدر الاعراب ان الق يجوز ان ما بعدها بمنزلة المصدر فيكون تقديره واوحينا الى موسى
بان الق اى بالالقاء ويجوز ان يكون بمعنى اي لانه تفسير ما اوحي اليه ما يافكون ما بمعنى الذي وتقديره تلقف ما يافكون فيه اي تلقف
المافوك الذى حل فيه الافك ومثله والله خلقكم وما تعملون يعنى وما تعملون فيه وما كانوا يعملون يحتمل ان يكون ما بمعنى المصدر اي
وبطل عملهم ويحتمل ان يكون ما بمعنى الذي اى وبطل الحبال والعصي التى عملوا بها السحر وما اذا كانت بمعنى المصدر لان ان ينقل الفعل
نقلين الى المصدر والى الاستقبال ولا ينقله ما الى الاستقبال يقول يعجبنى ما تصنع الآن ويعجبنى ان تصنع الخير وهنالك دخلت اللام
فيه ليدل على بعد المكان المشار اليه كما دخلت فى ذلك لبعد المشار اليه فهنا لما بعد قليلا وهنالك لما كان اشد بعدا وهو ظرف مبهم وفيه
معنى الاشارة كما ان ذا مبهم وانما دخلت كاف المخاطبة مع بعد الاشارة لتنبيه بتاكيد معنى الاشارة الى المخاطب ليتنبه على بعد المشار اليه
من المكان والبعيد احق بعلامة التنبيه المعنى ثم اخبر سبحانه عن نفسه فقال واوحينا الى موسى ان القينا اليه من وجه لم يشعر به الا هو
ان الق عصاك التى معك فاذا هي تلقف ما يافكون معناه فالقاها فصارت ثعبانا فاذا هى تبتلع ما يكذبون فيه انها حيات عن مجاهد فوقع
الحق اى ظهر الحق وهو امر موسى وصحة نبوته ومعجزته عن الحسن ومجاهد وقيل وقع الحق بان صارت العصا حية فى الحقيقة وبطل ما كانوا

عشر

يجلوك اى يبطل تموّيهاتهم وانما ظهر ذلك لهم لانهم لما راوا تلك الآيات الباهرة والمعجزات القاهرة فى العصا علموا انه امر سماوي لا يقدر عليه
غير الله تعالى فمن تلك الآيات قلب العصا حية ومنها اكلها حبالهم وعصيهم مع كثرتها ومنها فناء حبالهم وعصيهم فى بطنه اما بالتفرق
واما بالفناء عند من جوزه ومنه عودها عصا كما كانت فى غير زيادة ولا نقصان وكل من هذه الامور يعلم كل عاقل انه لا يدخل تحت مقدور
البشر فاعترفوا بالتوحيد والنبوة وصار اسلامهم حجة على فرعون وقومه فغلبوا هنالك اي قهر فرعون وقومه عند ذلك المجمع وهبت
فرعون وخلى سبيل موسى ومن تبعه وانقلبوا صاغرين اى انصرفوا اذلاء مقهورين والقى السحرة ساجدين يعني ان السحرة لما شاهدوا تلك
الآيات وعلموا انها من عند الله تعالى امنوا بالله تعالى وبموسى وسجدوا لله الهمهم الله ذلك وقيل ان موسى وهرون سجدا لله تعالى شكرا له على
ظهور الحق فاقتدوا بهما فسجدوا معهما وانما قال القى على ما لم يسم فاعله ليكون فيه معنى القاهم ما راوا من عظيم آيات الله بان دعاهم الى
السجود والخضوع له عزت قدرته وانهم لم يتمالكوا انفسهم عند ذلك ان وقعوا ساجدين وهذا كما يقال اعجب فلان بنفسه وان كان اتى من
قبله وليس يفعل ذلك به غيره قالوا امنا اي صدقنا برب العالمين الذى خلق السموات والارض وما بينهما رب موسى وهرون خصهما
بالذكر بعد دخولهما فى جملة العالمين انهم دعوا الى الايمان بالله تعالى ولشرف ذكرهما ولتفضيلهما على غيرهما على طريق المدحة والتعظيم لهما
وقيل انهم فسروا بحوهم بان قالوا امنا برب العالمين لئلا يتوهم متوهم انهم يجيبوا لفرعون ثم قالوا رب موسى وهرون لان فرعون كان
يدعى انه رب العالمين فازالوا به الايهام لئلا يتوهم الجهال انهم عنوا بقولهم رب العالمين فرعون قال علي بن عيسى يجوز ان يقال ان الله تعالى لم
يزل ربا ولا مربوب كما جاز لم يزل سميعا ولا مسموع لانها صفة غير جارية على الفعل كما جرى صفة مالك على ملك يملك فالمقدور هو المملوك ولا
يطلق الرب الاعلى الله تعالى لانه يقتضى انه رب كل شئ يصح ملكه ويقال فى غيره رب الدار ورب الفرس ومثله خالق لا يطلق الا عليه
سبحانه ويقال فى غيره خالق الاديم قوله تعالى قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا
أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا
بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ اربع آيات القراءة قرا حفص عن عاصم آمنتم بهمزة واحدة
على الخبر حيث كان والباقون بهمزتين على الاستفهام الا ان اهل الكوفة الا حفصا يحققون الهمزتين وغيرهم حققوا الاولى ولينوا الثانية
ولم يفصل احد بين الهمزتين بالف الحجة وجه الخبر فيه انه يخبرهم بايمانهم على وجه التقريع بايمانهم والانكار عليهم ووجه الاستفهام
انه على جهة التقريع والتوبيخ ايضا ومن حقق الهمزتين فانه على ما يراه من تحقيقهما والهمزة الثانية ممدودة لانها الالف المنقلبة عن الهمزة
التى هى فاء من الامن يتصل بها ومن خفف الهمزة الثانية فتخفيفها ان يجعلها بين بين اللغة الصلب الشد على الخشبة وغيرها واصله
من صلابة الشد والقراء كلهم على تشديد اللام من التصليب الازهري يقال نقمت على الرجل انقم ونقمت والفصيح نقمت ابن الاعرابي
النقمة العقوبة والانكار وقال علي بن عيسى النقمة ضد النعمة والفرق بين النقمة والاساءة ان النقمة قد تكون بحق جزاء على كفر النعمة و
الاساءة لا تكون الا قبيحة والمسيء مذموم لا محالة والافراغ صب ما فى الاناء اجمع حتى يخلو مشتق من الفراغ والصبر حبس النفس عن اظهار
الجزع والصبر على الحق عز كما ان الصبر على الباطل ذل المعنى ثم حكى سبحانه ما صدر عن فرعون عند ايمان السحرة فقال سبحانه قال فرعون
امنتم به اى اقررتم له بالصدق من قبل ان اذن لكم اى من قبل ان امركم بالايمان واذن لكم فى ذلك ان هذا لمكر مكرتموه فى المدينة لتخرجوا
منها اهلها اراد فرعون بهذا القول التلبيس على الناس وايهامهم ان ايمان السحرة لم يكن عن علم ولكن لتواطؤ منهم ليذهبوا بالكم وملككم
وقيل معناه ان هذا الصنيع صنعتموه فيما بينكم وبين موسى فى مصر قبل خروجكم الى هذا الموضع لتستولوا على مصر فتخرجوا منها اهلها فسوف
تعلمون عاقبة امركم وهذا وعيد لهم ثم بين الوعيد فقال لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف اى من كل شق طرفا قال الحسن هو ان يقطع اليد
اليمنى مع الرجل اليسرى وكذلك اليد اليسرى مع الرجل اليمنى ثم لاصلبنكم اجمعين اى لا ادع واحدا منكم الا صلبته وقيل ان اول من قطع الرجل
فرعون صلبهم فى جذوع النخل على شاطئ نهر مصر قالوا يعنى السحرة جوابا لفرعون انا الى ربنا منقلبون اي راجعون الى ربنا بالتوحيد
والاخلاص عن ابن عباس والانقلاب الى الله تعالى هو الانقلاب الى جزائه وغرضهم بهذا القول التسلى فى الصبر على الشدة لما فيه من المثوبة
مع مقابلة وعيده بوعيد اشد منه وهو عقاب الله وما تنقم منا الا ان امنا بايات ربنا لما جاءتنا معناه وما تطعن علينا وما تكره منا الا ايماننا

بالله

بالله ونصدق بآياته التي جاءتنا قال ابن عباس معناه ما لنا عندك من ذنب ولا ركبنا منك مكروها تعذبنا عليه الا ايماننا بآيات ربنا وما اتى به
موسى عليه السلم امنا بها انها من عند الله لا يقدر على مثلها الا هو ربنا افرغ علينا صبرا اي اصبب علينا الصبر عند القطع والصلب حتى
لا نرجع كفارا والمراد الطف لنا حتى نصبر على عذاب فرعون ونتشجع عليه ولا نفزع منه وتوفنا مسلمين اي وفقنا للثبات على الايمان
والاسلام الى وقت الوفاة وقيل مسلمين مخلصين لله حتى لا يردنا البلاء عن ديننا قالوا فصلبهم فرعون من يومه فكانوا اول النهار كفارا
سحرة واخر النهار شهداء بررة وقيل ايضا انه لم يصل اليهم وعصمهم الله منه قوله تعالى وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه
ليفسدوا في الارض ويذرك وآلهتك قال سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم وانا فوقهم قاهرون ۞ آية القراءة
روي عن علي عليه السلم وابن عباس وابن مسعود وانس بن مالك وعلقمة وغيرهم ويذرك والهتك وعن نعيم بن ميسرة والحسن بخلاف
ويذرك بالرفع وعن الاشهب ويذرك بسكون الراء والقراءة المشهورة ويذرك والهتك وقرا اهل الحجاز سنقتل ابناءهم بالتخفيف
والباقون سنقتل الحجة اما الالاهة فانه الربوبية او العبادة فمن قرا والاهتك فمعناه ويذرك وربوبيتك عن الزجاج وقيل
وعبادتك عن ابن جني قال ومنه سميت الشمس الالاهة والالاهة لانهم كانوا يعبدونها ومن قرا ويذرك بالرفع فانه على الاستيناف
اي وهو يذرك واما من اسكن فقال ويذرك فانه كقراءة ابي عمرو ان الله يامركم وقد مضى الكلام في ذلك ومن نصب ويذرك فانه على
جواب الاستفهام بالفاء فيكون المعنى ايكون منك ان تذر موسى وان يذرك ويجوز ان يكون عطفا على ليفسدوا ومن قرا سنقتل
بالتخفيف فانه قد يقع ذلك على التكثير وغير التكثير والتقليل بهذا المعنى اخص وبالموضع اليق المعنى ثم اخبر سبحانه عن قوم فرعون
فقال سبحانه وقال الملأ من قوم فرعون لما اسلم السحرة تحريشا له على موسى اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض اي اتتركهم احياء
ليظهروا خلافك ويدعوا الناس الى مخالفتك ليغلبوا عليك فيفسد به ملكك وامرك وقيل ليفسدوا في الارض بعبادة غيرك والدعاء
الى خلاف ذلك وقيل ليفسدوا فيها بالغلبة عليها واخذ موسى قومه منها وروي عن ابن عباس انه لما امن السحرة اسلم من بني اسرائيل
ستمائة الف نفس واتبعوه ويذرك والهتك قال الحسن كان فرعون يستعبد الناس ويعبد الاصنام بنفسه وكان الناس يعبدونها
تقربا اليه وقال الحسن كان يعبد ما يستحسن من البقر وروي انه كان يامرهم ايضا بعبادة البقر ولذلك اخرج السامري لهم عجلا جسدا
له خوار وقال هذا الهكم واله موسى وقال الزجاج كانت له اصنام يعبدها قومه تقربا اليه ومن قرا والاهتك قال كان فرعون يستعبد
الناس بنفسه ولا يعبد شيئا وروي عن مجاهد انه قال كان فرعون يعبد ولا يعبد قال فرعون سنقتل ابناءهم الذين يكون فيهم النجدة
والقوة يصلحون للقتال ونستحيي نساءهم اي بناتهم نستبقيهن اذ لا يكون فيهن نجدة وقوة للمهنة والخدمة استذلالا لهن وكان فرعون
قد انقطع طمعه عن قتل موسى فلم يقتل ساقتل موسى وقومه لما راى من علو امره وعظم شانه فانتقل الى عذاب المستضعفين وهم ابناء بني
اسرائيل وبناتهم ليوهم انه لم يتم له ذلك فيهم ايضا وانا فوقهم قاهرون ظاهر المعنى قوله تعالى قال موسى لقومه استعينوا بالله
واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ۞ قالوا اوذينا من قبل ان تاتينا ومن بعد ما
جئتنا قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون ۞ آيتان المعنى قال ابن عباس كان
فرعون قتل ابناء بني اسرائيل فلما كان من امر موسى ما كان امر باعادة القتل عليهم فشكا ذلك بنو اسرائيل الى موسى فعند ذلك قال موسى
لقومه استعينوا بالله في دفع بلاء فرعون عنكم واصبروا على دينكم وعلى اذى فرعون ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده اي ينقلها الى
من يشاء نقل المواريث فيورثكم بعد اهلاك فرعون كما اورثها فرعون وهذا وعد لهم بحسن العاقبة ليكون داعيا لهم الى الصبر والعاقبة
للمتقين معناه تمسكوا بالتقوى في الدنيا فان حسن العاقبة في الدارين للمتقين والعاقبة ما يؤدي اليه البادية الا انه اذا قيل العاقبة له
فهي في الخير واذا قيل العاقبة عليه فهو في الشر كما يقال الدائرة له وعليه والدبرة له وعليه قالوا اي قال بنو اسرائيل لموسى اوذينا من قبل ان
تاتينا اي عذبنا فرعون بقتل الابناء واستخدام النساء قبل ان تاتينا بالرسالة وقيل قبل ان جئتنا ومن بعد ما جئتنا ايضا يتوعدنا وياخذ
اموالنا ويكلفنا الاعمال الشاقة فلم ننتفع بمجيئك وهذا يدل على انه جرى فيهم القتل والتعذيب مرتين قال الحسن كان فرعون ياخذ الجزية
قبل مجيء موسى وبعده من بني اسرائيل فلهذا قالوا اوذينا من قبل ان تاتينا ومن بعد ما جئتنا وهذا الذي قالوه انما هو استبطاء منهم لما وعدهم

ع ٥

موسى عليه السلم من النجاة من فرعون وقومه بعد دعا عليه السلم لهم الوعد عن الله ليثقوا به قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم قال الزجاج
عسى طمع واشفاق الا ان ما يطمع الله فيه فهو واجب وهو معنى قول المفسرين عسى من الله واجب ومعناه اوجب ربكم على نفسه ان يهلك
عدوكم فرعون وقومه ويستخلفكم في الارض اي يملككم ما كانوا يملكونه في الارض من بعدهم فينظر كيف تعملون اي فيرى ذلك بوقوعه منكم لان
الله تعالى لا يجازي على ما يعلمه منهم انما يجازيهم على ما يقع منهم عن الزجاج وقيل يعلم ذلك ومعناه فيظهر معلومه اي يبتليكم بالنعمة ليظهر
شكركم كما ابتلاكم بالمحنة ليظهر صبركم ومثله ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين وموضع كيف نصب وتقديره اعملا حسنا تعملون ام
قبيحا او شاكرين كنتم لنعمه ام كافرين وقد حقق الله سبحانه هذا الوعد فاورث بني اسرائيل ارض مصر ونواحيها بعد ان اهلك عدوهم
قوله تعالى وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ
تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ القراءة في الشواذ قراءة الحسن الا
انما طيرهم عند الله بغير الف اللغة الطير جمع طاير في قول ابي الحسن وفي قول صاحب الكتاب الطاير اسم للجمع بمنزلة الجامل والباقر غير مكسر
وروي عن قطرب ان الطير قد يكون واحدا كما ان الطاير واحد ويجوز ان يكون الطاير جمعا كالجامل انشد ابن الاعرابي كانه تهتان يوم ماطر
على رؤس كرؤس الطاير المعنى العرب تقول اخذتهم السنة اذا كانت مقحطة ويقال اسنت القوم اذا اجدبوا وانما قيل للسنة المجدبة
السنة ولم يقل للمخصبة لانها نادرة في الانفراد بالجدب والنادر احق بالافراد بالذكر لانفراده بالمعنى الذي ندر به قالوا وجدنا البلاد سنين
اي جدوبا قال ما موال اللئام بكل ارض تجحفها الجوائح والسنون وقال اخر كان الناس اذ فقدوا عليا نعام جال في بلد سنينا اي في بلد جديب
والتطير الطيرة من الشيء وهي التشأم به واشتقاقه من الطير وطاير الانسان عمله اخذ من ذلك لان العرب كانت تزجر الطير فتتشأم بالبارح
وهو الذي ياتي من جهة الشمال وتتبرك بالسانح وهو الذي ياتي من قبل اليمين قال الشاعر زجرت لها طير الشمال فان يكن هواك الذي تهوى
يصبك اجتنابها ثم كثر ذلك فسمي نصيب الانسان طايره ويقال طار له من القسم كذا وكذا وانشد ابن الاعرابي فاني لست منك ولست مني
اذا ما طار من مالي الثمين يريد الزوجة اذا اخذت ثمنها من ماله المعنى ثم بين سبحانه ما فعله بآل فرعون واقسم عليه فقال ولقد اخذنا آل فرعون
بالسنين اللام للقسم وقد تقرب الماضي من الحال لانه اذا توقع كون امر فقيل قد كان دل على قربه من الحال وآل الرجل خاصته الذين يؤول امرهم
اليهم وامرهم اليه ومعناه ولقد عاقبنا قوم فرعون بالجدوب والقحوط ونقص من الثمرات اي واخذناهم مع القحط واجداب الارض بنقصان من
الثمار لعلهم يذكرون اي يتعظون فيوحدون الله فلم يتذكروا وقيل لكي يتفكروا في ذلك ويرجعوا الى الحق قال الزجاج انما اخذوا بالضراء لان
احوال الشدة ترق القلوب وترغب فيما عند الله الا ترى الى قوله واذا مسه الشر فذو دعاء عريض وقيل معناه لكي يتذكروا ان فرعون لو كان
الها ما كان يستسلم لذلك الضر وفي هذه الاية دلالة على بطلان مذهب المجبرة في انه سبحانه يريد الكفر فانه بين انه اراد منهم التذكر والرجوع
الى الله فاذا جاءتهم الحسنة يعني الخصب والنعمة والسعة في الرزق والسلامة والعافية قالوا لنا هذه اي انا نستحق ذلك على العادة الجارية
لنا من نعمتنا وسعة ارزاقنا في بلادنا ولم يعلموا انه من عند الله سبحانه فيشكروه عليه ويؤدوا شكر النعمة فيه وان تصبهم سيئة اي جوع وبلاء
وقحط المطر وضيق الرزق وهلاك الثمر والمواشي يطيروا بموسى ومن معه اي يتطيروا فادغمت التاء في الطاء وتفسيره يتشأموا بهم عن الحسن
ومجاهد وابن زيد وقالوا ما رأينا شرا ولا اصابنا بلاء حتى رأيناكم الا انما طائرهم عند الله الا انما الشوم الذي يلحقهم هو الذي وعدوا به من
العقاب عند الله يفعل بهم في الاخرة لا ما ينالهم في الدنيا عن الزجاج وقيل ان معناه ان الله تعالى هو الذي ياتي بطائركم البركة وطائر
الشوم من الخير والشر والنفع والضر فلو عقلوا لطلبوا الخير والسلامة من الشر من قبله وقال الحسن معناه الا ان ما تشأموا به محفوظ عليهم
حتى يجازيهم الله به يوم القيمة ولكن اكثرهم لا يعلمون ولا يتفكرون ليعلموا قوله تعالى وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ
لَكَ بِمُؤْمِنِينَ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ آيتان القراءة
في الشواذ قراءة الحسن القمل بفتح القاف وسكون الميم وهو المعروف اللغة الطوفان السيل الذي يعم بتغريقه الارض وهو مأخوذ من
الطوف بها وقيل هو مصدر كالرجحان والنقصان قال الاخفش واحده طوفانة قال ابو عبيدة الطوفان من السيل البعاق ومن الموت الذريع
والقمل كبار القردان قال ابو عبيدة هو الحمنان حمنة وحمنان الاعراب مهما قال الخليل اصلها ما ما الا انهم ادخلوا عليها ما كما يدخلونها

على

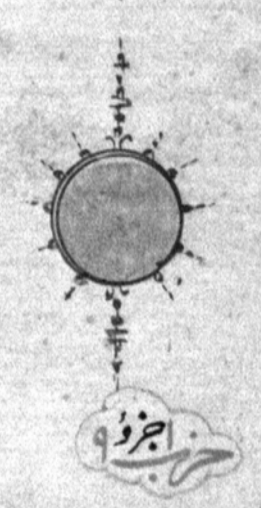
على حروف الجزاء فيقولون اما ما سيما فغيروا الالف بان ابدلوها هاء لئلا يتوهم التكرير وصار ما فيها مبالغة في معنى العموم وقال غيره اصلها
مه بمعنى الكف دخلت على ما التي للجزاء والفرق بين مهما وما ان مهما خالصة للجزاء وفي ما اشتراك لانها قد يكون استفهاما تارة وبمعنى الذي
اخرى وبمعان اخر تأتنا مجزوم وعلامة الجزم فيه سقوط الياء وانما حذف الياء بالجزم لانه من حروف المد واللين وهي مجانسة لحركات
الاعراب ومن شان الجازم ان يحذف حركة فاذا لم يصادف حركة عمل في نفس الحرف لئلا يتعطل من العمل والضمير في به يعود الى مهما
وتقديره اي شيء تأتنا به والضمير في بها يعود الى آية ايات مفصلات نصب على الحال المعنى وقالوا اي قال قوم فرعون لموسى عليه
مهما تأتنا به من آية اي اي شيء تأتينا به من المعجزات لتسحرنا بها اي لتموه علينا بها حتى تنقلنا عن دين فرعون فما نحن لك بمؤمنين اي
مصدقين اشاروا بهذا القول الى اصرارهم على الكفر وانهم لا يصدقونه وان اتى بجميع الايات ثم زاد سبحانه في الآيات تاكيدا لامر موسى ع
كما قال فارسلنا عليهم الطوفان اختلف فيه فقيل هو الماء الغالب الخارج عن العادة الهادم للبنيان والقالع للاشجار والزروع عن
ابن عباس وقيل هو الموت الذريع الجارف عن مجاهد وعطاء وقيل هو الطاعون بلغة اليمن ارسل الله ذلك على ابكار آل فرعون في ليلة
فافناهم فلم يبق منهم انسان ولا دابة عن وهب بن منبه وقيل هو الجدري وهم اول من عذبوا به فبقي في الارض عن ابي قلابة وقيل
هو امر من امر الله تعالى طاف بهم عن ابن عباس رواه ابو ظبيان عنه ثم قرأ فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون والجراد هو
المعروف والقمل اختلف فيه فقيل هو الدبا وهو صغار الجراد الذي لا اجنحة له والجراد الطيارة التي لها اجنحة عن ابن عباس ومجاهد والسدي
وقتادة والكلبي وقيل القمل بنات الجراد عن عكرمة وقيل القمل البراغيث وقيل دواب سود صغار عن سعيد بن جبير والحسن وعطاء
الخراساني ولذلك قرأ الحسن والقمل وقيل هو السوس الذي يخرج من الحنطة عن سعيد بن جبير والضفادع والدم ايات مفصلات
اي بعضها منفصل من بعض وقيل مفصلات اي معجزات مبينات ظاهرات وادلة واضحات عن مجاهد فاستكبروا اي تكبروا عن قبول
الحق والايمان بالله وكانوا قوما مجرمين عاصين كافرين القصة قال ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة ومحمد بن اسحق بن يسار وروى علي
بن ابراهيم باسناده عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلم دخل حديث بعضهم في بعض قالوا لما آمنت السحرة ورجع فرعون مغلوبا وابى هو
وقومه الا الاقامة على الكفر قال هامان لفرعون ان الناس قد امنوا بموسى فانظر من دخل في دينه فاحبسه فحبس كل من آمن به من بني
اسرائيل فتابع الله عليهم بالايات واخذهم بالسنين ونقص من الثمرات ثم بعث عليهم الطوفان فخرب دورهم ومساكنهم حتى خرجوا الى
البرية وضربوا الخيام وامتلأت بيوت القبط ماء ولم يدخل بيوت بني اسرائيل من الماء قطرة وقام الماء على وجه ارضهم لا يقدرون على
ان يحرثوا فقالوا لموسى ادع لنا ربك ان يكشف عنا المطر فنؤمن لك ونرسل معك بني اسرائيل فدعا ربه فكشف عنهم الطوفان فلم يؤمنوا وقال
هامان لفرعون لئن خليت بني اسرائيل غلبك موسى وازال ملكك وانبت الله تعالى في تلك السنة من الكلأ والزرع والثمر ما اعشبت
به بلادهم واخصبت فقالوا ما كان هذا الماء الا نعمة علينا وخصبا فانزل الله عليهم في السنة الثانية عن علي بن ابراهيم وفي الشهر
الثاني عن غيره من المفسرين الجراد فجردت زروعهم واشجارهم حتى كانت تجرد شعورهم ولحاهم وتاكل الابواب والثياب والامتعة
وكانت لا تدخل بيوت بني اسرائيل ولا يصيبهم من ذلك شيء فعجوا وضجوا وجزع فرعون من ذلك جزعا شديدا وقالوا يا موسى ادع لنا
ربك ان يكف عنا الجراد حتى نخلي عن بني اسرائيل ولا يصيبهم من ذلك شيء فعجوا فدعا موسى ربه فكشف عنه الجراد بعدما اقام عليهم سبعة
ايام من السبت الى السبت وقيل ان موسى ع برز الى الفضاء فاشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت الجراد من حيث جاءت حتى
كان لم يكن قط ولم يدع هامان فرعون ان يخلي عن بني اسرائيل فانزل الله عليهم في السنة الثالثة في رواية علي بن ابراهيم وفي الشهر
الثالث عن غيره من المفسرين القمل وهو الجراد الصغار الذي لا اجنحة له وهو شر ما يكون واخبثه فاتى على زروعهم كلها واجتثها
من اصلها فذهبت زروعهم ولحس الارض كلها وقيل امر موسى ع ان يمشي الى كثيب اعفر بقرية من قرى مصر تدعى عين الشمس فاتاه
فضربه بعصاه فانثال عليهم قملا فكان يدخل بين ثوب احدهم فيعضه وكان ياكل احدهم الطعام فيمتلي قملا قال سعيد بن جبير
القمل السوس الذي يخرج من الحبوب فكان الرجل يخرج عشرة اجربة الى الرحى فلا يرد منها ثلثة اقفزة فلم يصابوا ببلاء كان اشد
عليهم من القمل واخذت اشعارهم وابشارهم واشفار عيونهم وحواجبهم ولزمت جلودهم كانه الجدري عليهم ومنعتهم النوم والقرار

فضرجوا وصاحوا فقال فرعون لموسى ادع لنا ربك لئن كشفت عنا القمل لنكفن عن بنى اسرائيل فدعى موسى عليه السلم حتى ذهب القمل
بعدما اقام عندهم سبعة ايام من السبت الى السبت فنكثوا فانزل الله عليهم فى السنة الرابعة وقيل فى الشهر الرابع الضفادع فكانت
تكون فى طعامهم وشرابهم وامتلأت منها بيوتهم وابنيتهم فلا يكشف احد ثوبا ولا اناء ولا طعاما ولا شرابا الا وجد فيه الضفادع وكانت
تثب فى قدورهم فتفسد عليهم وكان الرجل يجلس الى ذقنه فى الضفادع ويهم ان يتكلم فيثب الضفدع فى فيه ويفتح فاه لاكلة فيسبق
الضفدع اكلته الى فيه فلقوا منها اذى شديدا فلما رأوا ذلك بكوا وشكوا الى موسى وقالوا هذه المرة نتوب ولا نعود فادع الله ان يذهب
عنا الضفادع فانا نؤمن بك ونرسل معك بنى اسرائيل فاخذ عهودهم ومواثيقهم ثم دعا ربه فكشف عنهم الضفادع بعدما اقام عليهم سبعا
من السبت الى السبت ثم نقضوا العهد وعادوا لكفرهم فلما كانت السنة الخامسة ارسل الله عليهم الدم فسال ماء النيل عليهم دما فكان
القبطي يراه دما والاسرائيلي يراه ماء فاذا شربه الاسرائيلي كان ماء واذا شربه القبطي كان دما وكان القبطي يقول للاسرائيلي خذ الماء فى
فيك وصبه فى فى فكان اذا صبه فى فم القبطي تحول دما وان فرعون اعتراه العطش حتى انه ليضطر الى مضغ الاشجار الرطبة فاذا مضغها
يصير ماؤها فى فيه دما فمكثوا فى ذلك سبعة ايام لا ياكلون الا الدم ولا يشربون الا الدم قال زيد بن اسلم الدم الذى سلط عليهم كان
الرعاف فاتوا موسى فقالوا ادع لنا ربك يكشف عنا هذا الدم فنؤمن لك ونرسل معك بنى اسرائيل فلما دفع الله عنهم الدم لم يؤمنوا
ولم يخلوا عن بنى اسرائيل قوله تعالى وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ
لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ
كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ اللغة اصل الرجز الميل عن الحق ومنه الرجز فاهجر يعنى عبادة الوثن والعذاب رجز لانه عقوبة على الميل
عن الحق والرجز رعدة فى رجل الناقة لداء يلحقها تشتد به عن حق سيرها والرجز ضرب من الشعر اخذ من رجز الناقة لانه متحرك وساكن
ثم متحرك وساكن فى كل اجزائه فهو كالرعدة فى رجل الناقة تتحرك بها ثم تسكن ثم تستمر على ذلك والنكث نقض العهد الذى يلزم الوفاء به
واليم البحر قال ذو الرمة دوية ودجى ليل كانهما يم تراطن فى حافاته الروم والغفلة حال تعترى النفس تنافى الفطنة واليقظة الاعراب
اذا ظرف المفاجاة على ما تقدم بيانه وليست مضافة الى الجملة بل هى بمنزلة هناك وقد يكتفى بالاسم كما تقول خرجت فاذا زيد وفيه
وقوع خلاف المتوقع منهم لانه اتى منهم نقض العهد بدلا من الوفاء فكانه فاجا الراى عجيب من نكثهم واذا هذه جواب لما ومثله قوله وان
تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم اذا هم يقنطون ولا يجوز ان يجاب بالشرط باذ لان اذ لا يكون الا للوقت الماضى والجواب انما يكون بعد
الاول ولذلك يصلح فيه الفاء ولا يصلح الواو وحرف الجزاء انما يقلب الفعل الى الاستقبال دون الوقت المعنى ثم اخبر سبحانه عنهم
ايضا فقال ولما وقع عليهم الرجز اى العذاب عن الحسن وقتادة ومجاهد وهو ما نزل بهم من الطوفان وغيره وقيل هو الطاعون اصابهم
فمات من القبط سبعون الف انسان وهو العذاب السادس عن سعيد بن جبير ومثله ما روى عن ابى عبد الله عليه السلم انه اصابهم
ثلج احمر ولم يروه قبل ذلك فماتوا فيه وجزعوا واصابهم ما لم يعهدوه قبله قالوا يعنى فرعون وقومه يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك
اى بما تقدم اليك ان تدعوه به فانه يجيبك كما اجابك فى اياتك وقيل بما عهد عندك انا لو امنا لرفع عنا العذاب وقيل بما عهد عندك
من النبوة عن ابى مسلم فعلى هذا يكون الباء للقسم والمعنى بحق ما اتاك الله من النبوة لما دعوت الله ليكشف هذا عنا لئن كشفت عنا
الرجز اى العذاب لنؤمنن لك اى نصدقك فى انك نبى ارسلك الله ولنرسلن معك بنى اسرائيل اى نطلقهم من الاستخدام وتكليف
الاعمال الشاقة فلما كشفنا عنهم الرجز اى فلما رفعنا عنهم العذاب الى اجل هم بالغوه يعنى الاجل الذى غرقهم الله فيه وقيل هو الاجل
المقدر عن الحسن اذا هم ينكثون اى ينقضون العهد فانتقمنا منهم اى جازيناهم على سوء صنيعهم بالعذاب ثم فسر ذلك العذاب فقال
فاغرقناهم فى اليم اى البحر بانهم كذبوا باياتنا اى فعلنا ذلك بهم جزاء بتكذيبهم باياتنا وحججنا وبراهيننا الدالة على صدق موسى وصحة نبوته
وجحودهم لها وكانوا عنها غافلين معناه انه انزل عليهم العذاب وكانوا غافلين عن نزول ذلك وقيل معناه انا عاقبناهم بتكذيبهم و
تعرضهم لاسباب الغفلة وعملهم عمل الغافل عنها فيكون وعيدا لهم على الاعراض عن الآيات قوله تعالى وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا
يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا

كانوا يعرشون آية القراءة قرا ابن عامر وابو بكر يعرشون بضم الراء والباقون بكسرها الحجة هما لغتان فصيحتان والكسر افصح ابو عبيدة يعرشون يبنون يقال عرش مكة اي بناؤها الاعراب يجوز ان يكون مشارق الارض ومغاربها على الظرف للاستضعاف والتقدير واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون في مشارق الارض ومغاربها الارض التي باركنا فيها وعلى هذا فالهاء في فيها يعود الى التي والتي صفة للارض المحذوفة وموضعها نصب باورثنا المعنى ثم عطف سبحانه على ما تقدم فقال واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون يعني بني اسرائيل فان القبط كانوا يستضعفونهم فاورثهم الله بان مكنهم وحكم لهم بالتصرف واباح لهم ذلك بعد اهلاك فرعون وقومه القبط فكانوا ورثوا منهم مشارق الارض ومغاربها التي كانوا فيها يعني جهات الشرق والغرب منها يريد به ملك فرعون من ادناه الى اقصاه وقيل هي ارض الشام ومصر عن الحسن وقيل ارض الشام شرقها وغربها عن قتادة وقيل ارض مصر عن الجبائي قال الزجاج كان من بني اسرائيل داود وسليمن ملكوا الارض التي باركنا فيها باخراج الزروع والثمار وساير صنوف النبات والاشجار الى غير ذلك من العيون والانهار وضروب المنافع وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل معناه صح كلام ربك بانجاز الوعد باهلاك عدوهم واستخلافهم في الارض وانما كان الانجاز تماما للكلام لتمام النعمة به وقيل ان كلمته الحسنى قوله سبحانه ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض الى قوله يحذرون وقال الحسني وان كانت كلمات الله سبحانه كلها حسنة لانه وعد بما يحبون وقال الحسن اراد وعد الله لهم بالجنة بما صبروا على اذى فرعون وقومه وتكليفهم اياهم ما لا يطيقونه من الاستعباد والاعمال الشاقة ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه اي اهلكنا ما كانوا يبنون من الابنية والقصور والديار وما كانوا يعرشون من الاشجار ومن الاعناب والثمار وقيل يعرشون يسقفون من القصور والبيوت عن ابن عباس قوله تعالى وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فاتوا على قوم يعكفون على اصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم الهة قال انكم قوم تجهلون ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون قال اغير الله ابغيكم الها وهو فضلكم على العالمين آيتان ثلث آيات القراءة يعكفون بكسر الكاف كوفي غير عاصم والباقون بضم الكاف وهما لغتان اللغة المجاوزة الاخراج عن الحد وجاز الوادي يجوز جوازا اذا قطعه وخلفه وراءه وجاوزه مجاوزة واجتازه اجتيازا واصل البحر من السعة ومنه البحيرة لسعة شق اذنها وتبحر في العلم اذا اتسع فيه وقوي تصرفه وعكف على الشيء واظب عليه ولزمه ومنه الاعتكاف وهو لزوم المسجد للعبادة فيه والمتبر من التبار وهو الهلاك ومنه التبر للذهب وسمي بذلك لامرين احدهما ان معدنه مهلكه والاخر ما قاله الزجاج انه يقال لكل اناء مكسر متبر وكساره تبره الاعراب كما لهم الهة ما هذه كافة للكاف لان ما بعدها جملة وقال البصير وهو واحد زمانا في هذا الفن ما ههنا مصدرية اي كما ثبت لهم الهة وصلت بالظرف وما ارتفع به كما يوصل بالمبتدأ والخبر في قوله كما سيف عمرو لم تخنه مضاربه ويجوز ان يكون بمعنى الذي وفي لهم ضمير يعود اليه والهة بدل من ذلك الضمير او يرتفع باضمار هي اي هي الهة فحذف هي وما هم فيه موصول وصلة في موضع رفع بقيامه مقام الفاعل لقوله متبر وكذلك ما كانوا يعملون فاعل لباطل اغير الله ابغيكم الها ابغي يتعدى الى مفعولين وطلب يتعدى الى مفعول واحد لان معنى قوله بغاه الخير اعطاه الخير وليس كذلك طلب لانه غير متضمن بالمطلوب وعلى هذا فيكون الها مفعولا ثانيا ويكون غير منصوبا على الحال التي لو تاخرت كانت صفة للنكرة وتقديره ابغيكم الها غير الله وقد يجوز ان يكون بمعنى ابغي لكم ويكون غير الله منصوبا بانه مفعول ابغي وتقديره اطلب غير الله لكم معبودا فيكون الها منصوبا على الحال المعنى ثم اخبر سبحانه عن احوال بني اسرائيل فقال وجاوزنا ببني اسرائيل اي قطعنا بهم البحر يعني النيل نهر مصر بان جعلنا لهم فيه طرقا يابسة حتى عبروا ثم اغرقنا فرعون وقومه فيه فاتوا على قوم اي فمروا على قوم يعكفون على اصنام لهم اي يقبلون عليها ملازمين لها مقيمين عندها يعبدونها قال قتادة كان اولئك القوم من لخم وكانوا نزولا بالرقة وقال ابن جريج كانت تماثيل بقر وذلك اول شان العجل قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم الهة اي انصب لنا شيئا نعبده كما لهم اوثان يعبدونها وهذا كفر ربما قاله الجهال من قومه دون المؤمنين الاخيار وانما قالوا ذلك لان الانسان يحن الى ما يراه لغيره فيحب ان يكون له مثل ما لغيره وفي هذا دلالة على عظيم جهلهم بعد ما راوا الايات المترادفة والمعجزات حيث توهموا انه يجوز عبادة غير الله تعالى ولم يعرفوا ان المجهول لا يكون الها وان الاصنام لا تكون الهة ويمكن ان يكونوا قد ظنوا انه يجوز ان يتقرب الى الله سبحانه بعبادة غيره وان اعتقدوا انه لا يشبه الاشياء ولا تشبهه ولم يكونوا مشبهة كما حكى الله عن المشركين انهم قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى قال

انما انتصب بانه مفعول اورثنا ويجوز ان يكون ظرفا على تقدير واورثناهم الارض في مشارقها ومغاربها وقيل انما انتصب مشارق الارض ومغاربها م

عشر



حزب ۱ جزو ۹

انكم قوم تجهلون هذا حكاية عما اجابهم به موسى عليه اى تجهلون ربكم وعظمته وصفاته ولو عرفتموه حق معرفته لما قلتم هذا القول عن الجبائي
وقيل تجهلون نعمة ربكم فيما صنع بكم عن ابن عباس ان هؤلاء يعني القوم الذين عبدوا الاصنام متبر اى مدمر مهلك ما هم فيه من عبادة الاصنام
وباطل ما كانوا يعملون اى باطل عملهم لا يجدى عليهم نفعا ولا يدفع عنهم ضررا فكانه بمنزلة من لم يكن من هذا الوجه فالبطلان انتفاء المعنى بعدمه
او بانه لا يصح معتقده فالاول بطلان البناء بالهدم والثاني كبطلان اله آخر مع الله لانه لا يصح في عدم ولا وجود قال يعني قال موسى لقومه
بعد ان زاد على الاصنام وعلى من كان يعبدها اغير الله ابغيكم الها اى التمس واطلب غير الله لكم فحذف حرف الجر فوصل الفعل كقوله واختار موسى
قومه اى من قومه الها اي معبودا تعبدونه سوى الله وهو فضلكم على العالمين اى على عالمي زمانكم عن الحسن والجبائي وقيل معناه وهو سبحانه
خصكم بفضائل لم يعطها احدا غيركم وهو ان ارسل اليكم رجلين منكم لتكونوا اقرب الى القبول وخلصكم من اذى فرعون وقومه على اعجب وجه
واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم قوله تعالى واذ انجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم
وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم ۞ آية القراءة يقتلون بالتشديد الحجة قد مضى الكلام في امثال ذلك مرة بعد اخرى فلا وجه للاطالة
باعادته المعنى ثم خاطب الله سبحانه بني اسرائيل الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وآله فقال لهم على وجه الامتنان عليهم بما انعمه على
اسلافهم فقال واذ انجيناكم اي واذكروا اذ خلصناكم من آل فرعون يسومونكم اى يولونكم اكراها ويحملونكم اذلالا سوء العذاب يقتلون ابناءكم اي
يكثرون قتل ابنائكم ويستحيون نساءكم اى يستبقونهن للخدمة والمهنة وفي ذلكم اى فيما فعل بكم من النجاة بلاء اى نعمة من ربكم عظيم قدرها وقيل
معناه وفي تخليته اياكم وقوم فرعون ابتلاء عظيم وقد مضى تفسير هذه الاية في سورة البقرة قوله تعالى وواعدنا موسى ثلثين ليلة
واتممناها بعشر فتم ميقات ربه اربعين ليلة وقال موسى لاخيه هرون اخلفني في قومي واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين ۞ آية اللغة
الفرق بين الميقات والوقت ان الميقات ما قدر ليعمل فيه عمل من الاعمال والوقت وقت الشيء قدره مقدر او لم يقدره ولذلك قيل مواقيت الحج وهي
المواضع التي قدرت للاحرام فيها المعنى ثم بين سبحانه تمام نعمته على بني اسرائيل فقال وواعدنا موسى ثلثين ليلة واتممناها بعشر ولم يقل اربعين
ليلة كما قاله في سورة البقرة لفائدة زائدة ذكر فيها وجوه احدها ان العدة كانت ذا القعدة وعشر ذي الحجة ولو قال اربعين ليلة لم يعلم انه
كان الابتداء اول الشهر ولا ان الايام كانت متوالية ولا ان الشهر شهر بعينه قال الفراء وهو معنى قول مجاهد وابن عباس وابن جريج ومسروق
واكثر المفسرين وثانيها انه سبحانه واعد موسى ثلثين ليلة ليصوم فيها ويتقرب بالعبادة ثم اتمت بعشر الى وقت المناجاة وقيل هي العشر التي
نزلت له التورية فيها فلذلك افردت بالذكر وثالثها ان موسى عليه السلم قال لقومه اني اتاخر عنكم ثلثين يوما ليتسهل عليكم ثم زاد عليهم عشرا
وليس في ذلك خلف لانه اذا تاخر عنهم اربعين ليلة فقد تاخر ثلثين قبلها عن ابي جعفر الباقر ع وقريب منه ما روي عن الحسن ان الموعد
كان اربعين ليلة في الاصل فاجمل هناك وفصل ههنا على وجه التاكيد فتم ميقات ربه اربعين ليلة انما قال هذا مع ان ما تقدمه دل على هذه
العدة للبيان والتفصيل الذي يسميه الكتاب الفذلكة ولو لم يذكره لجاز ان يتوهم ان تمام الثلثين بعشر منها على معنى كملنا الثلثين بعشر حتى
كملت ثلثين كما يقال كملت العشرة بدرهمين وقد مر معنى المواعدة والوعد في سورة البقرة وقلنا ان اربعين هنا منصوب على الحال وتقديره
معدودة اربعين ليلة وقال موسى وقت خروجه الى الميقات لاخيه هرون اخلفني اي كن خليفتي في قومي واصلح فيما بينهم واجر على طريقتك
في الصلاح وقيل معناه واصلح فاسدهم في حال غيبتي وقيل اصلحهم اي احملهم على الطاعة ولا تتبع سبيل المفسدين اى لا تسلك طريقة العاصين
ولا تكن عونا للظالمين وانما اراد بذلك اصلاح قومه وان كان المخاطب به اخاه وانما امر موسى عليه السلم اخاه هرون بان يخلفه وينوب
عنه في قومه مع ان هرون كان نبيا مرسلا لان الرياسة كانت لموسى ع عليه وعلى امته ولم يكن يجوز ان يقول هرون لموسى مثل ذلك وفي
هذا دلالة على ان منزلة الامامة منفصلة من النبوة وغير داخلة فيها وانما اجتمع الامران لانبياء مخصوصين لان هرون لو كان له القيام
بامر الامة من حيث كان نبيا لما احتاج فيه الى استخلاف موسى اياه واقامته مقامه قوله تعالى ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه
قال رب ارني انظر اليك قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى
صعقا فلما افاق قال سبحانك تبت اليك وانا اول المؤمنين ۞ آية القراءة جعله دكاء بالمد ههنا وفي
الكهف كوفي غير عاصم ووافقهم عاصم في الكهف والباقون دكا بالقصر والتنوين في الموضعين الحجة قال الزجاج جعله دكا بالتنوين معناه

جعله

جعله مدقوقا مع الارض والدكاء والدكادات الروابي التي مع الارض ناشزة عنها لا تبلغ ان تكون جبلا قال ابو الحسن لما قال جعله فكانه قال
دكه واراد جعله ذا دك وقال ابو عبيدة جعله دكا اي مندكا وناقة دكاء ذاهبة السنام كانه جملها كالناقة الدكاء نفى اكثره والدك المستوي
وانشد للاغلب هل غير غار دك غارا فانهدم وقال علي بن عيسى دكا مستويا بالارض يقال دكه يدكه دكا اي سحقه سحقا اللغة التجلي الظهور
ويكون تارة بالظهور وتارة بالدلالة قال الشاعر تجلى لنا بالمشرفية والقنا وقد كان عن وقع الاسنة نائيا اراد الشاعر ان تدبيره دل عليه و
يقال للسيد هو ابن جلا اي لا يخفى امره لشهرته وفي خطبة الحجاج انا ابن جلا وطلاع الثنايا متى اضع العمامة تعرفوني قال سيبويه جلا فعل
ماض وكانه قال انا ابن الذي جلا اي اوضح وكشف المعنى ثم ذكر سبحانه حديث الميقات فقال ولما جاء موسى لميقاتنا معناه ولما انتهى
موسى الى المكان الذي وقتناه له وامرنا بالمصير اليه لنكلمه وننزل عليه التورية ويمكن ان يكون المراد بالميقات الزمان الذي وقته الله له
ان ياتي ذلك المكان فيه فان لفظ الميقات كما يقع على الزمان يقع على المكان كمواقيت الاحرام فانها للامكنة التي لا يجوز مجاوزتها لاهل
الافاق الا وهم محرمون وكلمه ربه من غير سفير او وحي كما كان يكلم الانبياء على السنة الملئكة ولم يذكر من اي موضع اسمعه كلامه وذكر في موضع
اخر انه اسمعه كلامه من الشجرة فجعل الشجرة محلا للكلام لان الكلام عرض لا يقوم الا بجسم وقيل انه في هذا الموضع اسمعه كلامه من الغمام قال
رب ارني انظر اليك اي ارني نفسك انظر اليك اختلف العلماء في وجه مسئلته للرؤية مع علمه بانه سبحانه لا يدرك بالحواس على اقوال احدها
ما قاله الجمهور وهو الاقوى انه لم يسأل الرؤية لنفسه وانما سالها لقومه حين قالوا له لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ولذلك قال عليه السلم
لما اخذتهم الرجفة اتهلكنا بما فعل السفهاء منا واضاف ذلك الى السفهاء ويسال على هذا فيقال لو جاز ان يسال الرؤية لقومه مع علمه باستحالة
الرؤية عليه تعالى لجاز ان يسال لقومه سائر ما يستحيل عليه من كونه جسما وما اشبه ذلك متى شكوا فيه والجواب انما صح السؤال
في الرؤية لان الشك في جواز الرؤية التي لا يقتضي كونه جسما يمكن معه معرفة السمع وانه سبحانه حكيم صادق في اخباره فيصح ان يعرفوا
بالجواب الوارد من جهته تعالى استحالة ما شكوا في صحته وجوازه ومع الشك في كونه جسما لا يصح معرفة السمع من حيث ان الجسم لا يجوز
ان يكون غنيا ولا عالما بجميع المعلومات ولابد في العلم بصحة السمع من ذلك فلا يقع بجوابه انتفاع ولا علم وقال بعض العلماء انه كان
يجوز ان يسال موسى لقومه ما يعلم استحالته ايضا وان كانت دلالة السمع لا تثبت قبل معرفته متى كان في المعلوم ان في ذلك صلاحا للمكلفين
في دينهم غير انه شرط ان يبين النبي في مسئلته ذلك علمه باستحالة ما يسال عنه وان غرضه في السؤال ورود الجواب ليكون لطفا وثانيها انه
عليه السلم يسال الرؤية بالبصر ولكن سأله ان يعلمه نفسه ضرورة باظهار بعض اعلام الاخرة التي تضطره الى المعرفة فيزول عنه الدواعي
والشكوك ويستغني عن الاستدلال والسؤال وان وقع بلفظ الرؤية فان الرؤية تفيد العلم كما يفيد الادراك بالبصر على غير وجه التشبيه
عن الحسن والربيع والسدي وذلك لان معرفة التوحيد يصح مع الجهل بمسئلة الرؤية ومعرفة السمع يصح ايضا معه وهذا ضعيف لان الامر
وان كان الامر على ما ذكروه فان الانبياء لا يجوز ان يخفي عليهم مثل هذا مع جلالة رتبتهم وعلو درجتهم قال لن تراني هذا جواب من الله تعالى
ومعناه لا تراني ابدا لان لن تنفي على وجه التابيد كما قال ولن يتمنوه ابدا وقال لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له ولكن انظر الى الجبل فان
استقر مكانه فسوف تراني علق رؤيته باستقرار الجبل الذي علمنا انه لم يستقر وهذه طريقة معروفة في استبعاد الشيء لانهم يعلقونه بما يعلم انه
لا يكون ومتى قيل انه لو كان الغرض بذلك التبعيد لعلقه سبحانه بامر يستحيل كما علق دخول الجنة بامر مستحيل من ولوج الجمل في سم الخياط
فجوابه انه سبحانه علق جواز الرؤية باستقرار الجبل في تلك الحال التي جعله فيها دكا وذلك مستحيل لما فيه من اجتماع الضدين فلما تجلى ربه للجبل
اي ظهر امر ربه لاهل الجبل فحذف والمعنى انه سبحانه اظهر من الايات ما استدل به من كان عند الجبل على ان رؤيته غير جائزة وقيل معناه
ظهر ربه باياته التي احدثها في الجبل لاهل الجبل كما يقال الحمد لله الذي تجلى لنا بقدرته وكل اية يجددها الله سبحانه فكانه يتجلى
للعباد بها فلما اظهر الاية العجيبة في الجبل صار كانه ظهر لاهله وقيل ان تجلى بمعنى جلى كقولهم حدث وتحدث وتقديره جلى ربه امره للجبل
اي ابرز في ملكوته للجبل ما تدكدك به ويؤيده ما جاء في الخبر ان الله تعالى ابرز من العرش مقدار الخنصر فتدكدك به الجبل وقال ابن عباس معناه
ظهر نور ربه للجبل وقال الحسن لما ظهر وحي ربه للجبل جعله دكا اي مستويا بالارض وقيل ترابا عن ابن عباس وقيل ساخ في الارض حتى فني
عن الحسن وقيل تقطع اربع قطع قطعة ذهبت نحو المشرق وقطعة ذهبت نحو المغرب وقطعة سقطت في البحر وقطعة صارت رملا

وقيل صار الجبل ستة اجبل وقعت ثلثة بالمدينة وثلثة بمكة فالتي بالمدينة احد وورقان ورضوى والتي بمكة ثور وثبير وحرى روي ذلك عن النبي

صلى الله عليه واله وخر موسى صعقا اى سقط مغشيا عليه عن ابن عباس والحسن وابن زيد ولم يمت بدلالة قوله فلما افاق ولا يقال افاق الميت

وانما يقال عاش او حيي واما السبعون الذين كانوا معه فقد ماتوا كلهم لقوله ثم بعثناكم من بعد موتكم وروى عن ابن عباس انه قال اخذته

الغشية عشية يوم الخميس يوم عرفة وافاق عشية الجمعة وفيه نزلت عليه التورية وقيل معناه خر ميتا عن قتادة فلما افاق من صعقته

ورجع اليه عقله قال سبحانك اى تنزيها لك عن ان يجوز عليك ما لا يليق بك وقيل تنزيها لك من ان تأخذني بما فعل السفهاء من سؤال الرؤية

تبت اليك من التقديم فى المسئلة قبل الاذن فيها وقيل انه قاله على وجه الانقطاع الى الله سبحانه كما يذكر التسبيح والتهليل ونحو ذلك من

الالفاظ عند ظهور الامور الجليلة وانا اول المؤمنين بانه لا يراك احد من خلقك عن ابن عباس والحسن وروى مثله عن ابى عبد الله عليه السلم

قال معناه انا اول من امن وصدق بانك لا ترى وقيل معناه انا اول المؤمنين من قومى باستعظام سؤال الرؤية عن الجبائي وقيل اول المؤمنين

بك من بنى اسرائيل عن مجاهد والسدى **قوله تعالى** قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَ

كُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ۝ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ

دَارَ الْفَاسِقِينَ ۝ آيتان **القراءة** قرا اهل الحجاز وروح برسالتى على التوحيد والباقون برسالاتى على الجمع وقد مضى الكلام فيه

اللغة اللوح صحيفة مهياة للكتابة فيها واصله من اللوح وهو اللمع يقال لاح يلوح اذا لمع وتلالا والتلويح التضمير ولوحه السفر غيره

تغييرا يبين عليه اثره لان حاله يلوح بما نزل به واللوح الهواء لانه كاللامع فى هبوبه فاللوح تلوح المعانى بالكتابة فيه والموعظة التحذير

بما يزجر عن القبيح ويبصر مواقع الخوف **المعنى** ثم اخبر سبحانه عن عظيم نعمته على موسى بالاصطفاء واجلال القدر وامره اياه بالشكر بقوله

قال اى قال الله سبحانه يا موسى انى اصطفيتك على الناس اى اخترتك واتخذتك صفوة وفضلتك على الناس برسالاتى من غير كلام وبكلامى

من غير رسالة وخص الناس لانه كلم الملئكة ولم يكلم احدا من الناس بلا واسطة سوى موسى وقيل انه سبحانه كلم موسى على الطور وكلم نبينا

صلى الله عليه عند سدرة المنتهى فخذ ما اتيتك اى تناول ما اعطيتك من التورية وتمسك بما امرتك وكن من الشاكرين اى من المعترفين

بنعمتى القائمين بشكرها على حسب مرتبتها فكلما كانت النعمة اعظم واجل وجب ان تقابل من الشكر بما يكون اتم واكمل والوجه فى تشريف

موسى عليه السلم بالاختصاص بالكلام ان ذلك نعمة عظيمة ومنة جسيمة منه تعالى عليه لانه كلمه وعلمه الحكمة من غير واسطة بينه وبينه

ومن اخذ العلم من العالم المعظم كان اجل رتبة ممن اخذه ممن هو دونه وكتبنا له يعنى لموسى عليه فى الالواح يريد الواح التورية عن ابن

عباس وقيل كانت من خشب نزلت من السماء عن الحسن وقيل كانت من زمرد وطولها عشرة اذرع عن ابن جريج وقيل كانت من زبرجدة

خضراء او ياقوتة حمراء عن الكلبى وقيل انهما كانا لوحين قال الزجاج ويجوز فى اللغة ان يقال للوحين الواح ويجوز ان يكون الواحا

جمع اكثر من اثنين من كل شئ قال الزجاج اعلم سبحانه انه اعطاه من كل شئ يحتاج اليه من امر الدين مع ما اراه من الايات موعظة

هذا تفسير لقوله كل شئ وبيان لبعض ما دخل تحته وتفصيلا لكل شئ يحتاج اليه فى الدين من الاوامر والنواهى والحلال والحرام وذكر الجنة

والنار وغير ذلك من العبر والاخبار وتفصيلا ايضا تفسير لقوله كل شئ فخذها بقوة اى بجد واجتهاد وقيل بصحة عزيمة وقوة قلب وامر قومك

ياخذوا باحسنها اى بما فيها من احسن المحاسن وهى الفرائض والنوافل فانها احسن من المباحات وقيل معناه ياخذوا بالناسخ دون

المنسوخ عن الجبائي وهذا ضعيف لان المنسوخ قد خرج من ان يكون حسنا وقيل ان المراد بالاحسن الحسن وكلها حسن كقوله سبحانه وهو

اهون عليه وكقوله ولذكر الله اكبر عن قطرب ساريكم دار الفاسقين يعنى ساريكم جهنم عن الحسن ومجاهد والجبائي والمراد فليكن منكم على ذكر

لتحذروا ان تكونوا منهم وهذا تهديد لمن خالف امر الله وقيل يريد ديار فرعون وقومه بمصر عن عطية العوفى وقيل معناه سادخلكم الشام

فاريكم منازل القرون الماضية ممن خالفوا امر الله تعالى ليعتبروا بها عن قتادة وفى تفسير على بن ابراهيم ان معناه يجيئكم قوم فساق تكون الدولة لهم

قوله تعالى سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ

سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ۝ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ

أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ آيتان **القراءة** قرا اهل الكوفة غير عاصم الرشد بفتح الراء والشين والباقون الرشد بضم الراء

ويكون

وسكون الشين الحجة هما لغتان وحكى ان ابا عمرو فرق بينهما فقال الرشد الصلاح والرشد فى الدين مثل قوله مما علمت رشدا وتحروا رشدا
فهذا فى الدين وقوله فان انستم منهم رشدا هو فى اصلاح المال والحفظ له وقد جاء الرشد فى غير الدين قال حنت الى نعم الدهنا فقلت لها
امي بلالا على التوفيق والرشد اللغة الرشد سلوك طريق الحق يقال رشد يرشد رشادا ورشد يرشد رشدا ورشدا وضده الغي غوى
يغوى غيا وغواية والحبوط سقوط العمل حتى يصير بمنزلة ما لم يعمل واصله الفساد من الحبط وهو داء يأخذ البعير فى بطنه من فساد الكلاء عليه
ويقال حبطت الابل تحبط حبطا اذا اصابها ذلك واذا عمل الانسان عملا على خلاف الوجه الذي امر به يقال احبطه المعنى ساصرف عن
اياتي الذين يتكبرون فى الارض فى معناه وجوه احدها انه اراد ساصرف عن نيل الكرامة المتعلقة باياتي والاعتزاز بها كما يناله المؤمنون فى
الدنيا والاخرة المستكبرين فى الارض بغير الحق كما تعلى بقوم موسى وفرعون فان موسى كان يقتل من القبط وكان احدهم لا يجسر ان يناله
بمكروه خوفا من الثعبان وعبر بنى اسرائيل البحر وغرق فيه فرعون وقومه عن ابى على الجبائي والايات على هذا التاويل يحتمل ان يكون سائر
الادلة ويحتمل ان تكون معجزات الانبياء عليهم السلام وفى قوله ذلك بانهم كذبوا باياتنا بيان ان صرفهم عن الايات مستحق بتكذيبهم وثانيها
ان معناه ساصرفهم عن زيادة المعجزات التى اظهرها على الانبياء عليهم السلام بعد قيام الحجة بما تقدم من المعجزات الذي تثبت بها النبوة لان
هذا الضرب من المعجزات انما يظهر اذا كان فى المعلوم انه يؤمن عنده من لا يؤمن بما تقدم من المعجزات فيكون الصرف بان لا يظهرها جملة
او بان يصرفهم عن مشاهدتها ويظهرها بحيث ينتفع بها غيرهم وهذا الوجه اختاره القاضي لان ما بعده يليق به من قوله وان يروا سبيل
الرشد الى آخر الاية وثالثها ان معناه سامنع الكذابين والمتكبرين اياتى ومعجزاتي واصرفهم عنها واخص بها الانبياء فلا اظهرها الا عليهم
واذا صرفهم عنها فقد صرفتها عنهم وكلا اللفظين يفيد معنى واحدا فليس لاحد ان يقول هلا قال ساصرف اياتى عن الذين يتكبرون وهذا
يبطل قول من قال ان الله تعالى النيل فى امر فرعون فكان يجرى بامره ويقف بامره وما شاكل ذلك ورابعها ان يكون الصرف معناه المنع
من ابطال الايات والحجج والقدح فيها بما يخرجها من كونها ادلة وحججا ويكون تقدير الاية انى اصرف المبطلين والمكذبين عن القدح
فى دلالاتي بما اؤيدها واحكمها من الحجج والبينات ويجرى ذلك مجرى قول احدنا ان فلانا منع اعداءه بافعاله الجميلة واخلاقه الكريمة من
ذمه وتهجينه واخرس السنتهم عن الطعن فيه وانما يريد المعنى الذي ذكرناه ويكون على هذا قوله ذلك بانهم كذبوا باياتنا راجعا الى ما قبله
بلا فصل من قوله وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا ولا يرجع الى قوله ساصرف وخامسها ان المراد ساصرف عن ابطال اياتى والمنع من
تبليغها هؤلاء المتكبرين بالاهلاك او المنع من غير اهلاك فلا يقدرون على القدح فيها ولا على قهر مبلغها ولا على منع المؤمنين من اتباعها
والايمان بها وهو نظير قوله والله يعصمك من الناس ويكون الايات فى هذا الوجه القران وما جرى مجراه من كتب الله تعالى التى تحملتها
الانبياء عليهم السلام ويكون قوله ذلك بانهم كذبوا باياتنا على هذا متعلقا ايضا بقوله وان يروا سبيل الرشد الى ما بعده ومعنى قوله
الذين يتكبرون فى الارض اى يرون لانفسهم فضلا على الناس وحقا لا يرون لغيرهم مثله فيحملهم ذلك على ترك اتباع الانبياء انفة من الانقياد
لهم والقبول منهم وقوله بغير الحق وقد مضى ذكر امثاله وان يروا كل اية اى كل حجة ودلالة تدل على توحيد الله وصحة نبوة انبيائه لا يؤمنوا بها
هذا اخبار من الله تعالى عن هؤلاء بعلمه فيهم انهم لا يؤمنون به وبكتبه ورسله وبيان انه انما صرفهم عن اياته لذلك وان يروا سبيل الرشد
لا يتخذوه سبيلا يعنى ان يروا طريق الهدى او الحق لا يتخذوه طريقا لانفسهم وان يروا سبيل الغي اى طريق الضلال يتخذوه سبيلا اي طريقا
لانفسهم ويميلون اليه وقيل الرشد الايمان والغي الكفر وقيل الرشد كل امر محمود والغي كل امر قبيح مذموم ذلك اشارة الى صرفهم عن الايات
وقيل اشارة الى اتخاذهم طريق الغي وترك طريق الرشد وتقديره امرهم ذلك بانهم كذبوا باياتنا اى بحججنا ومعجزات رسلنا وكانوا عنها غافلين
لا يتفكرون فيها ولا يتعظون بها والمراد بالغفلة هنا التشبيه لا الحقيقة مثل قوله سبحانه صم بكم عمي وذلك انهم لما اعرضوا عن الانتفاع
بالايات والتامل فيها اشبهت حالهم حال من كان غافلا ساهيا عنها ثم بين سبحانه وعيد المكذبين فقال والذين كذبوا باياتنا ولقاء الاخرة
يعنى القيمة والبعث والنشور حبطت اعمالهم التى عملوها فلا يستحقون بها مدحا ولا ثوابا لانها وقعت على خلاف الوجه المأمور به فصارت
بمنزلة ما لم يعمل هل يجزون الا ما كانوا يعملون صورته صورة الاستفهام والمراد به الانكار والتوبيخ ومعناه ليس يجزون الا ما عملوه ان
خيرا فخير وان شرا فشر النظم قيل فى وجه اتصال الاية بما قبلها وجوه احدها انه تقدم ذكر المعجزات وما رام فرعون من ابطالها

فبين بقوله سأصرف عن اياتى انه يمنع عن ابطال المعجزات فيتصل بما تقدم من قصة موسى وفرعون وثانيها انه لما تقدم ذكر معجزات موسى نبه
عقيبه على انه سبحانه لا يظهر المعجزة على يدى من ليس بنبي وانما من صدق موسى ومحمد عليهما السلم لمكان المعجزة وثالثها انه خطاب لموسى عليه السلم
وزيادة فى البيان عن اتمام ما وعد فى اهلاك اعدائه وحرمهم عن الاعتراض على اياته ومعناه خذها امنا من طعن الطاعنين فانى سأصرف
ورابعها ان الايتين اعتراض بين قصة موسى والخطاب لنبينا صلى الله عليه وآله والمراد انه يصرف المتكبرين عن آياته كما صرف فرعون عن موسى

قوله تعالى واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين

آية القراءة قرأ حمزة والكسائي حليهم بكسر الحاء واللام وقرأ يعقوب حليهم بفتح الحاء وسكون اللام وقرأ الباقون حليهم بضم الحاء وكسر اللام الحجة
من قرأ بضم الحاء فانه جمع حلى مثل ثدي وثدي وجمعه لانه اضافه الى جمع ومن قرأ بكسر الحاء اتبع الكسرة الكسرة وكره الخروج من الضمة الى الكسرة
واجراه مجرى قسى ومن قرأ حليهم فلانه اسم جنس يقع على القليل والكثير اللغة الاتخاذ اجتباء الشيء لامر من الامور فهو كاتخاذوا
العجل للعبادة والحلى ما اتخذ للزينة من الذهب او الفضة ويقال حلى الشيء فى عيني يحلى حلى وحلا فى فمي يحلو حلاوة وحليت الرجل
تحلية اذا وصفته بما يرى منه وتحلى بكذا تزين به وتحسن والجسد جسم الحيوان مثل البدن وهو روح وجسد فالروح ما لطف والجسد
ماكثف والجسم يقع على جسد الحيوان وغيره من الجمادات والخوار صوت الثور وهو صوت غليظ وبناء فعال يدل على الآفة نحو الصراخ
والسكات والعطاس الاعراب موضع من حليهم نصب تقديره اتخذوا حليهم عجلا جسدا بدل من عجل المعنى ثم عاد الكلام الى
قصة بني اسرائيل وما احدثوه عند خروج موسى ع الى ميقات ربه فقال سبحانه واتخذ قوم موسى يعني السامري ومن جرى على طريقته وقيل
يعنى جميعهم لان منهم من صاغ العجل ومنهم من عبده ومنهم من لم ينكر وانما انكر ذلك القليل منهم فخرج الكلام على الغالب من بعده اي من
بعد خروج موسى الى الميقات عن الجبائي وغيره من حليهم التى استعاروها من قوم فرعون وكانت بنوا اسرائيل بمنزلة اهل الجزية فى القبط
كان لهم يوم عيد يتزينون فيه ويستعيرون من القبط الحلى فوافق ذلك عيدهم فاستعاروا حلى القبط فلما اخرجهم الله من مصر وغرق
فرعون بقيت تلك الحلي فى ايديهم فاتخذ السامري منها عجلا وهو ولد البقرة جسدا اى مجسدا لا روح فيه وقيل لحما ودما عن وهب له
خوار اى صوت وروي فى الشواذ عن على ع جؤار بالجيم والهمزة وهو الصوت ايضا وفى كيفية خوار العجل مع انه مصوغ من ذهب خلاف
فقيل اخذ السامري قبضة من تراب اثر فرس جبرئيل عليه السلم يوم قطع البحر فقذف ذلك التراب فى فم العجل فتحول لحما ودما وكان
ذلك معتادا غير خارق للعادة وجاز ان يفعل الله تعالى ذلك بمجرى العادة عن الحسن وقيل انه احتال بادخال الريح كما يعمل هذه الآلات
التى تصوت بالحيل عن الزجاج والجبائي والبلخي وانما اضاف سبحانه الصوت اليه لانه كان محله عند دخول الريح جوفه وكان السامري
عندهم مهيبا مطاعا فيما بينهم فارجف ان موسى ع قد مات لما لم يرجع على راس الثلثين فدعاهم الى عبادة العجل فاطاعوه ولم يطيعوا
هرون وعبدوا العجل على ما مر ذكره فى سورة البقرة ثم انكر سبحانه ذلك عليهم فقال الم يروا اى الم يعلموا انه لا يكلمهم بما يجدى عليهم نفعا او
يدفع عنهم ضررا ولا يهديهم سبيلا اي لا يهديهم الى خير ليأتوه ولا الى شر ليجتنبوه ودل سبحانه بهذا على فساد ما ذهبوا اليه فان من لا
يتكلم فى خير وشر ولا يهدي الى طريق فهو جماد لا ينفع ولا يضر فكيف يكون الها معبودا اتخذوه اي اتخذوه الها وعبدوه وكانوا ظالمين
باتخاذهم له الها واضعين للعبادة فى غير موضعها

قوله تعالى ولما سقط فى ايديهم وراوا انهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين

آية القراءة لئن لم ترحمنا بالتاء ربنا بالنصب وتغفر لنا بالتاء كوفى غير عاصم الباقون يرحمنا ويغفر لنا بالياء ربنا بالرفع
الحجة من قرأ بالياء جعل الفعل للغيبة وارتفع ربنا به ويغفر لنا فيه ضمير ربنا ومن قرأ بالتاء ففيه ضمير الخطاب وربنا نداء وحذف
حرف التنبيه معه لان عامة ما فى التنزيل حذف حرف التنبيه معه نحو قوله ربنا انى اسكنت من ذريتي ربنا واتنا ما وعدتنا اللغة معنى
سقط فى ايديهم وقع البلاء فى ايديهم اى وجدوه وجدان من يده فيه يقال ذلك للنادم عند ما يجده مما كان خفى عليه ويقال سقط فى
يده واسقط فى يده وبغير الف افصح وقال معناه صار الذي كان يضرب به ليلقى فى يده المعنى ثم اخبر سبحانه انهم ندموا على عبادة العجل
فقال ولما سقط فى ايديهم اي فلما لحقتهم الندامة وراوا انهم قد ضلوا اى علموا ضلالهم عن الصواب وطريق الحق بعبادة العجل حين
رجع اليهم موسى وبين لهم ذلك قالوا لئن لم يرحمنا ربنا بقبول توبتنا ويغفر لنا ما قدمنا من عبادة العجل لنكونن من الخاسرين باستحقاق

عشر
ع ٩

العقاب قال الحسن ان كلهم عبدوا العجل الا هرون بدلالة قول موسى رب اغفر لي ولاخي ولو كان هناك مؤمن غيرهما لدعا له وقيل غيره انما عبده بعضهم قوله تعالى فلما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا قال بئسما خلفتموني من بعدي اعجلتم امر ربكم والقى الالواح واخذ براس اخيه يجره اليه قال ابن ام ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الاعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين قال رب اغفر لي ولاخي وادخلنا في رحمتك وانت ارحم الراحمين ايتان القراءة قرا ابن عامر واهل الكوفة غير حفص ابن ام بالكسر ههنا وفي طه وقرا الباقون ابن ام نصبا في الموضعين وروى في الشواذ عن مجاهد فلا تشمت بفتح التاء والميم الاعداء بالنصب وروي عن مجاهد ايضا فلا يشمت بالياء الحجة من قرا ابن ام بالفتح فلكثرة استعمالهم هذا الاسم قالوا يا ابن ام ويا ابن عم جعلوهما اسما واحدا نحو خمسة عشر قال سيبويه قالوا يا ابن ام ويا ابن عم فجعلوا ذلك بمنزلة اسم لان هذا اكثر في كلامهم من يا ابن ابي ويا غلام غلامي ومن العرب من يقول يا ابن امي باثبات الياء قال الشاعر يا ابن امي ويا شقيق نفسي انت خليتني لدهر شديد وكامر شديد قال ابو علي بني الاسمان على الفتح والفتحة في ابن ليست النصبة التي كانت تكون في الاسم المضاف المنادى لكن بني على الحركة التي كانت تكون للاعراب كما ان قولهم لا رجل كذلك وكما ان مكانك اذا اردت به الامر لا تكون الفتحة فيه الفتحة التي كانت فيه وهو ظرف ولكنه على حد الفتحة في رويدك فان قال قائل فلم لا يقول انها نصبة والمراد يا ابن اما فحذفت الالف كما حذفت ياء الاضافة في غلام قيل له ليس هذا مثله الا ترى ان من حذف الياء من يا غلام اثبتها في يا غلام غلامي فلو كانت الالف مقدرة في يا ابن ام لم تكن تحذف كما لم يحذف في قوله يا ابنة عما لا تلومي واهجعي فالالف لا تحذف حيث تحذف الياء الا ترى ان من قال ما كنا نبغ والليل اذا يسر فحذف الياء من الفواصل وما اشبه الفواصل من الكلام التام لم يكن عنده في نحو قوله والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى الا الاثبات فان قلت فقد حذف الالف في نحو قوله رهط ابن مرجوم ورهط ابن المعل يريد المعلى وانشد ابو الحسن فلست بمدرك ما فات مني بلهف ولا بليت ولا لواني يريد بلهفى فالقول فيه ان ذلك في الشعر ولا يكون في الاختيار وحال السعة ولا ينبغي ان يحمل قول ابن ام على هذا وقياس من اجاز ذلك ان تكون فتحة الابن نصبة والفتحة في ام ليست كالتي في عشر من خمسة عشر ولكن مثل الفتحة التي في الميم من يا ابنة عما قال الزجاج ومن قرا ابن ام بالكسر فانه اضاف الى نفسه بعد ان جعله اسما واحدا اللغة الاسف الغضب الذي فيه تاسف على فوت ما سلف والاسف الحزن والتلهف ايضا ويقال خلفه يخلفه بما يحب وبما يكره اذا عمل خلفه ذلك العمل والعجلة التقدم بالشيء قبل وقته والسرعة عمله في اول وقته ولذلك صارت العجلة مذمومة ويقال عجلته اي سبقته وعجلته استحثثته والشماتة سرور العدو بسوء العاقبة يقال شمت به شماتة واشمته اشماتا عرضه لتلك الحال الاعراب غضبان منصوب على الحال وهو فعلان مؤنثه فعلى نحو غضبان وغضبى ولا ينصرف لان فيه الالف والنون المضارعتين لالفي التانيث في حمراء المعنى ثم اخبر سبحانه عما فعله موسى ع حين رجع من مناجاة ربه وراء عكوف قومه على عبادة العجل فقال ولما رجع موسى الى قومه يعني بني اسرائيل غضبان اسفا اي حزينا عن ابن عباس وقيل الاسف الشديد الغضب عن ابي الدرداء وقيل معنى الغضب والاسف واحد وانما كررهما للتاكيد واختلاف اللفظين كما قال الشاعر وهند اتى من دونها النأي والبعد عن ابي مسلم وقيل معناه غضبان على قومه اذ عبدوا العجل اسفا حزينا متلهفا على ما فاته من مناجاة ربه قال بئسما خلفتموني من بعدي اي بئسما عملتم خلفي وبئس الفعل فعلكم بعد ذهابي الى ميقات ربي اعجلتم امر ربكم اي ميعاد ربكم فلم تصبروا له عن ابن عباس ونحو هذا قال الحسن وعد ربكم الذي وعدني من الاربعين ليلة وذلك انهم قدروا انه قد مات لما لم يات على راس ثلثين ليلة وقيل اعجلتم بعبادة العجل قبل ان ياتيكم امر من ربكم عن الكلبي وقيل ان معناه استعجلتم وعد الله وثوابه على عبادته فلما لم تنالوه عدلتم الى عبادة غيره عن الجبائي والقى الالواح معناه انه القاها لما تداخله من شدة الغضب والجزع على عبادة قومه العجل عن ابن عباس فروى عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال يرحم الله اخي موسى ليس المخبر كالمعاين لقد اخبره الله بفتنة قومه وقد عرف ان ما اخبره ربه حق وانه على ذلك لمتمسك بما في يديه فرجع الى قومه ورآهم فغضب فالقى الالواح وقد تقدم ذكر ما قيل في الالواح واخذ براس اخيه يعني هرون يجره اليه قيل في معناه وجوه احدها ان موسى ع انما فعل ذلك مستعظما لفعلهم مفكرا فيما كان منهم كما يفعل الانسان بنفسه مثل ذلك عند الغضب وشدة الفكر فيقبض على لحيته ويعض على شفتيه فاجرى موسى ع اخاه هرون مجرى نفسه فصنع به ما يصنع الانسان بنفسه عند حالة الغضب والفكر عن

ابي علي الجبائي وهذا من الامور التي تختلف احكامها بالعادات فيكون ما هو اكرام في موضع استخفافا في غيره ويكون ما هو استخفاف في موضع اكراما في اخر
وثانيها انه عليه السلم اراد ان يظهر ما اعتراه من الغضب على قومه لاكباره منهم ما صاروا اليه من الكفر والارتداد فصدر ذلك منه للتالم بضلالهم
واعلامهم عظم الحال عنده لينزجروا عن مثله في مستقبل الاحوال ذكره الشيخ المفيد ابو عبد الله بن النعمن رضي الله عنه وثالثها انه انما جره الى
نفسه ليناجيه ويستبرئ حال القوم منه ولهذا اظهر هرون براءة نفسه ولما اظهر براءته دعا له ولنفسه ورابعها انه لما رأى بهرون مثل ما به
من الجزع والقلق اخذ براسه متوجعا له مسكنا فكره هرون ان يظن الجهال ذلك استخفافا فاظهر براءته ودعا له موسى ازالة التهمة وخامسها
انه انكر على هرون ما بينه في طه من قوله ما منعك اذ رايتهم ضلوا الا تتبعني الاية عن ابي مسلم قال يبنؤم قال هرون ابن ام قال الحسن والله
لقد كان اخاه لابيه وامه انما نسبه الى الام لان ذكر الام ابلغ في الاستعطاف ان القوم استضعفوني يعني ان القوم الذين تركتني بين
اظهرهم اتخذوني ضعيفا وكادوا يقتلونني اي هموا بقتلي وقربوا ان يقتلوني لشدة انكاري عليهم فلا تشمت بي الاعداء اي لا تسرهم بان
تفعل ما يوهم ظاهره خلاف التعظيم ولا تجعلني مع القوم الظالمين اي لا تجعلني مع عبدة العجل ومن جملتهم في اظهار الغضب والموجدة
علي قال موسى حين تبين له ما نبهه هرون عليه من خوف التهمة ودخول الشبهة على القوم رب اغفر لي ولاخي هذا على وجه الانقطاع
الى الله سبحانه والتقرب اليه لا انه كان وقع منه او من اخيه قبيح كبير او صغير يحتاج ان يستغفر منه فان الدليل قد دل على ان الانبياء
لا يجوز ان يقع منهم شيء من القبيح وقيل انه عليم بين لهذا النبي اسرائيل انه لم يجر راسه اليه لعصيان وجلمته وانما فعله كما يفعل الانسان
بنفسه عند شدة غضبه على غيره عن الجبائي وادخلنا في رحمتك اي نعمتك وجنتك وانت ارحم الراحمين ظاهر المعنى وانما يذكر في اخر
الدعاء لبيان شدة الرجاء من جهته فان الابتداء بالنعمة يوجب الاتمام وسعة الرحمة يقتضي الزيادة فيها فيقال ارحم الراحمين لاستدعاء
الرحمة من جهته كما يقال اجود الاجودين لاستدعاء الجود من قبله قوله تعالى إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ
وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ
وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ثلث آيات اللغة
النول اللحوق واصله مد اليد الى الشيء الذي يبلغه ومنه قولهم نولك ان تفعل كذا اي ينبغي ان تفعله فانه يلحقك خيره وسكت اي سكن
والسكوت هو الامساك عن الكلام بهيئة منافية لسببه وهو تسكين آلة الكلام وانما قيل سكت الغضب توسعا ومجازا لانه لما كان بفورته
دالا على ما في نفس المغضوب عليه كان بمنزلة الناطق بذلك فاذا سكنت تلك الفورة كان بمنزلة الساكت عما كان متكلما به فالسكوت
في هذا الموضع احسن من السكون لتضمنه معنى سكوته عن المعاتبة مع سكون غضبه الاعراب قال لربهم يرهبون ولا يجوز يرهبون
ربهم لانه اذا تقدم المفعول ضعف عمل الفعل فيه فصار بمنزلة ما لا يتعدى في دخول اللام عليه وقيل انه اذا كان بمعنى من اجله جاز
دخول اللام عليه تقدم او تاخر كما قال تعالى ردف لكم المعنى ثم اوعدهم سبحانه فقال ان الذين اتخذوا العجل فيه حذف اي اتخذوه الها
او معبودا من دون الله سينالهم غضب اي يلحقهم على عبادتهم اياه عقوبة من ربهم وانما ذكر الغضب مع الوعيد بالنار لانه ابلغ في
الزجر عن القبيح وذلة في الحيوة الدنيا يعني صغر النفس والمهانة قال الزجاج والذلة ما امروا به من قتل انفسهم وقيل ان الذلة اخذ
الجزية وما اخذ الجزية لم يقع فيمن عبد العجل وانما اراد استسلامهم للقتل وكذلك نجزي المفترين اي مثل هذا الوعيد والعذاب والغضب
نجزي الكاذبين والمتخرصين وانما سموا مفترين لانهم عبدوا عجلا وقالوا انه اله فكانوا كاذبين ثم عطف سبحانه على ذلك بقوله والذين
عملوا السيئات اي الشرك والمعاصي ثم تابوا من بعدها وآمنوا اي واستأنفوا عمل الايمان وقيل معناه تابوا وآمنوا بان الله قابل للتوبة ان
ربك يا محمد من بعدها اي من بعد التوبة وقيل من بعد السيئات لغفور لذنوبهم رحيم بهم ولما سكت اي سكن عن موسى الغضب وقيل
في معناه زالت فورة غضبه ولم يزل الغضب لان توبتهم لم تخلص وقيل معناه زال غضبه لانهم تابوا اخذ الالواح التي كانت فيها التورية
وفي نسختها اي وفيما نسخ فيها وكتب عن الجبائي وابي مسلم وقيل في نسختها التي كتبت ونسخت منها هدى اي دلالة وبيان لما يحتاج اليه من
امور الدين ورحمة اي نعمة ومنفعة للذين هم لربهم يرهبون اي يخشون ربهم فلا يعصونه ويعملون بما فيها وفي الاية دلالة على انه
يجوز القاء التورية للغضب الذي يظهر بالقائها ثم اخذها للحكمة التي فيها من غير ان يكون القاؤها رغبة عنها قوله تعالى

وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ۞ آية اللغة

الاختيار ارادة ما هو خير يقال خيره بين امرين فاختار احدهما والاختيار والايثار بمعنى واحد والفتنة الكشف والاختبار قال المسيب بن علس اذ تستبيك باصلتي ناعم قامت لتفتنه بغير قناع اى لتكشفه وتبرزه الاعراب واختار موسى من قومه فحذف من فوصل الفعل فنصبه وانما حذف من لدلالة الفعل عليه مع ايجاز اللفظ قال الفرزدق ومنا الذي اختير الرجال سماحة وجودا اذا هب الرياح الزعازع وقال غيلان وانت الذي اخترت المذاهب كلها بوهبين اذ ردت على الاباعر وقال آخر فقلت لها اخترها قلوصا سمينة ونابا علينا مثل نابك فى الحيا

المعنى ثم اخبر سبحانه عن اختيار موسى من قومه عند خروجه الى ميقات ربه فقال واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا واختلف فى سبب اختياره اياهم ووقته فقيل انه اختارهم حين خرج الى الميقات ليكلمه الله سبحانه بحضرتهم ويعطيه التورية فيكونوا شهداء له عند بنى اسرائيل لما لم يثقوا بخبره ان الله سبحانه يكلمه فلما حضروا الميقات وسمعوا كلامه تعالى سألوا الرؤية فاصابتهم الصاعقة ثم احياهم الله فابتدأ سبحانه بحديث الميقات ثم اعترض حديث العجل فلما تم عاد الى بقية القصة وهذا الميقات هو الميعاد الاول الذى تقدم ذكره عن ابى على الجبائي وابى مسلم وجماعة من المفسرين وهو الصحيح ورواه على بن ابراهيم فى تفسيره وقيل انه اختارهم بعد الميقات الاول للميقات الثانى بعد عبادة العجل ليعتذروا من ذلك فلما سمعوا كلام الله قالوا ارنا الله جهرة فاخذتهم الرجفة وهى الرعدة والحركة الشديدة حتى كادت ان تبين مفاصلهم وخاف موسى عليهم الموت فبكى ودعا وخاف ان يتهمه بنو اسرائيل على السبعين اذا عاد اليهم ولم يصدقوه بانهم ماتوا عن السدي والحسن وقال ابن عباس ان السبعين الذين قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الصاعقة كانوا قبل السبعين الذين اخذتهم الرجفة وانما امر الله تعالى موسى ان يختار من قومه سبعين رجلا فاختارهم وبرز بهم ليدعوا ربهم وكان فيما دعوا ان قالوا اللهم اعطنا ما لم تعط احدا قبلنا ولا تعطيه احدا بعدنا فكره الله ذلك من دعائهم فاخذتهم الرجفة وروى عن على بن ابى طالب عليه السلام انه قال انما اخذتهم الرجفة من اجل دعواهم على موسى قتل هرون وذلك ان موسى وهرون وشبر وشبير ابنى هرون انطلقوا الى سفح جبل فنام هرون فى سرير فتوفاه الله فلما مات دفنه موسى فلما رجع الى بنى اسرائيل قالوا له اين هرون قال توفاه الله فقالوا لا بل انت قتلته حسدتنا على خلقه ولينه قال فاختاروا من شئتم فاختاروا منهم سبعين رجلا وذهب بهم فلما انتهوا الى القبر قال موسى يا هرون اقتلت ام مت فقال هرون ما قتلني احد ولكن توفانى الله فقالوا لن نعصي بعد اليوم فاخذتهم الرجفة وصعقوا وماتوا ثم احياهم الله وجعلهم انبياء وقال وهب لم تكن تلك الرجفة موتا ولكن القوم لما راوا تلك الهيبة اخذتهم الرعدة وقلقوا ورجفوا حتى كادت تبين منهم مفاصلهم وتنقض ظهورهم فلما رأى ذلك موسى رحمهم وخاف عليهم الموت واشتد عليه فقدهم وكانوا وزراءه على الخير سامعين له مطيعين فعند ذلك دعى وبكى وناشد ربه فكشف الله عنهم تلك الرجفة والرعدة فسكنوا واطمانوا وسمعوا كلام ربهم قال اى قال موسى رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياى اى لو شئت اهلكتهم من قبل واياي اى لو شئت اهلكت هؤلاء السبعين من قبل هذا الموقف واهلكتني معهم فالآن ماذا اقول لبنى اسرائيل اذا رجعت اليهم اتهلكنا بما فعل السفهاء منا معناه النفي وان كان بصورة الانكار والمعنى انك لا تهلكنا بما فعل السفهاء منا فبهذا نسألك رفع المحنة بالاهلاك عنا وما فعله السفهاء هو عبادة العجل ظن موسى ع انهم اهلكوا لاجل عبادة بنى اسرائيل العجل فهم السفهاء وقيل هو سؤال الرؤية عن جماعة من المفسرين ان هي الا فتنتك معناه ان الرجفة الا اختبارك وابتلاؤك ومحنتك اي تشديدك التعبد والتكليف علينا بالصبر على ما انزلته بنا عن سعيد بن جبير وابى العالية والربيع ومثله قوله اولا يرون انهم يفتنون فى كل عام مرة او مرتين يعنى بذلك الامراض والاسقام التى شدد الله بها التعبد على عباده وانما سمى ذلك فتنة لانه يشتد الصبر عليها ومثله الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون اى تنالهم شدائد الدنيا وقيل ان المراد ان هي الا عذابك عن ابن عباس وقد سمى الله العذاب فتنة فى قوله يوم هم على النار يفتنون اى يعذبون وكانه قال ليس هذا الاهلاك الا عذابك لهم بما فعلوه من الكفر وعبادة العجل او سؤالهم الرؤية تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء اى تصيب بهذه الرجفة من تشاء وتصرفها عمن تشاء عن ابن عباس وتقديره تهلك بها من تشاء وتنجي من تشاء وقيل معناه تضل بترك الصبر على فتنتك وترك الرضا بها من تشاء عن نيل ثوابك ودخول جنتك وتهدى بالرضا بها والصبر عليها من تشاء

انت ولينا معناه انت ناصرنا والاولى بنا تحوطنا وتحفظنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين اى خير الساترين على عباده والمتجاوزين لهم عن جرائمهم

قوله تعالى واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الآخرة انا هدنا اليك قال عذابى اصيب به من اشاء ورحمتى وسعت كل شئ فساكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكوة والذين هم باياتنا يؤمنون آية القراءة فى الشواذ قراءة الحسن وعمرو الاسوارى

من اساء والقراءة المشهورة من اشاء والوجه فيه ظاهر المعنى هذا تمام ما قاله موسى عليه السلم فى دعائه واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة سال الله سبحانه ان يكتب لهم الحسنة فى الدنيا وهي النعمة وانما سميت النعمة حسنة وان كانت الحسنة اسم الطاعة لله لامرين احدهما ان النعمة تقبلها النفس كما ان الطاعة يتقبلها العقل والاخر انها ثمرة الطاعة لله وانما ذكر بلفظ الكتابة ولم يقل واجعل لنا واوجب لنا لان الكتابة اثبت وادوم يقال كتب رزق فلان فى الديوان فيدل ذلك على دوامه وثبوته على مرور الازمان وفى الاخرة معناه واكتب لنا فى الاخرة حسنة ايضا كما فى قوله ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقيل الحسنة فى الدنيا الثناء الجميل وفى الآخرة الرفعة وقيل هى فى الدنيا التوفيق للاعمال الصالحة وفى الآخرة المغفرة والرحمة انا هدنا اليك اى رجعنا بتوبتنا اليك والهود الرجوع قال الله تعالى مجيبا لموسى ع عذابى اصيب به من اشاء ممن عصانى واستحقه بعصيانه وانما علقه بالمشية لجواز الغفران فى العقل ورحمتى وسعت كل شئ قال الحسن وقتادة ان رحمته فى الدنيا وسعت البر والفاجر وهى يوم القيمة للمتقين خاصة وقال عطية العوفي وسعت كل شئ ولكن لا يجب الا للذين يتقون وذلك ان الكافر يرزق ويدفع عنه بالمؤمن لسعة رحمة الله للمؤمن فيعيش فيها فاذا صار فى الاخرة وجبت للمؤمنين خاصة كالمستضئ بنار غيره اذا ذهب صاحب السراج بسراجه وقيل معناه انها تسع كل شئ اذ دخلوها فلو دخل الجميع فيها لوسعتهم الا ان فيهم من لا يدخل فيها لضلالته وفى الحديث ان النبي صلى الله عليه وآله قال فى الاعرابى فقال اعرابي وهو فى الصلوة اللهم ارحمني ومحمدا ولا ترحم معنا احدا فلما سلم رسول الله صلى الله عليه وآله قال للاعرابي لقد تحجرت واسعا يريد رحمة الله عز وجل واورده البخاري فى الصحيح فساكتبها للذين يتقون اى فساوجب رحمتى للذين يتقون الشرك اى يجتنبونه وقيل يجتنبون الكبائر والمعاصى ويؤتون الزكوة اى يخرجون زكاة اموالهم لانه من اشق الفرائض وقيل معناه يطيعون الله ورسوله عن ابن عباس والحسن وانما ذهبا الى تزكية النفس وتطهيرها والذين هم باياتنا يؤمنون اى بحججنا وبيناتنا يصدقون وروى عن ابن عباس وقتادة وابن جريج انه لما نزلت رحمتى وسعت كل شئ قال ابليس انا من ذلك الشئ فنزعها الله من ابليس بقوله فساكتبها للذين يتقون الى آخر الآية فقالت اليهود والنصارى نحن نتقي ونؤتي الزكوة ونؤمن بايات ربنا وجعلها لهذه الامة بقوله الذين يتبعون الرسول النبي الامي

قوله تعالى الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم فى التورية والانجيل يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه اولئك هم المفلحون آية القراءة قرا ابن عامر آصارهم على الجمع والباقون اصرهم على التوحيد الحجة قال ابو على الاصر مصدر يقع على الكثير مع افراد لفظه يدل على ذلك قوله اصرهم فاضيف وهو مفرد الى الكثرة ولا يجمع وقال ربنا ولا تحمل علينا اصرا وقال ينظرون من طرف خفى ولا يرتد اليهم طرفهم فالوجه الافراد كما افرد فى غير هذا الموضع وجمعه ابن عامر كانه اراد ضروبا من المآثم مختلفة فجمع لاختلافها والمصادر تجمع اذا اختلفت ضروبها واذا كانوا قد جمعوا ما يكون ضربا واحدا كقوله هل من حلوم لاقوام فينذرهم ما جرب الناس من عضي وتضريسي فان يجمع ما يختلف من المآثم اجدر ويقوى ذلك قوله وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم والثقل مصدر كالشبع والصغر والكبر اللغة قال الزجاج اختلف اهل اللغة فى معنى قوله عزروه فى قولهم عزرت فلانا اعزره واعزره عزرا فقيل معناه رددته وقيل معناه اعنته وقيل معناه لمته ويقال عزرته بالتشديد نصرته ويقال منعت منه فمعنى عزروه منعوا اعداءه من الكفر به وقيل نصروه والمعنى قريب لان منع الاعداء منه نصرته ومعنى عزرت فلانا اذا ضربته ضربا دون الحد انه يمنعه بضربه اياه من معاودة مثل عمله ويجوز ان يكون من عزرته اى رددته فمعناه فعلت به ما يرده عن المعصية الاعراب قال الزجاج قوله يأمرهم بالمعروف يجوز ان يكون على تقدير يجدونه مكتوبا عندهم انه يأمرهم بالمعروف ويجوز ان يكون يأمرهم بالمعروف مستانفا قال ابو على لا وجه لقوله يجدونه مكتوبا انه يأمرهم ان كان المعنى ان ذلك مراد لانه لا شئ يدل على حذفه ولانا لم نعلمهم حذفوا هذا فى شئ وتفسيره وان وجدت هنا هو المتعدى الى مفعولين ومكتوبا مفعول ثان والمعنى يجدون ذكره مكتوبا عندهم فى التورية او اسمه فالمفعول الاول قام مقامه

المضاف

المضاف اليه وانما قلنا ذلك لان المكتوب هو الاسم او الذكر والمفعول الثاني فى هذا الباب يجب ان يكون الاول فى المعنى قال فاما قوله يامرهم
بالمعروف فهو عندى تفسير لما كتب كما ان قوله لهم مغفرة واجر عظيم تفسير لوعدهم وكما ان قوله خلقه من تراب تفسير للمثل فان قلت لم
لا تجعله حالا من المفعول الاول فلان ذلك ممتنع فى المعنى الا ترى ان المعنى اذا كان يجدون ذكره او اسمه مكتوبا لم يجز ان يكون يامرهم
حالا منه لان الاسم والذكر لا يامران انما يامر المذكور والمسمى ولا يجوز ان يكون مما فى مكتوب من الضمير لان الضمير هو المفعول الاول فى
المعنى المعنى ثم وصف سبحانه الذين يتقون بصفة اخرى فقال الذين يتبعون الرسول النبى اى يؤمنون به ويعتقدون نبوته يعنى نبينا
محمدا صلى الله عليه وآله الامي ذكر فى معناه اقوال احدها انه الذي لا يكتب ولا يقرا وثانيها انه منسوب الى الامة والمعنى انه على جبلة الامة قبل
استفادة الكتابة وقيل ان المراد بالامة العرب لانها لم تكن تحسن الكتابة وثالثها انه منسوب الى الام والمعنى انه على ما ولدته امه قبل
تعلم الكتابة ورابعها انه منسوب الى ام القرى وهى مكه وهو المروى عن ابى جعفر الباقر عليه السلم الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التورية
فى السفر الخامس انى سأقيم لهم نبيا من اخوتهم مثلك واجعل كلامى فى فيه فيقول لهم كلما اوصيه به وفيها ايضا مكتوب واما ابن الامة
فقد باركت عليه جدا جدا وسيلد اثنى عشر عظيما واوخره لامة عظيمة وفيها ايضا اتانا الله من سينا واشرق من ساعير واستعلن من جبال
فاران وفى الانجيل بشارة بالفارقليط فى مواضع منها نعطيكم فارقليط اخر يكون معكم آخر الدهر كله وفيه ايضا قول المسيح للحواريين
انا اذهب وسيأتيكم الفارقليط روح الحق الذي لا يتكلم من قبل نفسه انه نذيركم بجميع الخلق ويخبركم بالامور المزمعة ويمدحنى ويشهد
لى وفيه ايضا انه اذا جاء فند اهل العالم يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر يجوز ان يكون هذا مكتوبا فى التورية والانجيل فيكون
موصولا بما قبله وبيانا لمن يكتب له رحمة الولاية والمحبة ويجوز ان يكون ابتداء من قول الله تعالى مدحا للنبى صلى الله عليه وآله والمعروف
الحق والمنكر الباطل معروف الصحة فى العقول والباطل منكر الصحة فى العقول وقيل المعروف مكارم الاخلاق وصلة الارحام والمنكر
عبادة الاوثان وقطع الارحام عن ابن عباس وهذا القول داخل فى القول الاول ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث معناه يبيح
لهم المستلذات الحسنة ويحرم عليهم القبائح وما تعافه الانفس وقيل يحل لهم ما اكتسبوه من وجه طيب ويحرم عليهم ما اكتسبوه من
وجه خبيث وقيل يحل لهم ما حرمه عليهم رهبانهم واحبارهم وما كان يحرمه اهل الجاهلية من البحاير والسوائب وغيرها ويحرم عليهم
الميتة والدم ولحم الخنزير وما ذكر معها ويضع عنهم اصرهم اى ثقلهم شبه ما كان على بنى اسرائيل من التكليف الشديد بالثقل وذلك ان
الله سبحانه جعل توبتهم ان يقتل بعضهم بعضا وجعل توبة هذه الامة الندم بالقلب حرمة للنبى صلى الله عليه وآله عن الحسن وقيل الاصر
هو العهد الذي كان الله سبحانه اخذه على بنى اسرائيل ان يعملوا بما فى التورية عن ابن عباس والضحاك والسدي ويجمع المعنيين قول
الزجاج الاصر ما عقدته من عقد ثقيل والاغلال التى كانت عليهم معناه ويضع عنهم العهود التى كانت فى ذمتهم وجعل تلك العهود
بمنزلة الاغلال ما امتحنوا به من قتل نفوسهم فى التوبة وقرض ما يصيبه البول من اجسادهم وما اشبه ذلك من تحريم السبت وتحريم
العروق والشحوم وقطع الاعضاء الخاطية ووجوب القصاص دون الدية عن اكثر المفسرين فالذين آمنوا به اى بهذا النبى وصدقوه فى نبوته
وعزروه اى عظموه ووقروه ومنعوا عنه اعداءه ونصروه عليهم واتبعوا النور معناه القرآن الذي هو نور فى القلوب كما ان الضياء نور
فى العيون ويهتدى به الخلق فى امور الدين كما يهتدون بالنور فى امور الدنيا الذي انزل معه وقد يقوم مع مقام على كما يقوم على مقام
مع وقيل معناه انزل فى زمانه وعلى عهده ويروى ان النبى صلى الله عليه وآله قال لاصحابه اي الخلق اعجب ايمانا قالوا الملئكة فقال عليه السلم
الملائكة عند ربهم فما لهم لا يؤمنون قالوا فالنبيون قال النبيون يوحى اليهم فما لهم لا يؤمنون قالوا فنحن يا نبى الله قال انا فيكم فما لكم
لا تؤمنون انما هم قوم يكونون بعدكم يجدون كتابا فى ورق فيؤمنون به فهو معنى قوله واتبعوا النور الذي انزل معه اولئك هم المفلحون
اي الظافرون بالمراد الناجون من العقاب الفائزون بالثواب قوله تعالى قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ آية
الاعراب جميعا نصب على الحال من ضمير المخاطب الذي عمل حرف الاضافة فيه والعامل فى الحال معنى الفعل فى رسول الا انه لا يجوز ان يتقدم
على حرف الاضافة لانه قد صار بمنزلة العامل المعنى ثم امر الله سبحانه نبينا صلى الله عليه وآله ان يخاطب جميع الخلق من العرب والعجم

فقال قل يا ايها الناس انى رسول الله ارسلني اليكم جميعا ادعوكم الى توحيده وطاعته واتباعي فيما اوديه اليكم وانما ذكر جميعا للتاكيد وليعلم انه
مبعوث الى الكافة الذي له ملك السموات والارض معناه الذي له التصرف فى السموات والارض من غير دافع ومنازع لا اله الا هو اي لا معبود الا هو
ولا شريك له فى الالهية يحيى الاموات ويميت الاحياء لا يقدر احد على الاحياء والاماتة سواه لانه لو قدر احد على الاماتة لقدر على الاحياء
فان من شان القادر على الشيء ان يكون قادرا على ضده فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله يعني لم يأمركم بالايمان حتى آمن هو
اولا وعليه زيادة التكليف من اداء الرسالة وبيان الشرايع والقيام بالدعوة وكلماته اى يؤمن بكلماته من الكتب المتقدمة والوحي والقرآن
واتبعوه لعلكم تهتدون اى لكى تهتدوا الى الثواب والجنة قوله تعالى وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ۝ وَقَطَّعْنَاهُمُ
اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ
كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝
اللغة قال الازهري السبط الفرقة لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث وقد جمع فقيل اسباط واشتقاقها من السبط وهو شجر الواحدة سبطة
ورجل سبط الشعر وامراة سبطة وقد سبط شعره سبوطة وهو الذي لا جعودة فيه ورجل سبط الاصابع طويلها وسبط الكف سمحها ومطر
سبط وسبط متدارك وسباطته سعته والسبط فى كلام العرب خاصة الاولاد قال الزجاج قال بعضهم السبط القرن الذي يجي بعد قرن
والصحيح ان الاسباط فى ولد اسحق بمنزلة القبايل فى ولد اسمعيل فولد كل ولد من اولاد يعقوب سبط وولد كل ولد من اولاد اسمعيل قبيلة
وانما سموا هؤلاء بالقبايل وهؤلاء بالاسباط ليفصل بين ولد اسمعيل وولد اسحق عليهم السلم ومعنى القبيلة الجماعة ويقال للشجرة لها قبايل وكذلك
الاسباط من السبط كانه جعل اسحق بمنزلة شجرة وجعل اسمعيل بمنزلة شجرة وكذلك يفعل النسابون فى النسب يجعلون الوالد بمنزلة الشجرة
والاولاد بمنزلة اغصانها ويقال طوبى لفرع فلان وفلان من شجرة صالحة فهذا معنى الاسباط والسبط الاعراب [illegible] عشرة اسباطا يعني اثنتى
عشرة فرقة فحذف المميز ولذلك انث واسباطا بدل من اثنتى عشرة تقديره وفرقناهم اسباطا وجعلناهم اسباطا ويجوز كسر الشين فى عشرة
وهو قراءة الاعمش ويحيى بن وثاب وامما نعت الاسباط المعنى ثم عاد الكلام الى قصة بنى اسرائيل فقال سبحانه ومن قوم موسى امة يهدون بالحق
اى جماعة يدعون الى الحق ويرشدون اليه وبه يعدلون اى وبالحق يحكمون ويعدلون فى حكمهم واختلف فى هذه الامة من هم على اقوال احدها
انهم قوم من وراء الصين وبينهم وبين الصين وادجار من الرمل لم يغيروا ولم يبدلوا عن ابن عباس والسدي والربيع والضحاك وعطاء وهو
المروي عن ابي جعفر الباقر ع قالوا وليس لاحدهم مال دون صاحبه يمطرون بالليل ويصحون بالنهار ويزرعون لا يصل اليهم منا احد ولا منهم الينا
وهم على الحق قال ابن جريج بلغني ان بنى اسرائيل لما قتلوا انبياءهم وكفروا وكانوا اثنى عشر سبطا تبرأ سبط منهم مما صنعوا واعتذروا وسألوا الله
تعالى ان يفرق بينهم وبينهم ففتح الله لهم نفقا من الارض فساروا فيه سنة ونصف سنة حتى خرجوا من وراء الصين فهم هنالك [illegible] مسلمون
يستقبلون قبلتنا وقيل ان جبرئيل انطلق بالنبي صلى الله عليه وآله ليلة المعراج اليهم فقرأ عليهم من القرآن عشر سور نزلت بمكة فآمنوا به وصدقوه
وامرهم ان يقيموا مكانهم ويتركوا السبت وامرهم بالصلوة والزكوة ولم تكن نزلت فريضة غيرها ففعلوا قال ابن عباس وذلك قوله وقلنا من بعده
لبنى اسرائيل اسكنوا الارض فاذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا يعني عيسى بن مريم يخرجون معه وروى اصحابنا انهم يخرجون مع قايم آل محمد
عليهم وروي ان ذا القرنين رآهم وقالوا لو امرت بالمقام لسرني ان اقيم بين اظهركم وثانيها انهم قوم من بنى اسرائيل تمسكوا بالحق وبشريعة موسى ع
فى وقت ضلالة القوم وقتلهم انبياءهم وكان ذلك قبل نسخ شريعتهم بشريعة عيسى عليه فيكون تقدير الآية ومن قوم موسى امة كانوا يهدون
بالحق عن ابي على الجبائي وانكر القول الاول وقالوا لو كانوا باقين لكانوا كافرين بجحد نبوة محمد صلى الله عليه وآله وليس هذا بشيء لانه لا يمتنع
ان يكون قوم لم يبلغهم دعوة النبي فلا يحكم بكفرهم ويمكن ان يكون بلغهم خبر النبوة وآمنوا وثالثها انهم الذين آمنوا بالنبي صلى الله عليه وآله مثل
عبد الله بن سلام وابن صوريا وغيرهم وفى حديث ابي حمزة الثمالي والحكم بن ظهير ان موسى عليه السلم لما اخذ الالواح قال رب انى اجد فى
الالواح امة هي خير امة اخرجت للناس يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر فاجعلهم امتي قال تلك امة محمد قال رب انى اجد فى الالواح
امة هم الآخرون فى الخلق السابقون فى دخول الجنة فاجعلهم امتي قال تلك امة محمد قال رب انى اجد فى الالواح امة كتبهم فى صدورهم يقرؤنها
فاجعلهم امتي قال تلك امة احمد قال رب فانى اجد فى الالواح امة يؤمنون بالكتاب الاول والكتاب الآخر ويقاتلون الاعور الكذاب فاجعلهم

عشر

امتي

امتى قال تلك امة احمد قال رب انى اجد فى الالواح امة اذا هم احدهم بحسنة ثم لم يعملها كتبت له حسنة وان عملها كتبت له عشر امثالها
وان هم بسيئة ولم يعملها لم يكتب عليه وان عملها كتبت عليه سيئة واحدة فاجعلهم امتى قال تلك امة محمد قال رب انى اجد فى الالواح
امة هم الشافعون وهم المشفوع لهم فاجعلهم امتى قال تلك امة احمد قال موسى ع رب اجعلنى من امة احمد قال ابو حمزة فاعطى موسى ايتين
لم يعطها يعنى امة محمد قال الله يا موسى انى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى وقال ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون
قال فرضى موسى كل الرضا وفى حديث عن ابى حمزة قال النبى عليه السلم لما قرا وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون هذه لكم وقد اعطى الله
قوم موسى مثلها وقطعناهم اثنتى عشرة اسباطا اى وفرقنا بنى اسرائيل اثنتى عشرة فرقة اسباطا يعنى اولاد يعقوب عليهم السلم فانهم كانوا
اثنى عشر وكان لكل واحد منهم اولاد ونسل فصار كل فرقة منهم سبطا وامة وانما جعلهم سبحانه امما ليتميزوا فى مشربهم ومطعمهم ويرجع كل امة منهم
الى رئيسهم فيخف الامر على موسى ع ولا يقع بينهم اختلاف وتباغض واوحينا الى موسى اذ استسقه قومه اى طلبوا منه السقيا ان اضرب
بعصاك الحجر فانبجست الانبجاس خروج الماء الجارى بقلة والانفجار خروجه بكثرة وكان يبتدى الماء من الحجر بقلة ثم يتسع حتى يصير الى الكثرة
فلذلك ذكر ههنا الانبجاس وفى سورة البقرة الانفجار والاية الى اخرها مفسرة هناك فلا معنى لاعادته قوله تعالى واذ قيل لهم اسكنوا هذه
القرية وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا نغفر لكم خطاياكم سنزيد المحسنين فبدل الذين ظلموا منهم
قولا غير الذى قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون آيتان القراءة قرا اهل المدينة وابن عامر ويعقوب وسهل تغفر
بالتاء وضمها وفتح الفاء والباقون نغفر بالنون وكسر الفاء وقرا اهل المدينة ويعقوب وسهل خطيئاتكم على جمع السلامة ورفع التاء وقرا ابن
عامر خطيئتكم بالتوحيد ورفع التاء وقرا ابو عمرو خطاياكم بغير همز على جمع التكسير والباقون خطيئاتكم على جمع السلامة وكسر التاء الحجة
من قرا نغفر بالنون فهو على واذ قيل لهم ادخلوا نغفر لكم اى ان دخلتم غفرنا والتى فى البقرة نغفر والنون هناك احسن لقوله واذ قلنا واما قراءة
من قرا تغفر بالتاء مضمومة فلانه قد اسند اليها خطيئاتكم وهو مؤنث فانث وبنى الفعل للمفعول وهو اشبه بقوله واذ قيل لهم وقد مضى تفسير
مثل هاتين الايتين فى سورة البقرة فلا وجه لاعادته قوله تعالى واسئلهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر اذ يعدون فى السبت اذ
تاتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تاتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون واذ قالت امة منهم لم تعظون
قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون آيتان القراءة قرا حفص
معذرة بالنصب والباقون بالرفع وروى فى الشواذ عن شهر بن حوشب وابى نهيك يعدون وعن الحسن يسبتون بضم الياء الحجة
من قرا معذرة بالرفع فتقديره موعظتنا معذرة فيكون خبر مبتدا محذوف ومن قرا بالنصب فعلى معنى نعتذر معذرة وقال سيبويه لو قال رجل
لرجل معذرة الى الله واليك من كذا وكذا لنصب ومن قرا يعدون اراد يعتدون فاسكن التاء ليدغمها فى الدال ونقل فتحها الى العين فصار
يعدون ومن قرا يسبتون فمعناه يدخلون فى السبت كما يقال اشهرنا دخلنا فى الشهر واجمعنا دخلنا فى الجمعة ومن فتح الياء اراد يفعلون
السبت ويقيمون على يوم السبت فالسبت على هذا فعلهم تقول سبت يسبت سبتا اذا عظم يوم السبت اللغة حيتان جمع حوت واكثر
ما تسمى العرب السمك الحيتان والنينان وعدا فلان يعدو عدوا وعدوانا وعداء وعدوا وعدوا ظلم واصله مجاوزة الحد والشرع اصله الظهور
ومنه الشرعة والشريعة وهو الطاهر المستقيم من المذاهب ومنه المشرعة والشريعة لكونهما فى مكان ظاهر من النهر ومنه شراع السفينة
لظهورها والمعذرة والعذر والعذرى والعذرة واحد مصدر عذرته اعذره والمعذر الذى له عذر صحيح والمعذر بالتشديد الذى لا
عذر له وهو يريد انه معتذر وهو المقصر والمعتذر يقال لمن له عذر ولمن لا عذر له وقوله من يعذرنى معناه من يقوم بعذرى الاعراب
اذ يعدون موضع اذ نصب على معنى سلهم عن عدوهم اى عن وقت ذلك اذ تاتيهم فى موضع نصب ايضا بيعدون المعنى سلهم اذ عدوا
وقت الاتيان شرعا نصب على الحال من الحيتان وموضع الكاف من كذلك نبلوهم نصب بنبلوهم ويحتمل ان يكون على ويوم لا يسبتون لا
[illegible]هم كذلك اى لا تاتيهم شرعا فيكون الكاف فى موضع نصب على الحال من ياتيهم ويكون نبلوهم مستانفا والاول اجود ولم تعظون اصله لما
[illegible]لكن هذه الالف [illegible] الجر يقول م وفيم وعلام وعم المعنى ثم ابتدا سبحانه بخبر اخر من اخبار بنى اسرائيل فقال مخاطبا لنبيه صلى
الله عليه وآله و[illegible] محمد وهو سؤال توبيخ وتقرير لا سؤال استفهام عن القرية التى كانت حاضرة البحر اى مجاورة البحر وقريبة

ع ١٠

نصف جزء ٩

من البحر على شاطئ البحر وهي ايلة عن ابن عباس وقيل هي مدين عنه ايضا وقيل الطبرية عن الزهري اذ يعدون في السبت اي يظلمون فيه بصيد
السمك ويجاوزون الحد في امر السبت اذ تاتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا اي ظاهرة على وجه الماء عن ابن عباس وقيل متتابعة عن الضحاك
وقيل رافعة رؤسها قال الحسن كانت تشرع على ابوابهم مثل الكباش البيض لانها كانت امنة يومئذ ويوم لا يسبتون لا تاتيهم اي ويوم لا
يكون السبت كانت تغوص في الماء واختلف في انهم كيف اصطادوا فقيل انهم القوا الشبكة في الماء يوم السبت حتى كان يقع فيها السمك ثم كانوا
لا يخرجون الشبكة من الماء الا يوم الاحد وهذا تسبب محظور في رواية عكرمة عن ابن عباس اتخذوا الحياض فكانوا يسوقون الحيتان اليها ولا يمكنها
الخروج منها فيأخذونها يوم الاحد وقيل انهم اصطادوها وتناولوها باليد في يوم السبت عن الحسن كذلك نبلوهم اي مثل ذلك الاختبار الشديد
نختبرهم بما كانوا يفسقون اي بفسقهم وعصيانهم وعلى المعنى الاخر لا تاتيهم الحيتان مثل ذلك الاتيان الذي كان منها يوم السبت ثم استأنف
فقال نبلوهم واذ قالت امة اي جماعة منهم من بني اسرائيل الذين لم يصطادوا وكانوا ثلث فرق فرقة قانصة وفرقة ساكنة وفرقة واعظة فقال
الساكتون للواعظين والناهين لم تعظون قوما الله مهلكهم اي يهلكهم الله ولم يقولوا ذلك كراهية لوعظهم ولكن لاياسهم عن ان يقبلوا اولئك
القوم الوعظ فان الامر بالمعروف انما يجب عند عدم الاياس من القبول عن الجبائي ومعناه ما ينفع الوعظ ممن لا يقبل والله مهلكهم في الدنيا بمعصيتهم
او معذبهم عذابا شديدا في الاخرة قالوا اي قال الواعظون في جوابهم معذرة الى ربكم معناه موعظتنا اياهم معذرة الى الله وتادية لفرضه في النهي
عن المنكر لئلا يقول لنا لم لم تعظوهم ولعلهم بالوعظ يتقون ويرجعون **قوله تعالى** فلما نسوا ما ذكروا به انجينا الذين ينهون عن السوء
واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون ● فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين ● آيتان
القراءة قرا اهل المدينة بعذاب بيس بكسر الباء غير مهموز على وزن فعل وقرا ابن عامر بئس مهموز على وزن فعل ايضا وقرا ابو بكر غير حماد بيئس
على وزن فيعل والباقون بئيس على وزن فعيل وروي في الشواذ عن ابن عباس بئس على وزن فعيل وعن زيد بن ثابت بئس على وزن فعل وعن
يحيى والسلمي بخلاف بئس وعن طلحة بن مصرف بيس وروي ايضا عن نافع وروي عن مجاهد بائس على وزن فاعل وعن الحسن بئس بكسر الباء
وفتح السين الحجة قال ابو علي من قرا بئيس فانه يحتمل امرين ان يكون فعيلا من بؤس يبؤس اذا كان شديد البأس فيكون مثل بعذاب شديد وان
يكون مصدرا على فعيل نحو النذير والنكير وقولهم عذير الحي من عدوان كانوا حية الارض فوصف بالمصدر والتقدير بعذاب ذي بئس اي ذي بؤس
ومن قرا بعذاب بئس فانه جعل بئس الذي هو فعل اسما فوصف به ومثل ذلك قوله ان الله ينهى عن قيل وقال ومثله مذ شب الى دب ومذ شب
الى دب فلما استعملت هذه الالفاظ اسما وافعالا فكذلك بئس جعله اسما بعد ان كان فعلا فصار وصفا ومن قرا بئيس فانه يكون وصفا مثل ضيغم
وحيدر قال ولا يجوز كسر العين منه لان فيعل بناء اختص به ما كان عينه ياء او واوا مثل سيد وطيب ولم يجئ مثل ضيغم وقد جاء في المعتل فيعل
انشد سيبويه ما بال عينك كالشعيب العين فينبغي ان يحمل بئس من رواه على الوهم قال ابن جني وكانها انما جاء في الهمزة لمشابهتها حرف العلة
واما بئس على فعل فانه جاء على بئس الرجل باسة اذا شجع فكانه عذاب معدم عليهم غير متاخر عنهم ويجوز ان يكون مقصورا من بئيس فيكون مثل
انق من انيق واما بيس في وزن حيس فكانه اراد بئس فخفف الهمزة فصارت بين بين فلما قاربت الياء اسكنها طلبا للخفة فصارت في اللفظ
ياء ونحو من ذلك قول ابن سيادة وكان يومئذ لها حكمها اراد يومئذ فخفف واما بائس فاسم الفاعل من بئس وانكر ابو حاتم قراءة الحسن بئس
وقال لو كان كذا لما كان بد معها من ما بئس ما كنعم ما اللغة قال ابو زيد يقال بؤس الرجل يبؤس بأسا اذا كان شديد البأس وفي البؤس
وهو الفقر بأس الرجل يبأس بؤسا وبئسا وبأساء والبأساء الاسم والعتو الخروج الى الفحش في الذنوب والعاتي المبالغ في المعاصي والليل العاتي
الشديد الظلمة والخاسي المطرود المبعد عن الخير من خسأت الكلب اذا اقصيته فخسأ اي بعد المعنى فلما نسوا ما ذكروا به اي فلما ترك اهل
هذه القرية ما ذكرهم الواعظون به ولم ينتهوا عن ارتكاب المعصية بصيد السمك انجينا الذين ينهون عن السوء اي خلصنا الذين نهوا عن
المعصية واخذنا الذين ظلموا انفسهم بعذاب بئيس اي شديد بما كانوا يفسقون اي بفسقهم وذلك العذاب لحقهم قبل ان مسخوا قردة عن الجبائي
ولم يذكر حال الفرقة الثالثة هل كانت من الناجية ام الهالكة وروي عن ابن عباس فيهم ثلثة اقوال احدها ان نجت الفرقتان وهلكت الثالثة
وبه قال السدي والثاني انه هلكت الفرقتان ونجت الفرقة الناهية وبه قال ابن زيد وروي ذلك عن ابي عبد الله عم والثالث التوقف فيه وروي
عن عكرمة قال دخلت على ابن عباس وبين يديه المصحف وهو يبكي ويقرا هذه الاية ثم قال قد علمت ان الله تعالى اهلك الذين اخذوا الحيتان

وانجى الذين نهوهم ولا ادري ما صنع بالذين لم ينهوهم ولم يواقعوا المعصية وهذه حالنا واختاره الجبائي وقال الحسن انه نجت الفرقة الثالثة لانه ليس
شئ ابلغ فى الامر بالمعروف والوعظ من ذكر الوعيد وهم قد ذكروا الوعيد فقالوا الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا وقال قتل المؤمن اعظم والله
من اكل الحيتان فلما عتوا عما نهوا عنه اى عن ترك ما نهوا عنه يعنى لم يتركوا ما نهوا عنه وتمردوا فى الفساد والجرأة على المعصية وابوا ان يرجعوا
عنها قلنا لهم كونوا قردة اى جعلناهم قردة خاسئين مبعدين مطرودين وانما ذكر كن ليدل على انه سبحانه لا يمتنع عليه شئ واجاز الزجاج ان يكون
قيل لهم ذلك بكلام سمعوه فيكون ذلك ابلغ فى الاية النازلة بهم وحكي ذلك عن ابى الهذيل قال قتادة صاروا قردة لها اذناب تعاوى بعد ان
كانوا رجالا ونساء وقيل انهم بقوا ثلثة ايام ينظر اليهم الناس ثم هلكوا ولم يتناسلوا عن ابن عباس قال ولم يمكث مسخ فوق ثلثة ايام وقيل عاشوا
سبعة ايام ثم ماتوا عن مقاتل وقيل انهم توالدوا عن الحسن وليس بالوجه لان من المعلوم ان القردة ليست من اولاد آدم كما ان الكلاب
ليست منهم وورد الرواية عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله ان الله تعالى لم يمسخ شيئا فجعل له نسلا وعقبا القصة
قيل كانت هذه القصة فى زمن داود عليه السلام وعن ابن عباس قال امروا باليوم الذي امرتم به يوم الجمعة فتركوه واختاروا يوم السبت فابتلوا
به وحرم عليهم فيه الصيد وامروا بتعظيمه وكانت الحيتان تأتيهم يوم السبت شرعا بيضا سمانا حتى لا يرى الماء من كثرتها فمكثوا كذلك ما شاء الله
لا يصيدون ثم اتاهم الشيطان وقال انما نهيتم عن اخذها يوم السبت فاتخذوا الحياض والشبكات فكانوا يسوقون الحيتان اليها يوم
السبت ثم ياخذونها يوم الاحد وعن ابن زيد قال اخذ رجل منهم حوتا وربط فى ذنبه خيطا وشده الى الساحل ثم اخذه يوم الاحد وشواه فلام
على ذلك فلما لم ياته العذاب اخذوا ذلك واكلوه وباعوه وكانوا نحوا من اثني عشر الفا فصار الناس ثلث فرق على ما تقدم ذكره فاعتزلتهم
الفرقة الناهية ولم تساكنهم فاصبحوا يوما ولم يخرج من العاصية احد فنظروا فاذا هم قردة ففتحوا الباب فدخلوا فكانت القردة تعرفهم
وهم لا يعرفونها فجعلت تبكي فاذا قالوا لهم الم ننهكم قالت برؤسها نعم قال قتادة صارت الشبان قردة والشيوخ خنازير قوله تعالى

وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي
الْأَرْضِ أُمَمًا مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ آيتان الاعراب ومنهم دون ذلك دون فى موضع

الرفع بالابتداء ولكنه جاء منصوبا للتمكنه فى الظرفية ومثله على قول ابى الحسن لقد تقطع بينكم هو فى موضع الرفع وجاء منصوبا لهذا المعنى
وكذلك فى قوله يوم القيمة يفصل بينكم بين فى موضع رفع لقيامه مقام الفاعل وان شئت كان التقدير ومنهم جماعة دون ذلك فحذف
الموصوف وقامت صفته مقامه المعنى ثم خاطب سبحانه النبى صلى الله عليه وآله فقال واذ تاذن ربك معناه واذكر يا محمد اذ آذن واعلم ربك
فان تاذن واذن بمعنى وقيل معناه تالى ربك اى اقسم القسم الذي يسمع بالاذن وقيل معناه قال ربك عن ابن عباس ليبعثن عليهم اى على
اليهود الى يوم القيمة من يسومهم سوء العذاب اى يذيقهم ويوليهم شدة العذاب بالقتل واخذ الجزية منهم والمعنى به امة محمد صلى الله عليه وآله
عند جميع المفسرين وهو المروي عن ابى جعفر عليه السلام وهذا يدل على ان اليهود لا تكون لهم دولة الى يوم القيمة ولا عز واما معنى البعث ههنا فهو الامر
والاطلاق والمعونة وقيل معناه التخلية وان وقع على وجه المعصية كقوله سبحانه انا ارسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم ازا ان ربك لسريع
العقاب لمن يستوجبه على الكفر والمعصية وانه لغفور رحيم ظاهر المعنى وانما قال سريع العقاب وان كان العقاب مؤخرا الى يوم القيمة لان
كل آت فهو قريب وقيل معناه سريع العقاب لمن شاء ان يعاقبه فى الدنيا وقطعناهم فى الارض امما معناه وفرقناهم فى البلاد فرقا مختلفة
وجماعات شتى يعنى اليهود عن ابن عباس ومجاهد وانما فرقهم بان فرق دواعيهم حتى افترقوا فى البلاد وتفرقهم ذل لهم بمنزلة اخذ الجزية لانهم
لا يتعاونون ولا يتناصرون وقيل انه فرقهم لما علم سبحانه من الصلاح لهم فى دينهم فصلح فريق وعصى فريق ثم اخبر عنهم فقال منهم الصالحون
اى من هؤلاء الصالحون يعنى من بنى اسرائيل وهم الذين يؤمنون بالله ورسله ويطيعونه ومنهم دون ذلك اى دون الصالحين فى الدرجة
والمنزلة وهم الذين امتثلوا بعض الاوامر دون بعض وعملوا بعض المعاصى وانما وصفهم بما كانوا عليه قبل ارتدادهم وكفرهم وذلك قبل
ان يبعث فيهم عيسى عليه السلام وقيل معناه منهم المؤمنون بمحمد وعيسى عليهما السلام ومنهم الكافرين عن عطاء ومجاهد وبلوناهم بالحسنات
والسيئات معناه اختبرناهم بالرخاء والعيش والخفض فى الدنيا والدعة والسعة فى الرزق وبالشدائد فى العيش والمصائب فى الانفس
والاموال وكانه قال بلوناهم بالنعم والنقم والرخاء والشدة فان فعل النعم تقتضى الرغبة الى الله تعالى فى ارتباطها وفعل النقم يقتضى

الرغبة الى الله فى كشفها لعلهم يرجعون اى لكى يرجعوا الى الله تعالى ويتوبوا الى طاعته وامتثال امره ومتى قيل كيف يصح الرجوع الى امر لم يكونوا عليه قط فالقول فيه ان الذاهب عن الشئ قد يقال له ارجع اليه اى صر اليه كما ان من رأى غيره سالكا فى المهالك قد يقول له ارجع الى الطريق المستقيم يريد به اخراجه من المهالك وقيل ان معناه لعلهم يرجعون الى ما عليه اصل الفطرة قوله تعالى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا وان يأتهم عرض مثله يأخذوه الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق ودرسوا ما فيه والدار الآخرة خير للذين يتقون افلا تعقلون والذين يمسكون بالكتاب واقاموا الصلوة انا لا نضيع اجر المصلحين آيتان القراءة قرا ابو بكر يمسكون بتسكين الميم والباقون بفتحها وتشديد السين وهما بمعنى واحد فى الشواذ قراءة السلمى وادارسوا ما فيه اراد تدارسوا فادغم الحجة قال الزجاج يقال للقرن الذى يجئ اثر قرن خلف والخلف ما اخلف عليك بدلا مما ذهب منك قال الفراء يقال هو خلف صدق وخلف سوء قال لبيد ذهب الذين يعاش فى اكنافهم وبقيت فى خلف كجلد الاجرب قال على بن عيسى قد يوضع احدهما مكان الاخر قال حسان لنا القدم الاولى اليك وخلفنا لاولنا فى طاعة الله تابع والاغلب بالفتح ان يستعمل فى المدح والعرض ما يعرض ويقل لبثه ومنه سمى العرض القايم بالجسم عرضا لانه يعرض فى الوجود ولا يجب له من اللبث ما للاجسام والدرس تكرير الشئ ويقال درس الكتاب اذا كرر قراءته ودرس المنزل اذا تكرر مرور الامطار والرياح عليه حتى انمحى اثره وامسك ومسك وتمسك واستمسك بالشئ بمعنى واحد اى اعتصم به الاعراب يأخذون عرض هذا الادنى فى موضع النصب على الحال من الضمير فى ورثوا وقوله ورثوا صفة لخلف ودرسوا ما فيه عطف على ورثوا وقوله الم يؤخذ عليهم الى قوله الا الحق اعتراض بين ورثوا ودرسوا ولا يجوز الوقف من اول الاية الا على قوله ما فيه وخبر الذين يمسكون قوله انا لا نضيع اجر المصلحين منهم فحذف منهم لدلالة الكلام عليه كما فى قوله السمن منوان بدرهم ويحتمل ان يكون التقدير لا نضيع اجرهم لان المصلحين هم الذين يمسكون بالكتاب فى المعنى ويجوز ان يكون الخبر محذوفا وتقديره نعطيهم اجرهم لانا لا نضيع اجر المصلحين فاستغنى بذكر العلة عن ذكر المعلول المعنى ثم ذكر سبحانه الاخلاف بعد ذكر الاسلاف فقال فخلف من بعدهم خلف معناه فذهب اولئك وقام مقامهم قوم آخرون ورثوا الكتاب يعنى التورية فان الميراث ما صار للباقى من جهة البادى يأخذون عرض هذا الادنى معناه ما اشرف لهم من الدنيا اخذوه عن ابن عباس يقال الدنيا عرض حاضر يأكل منه البر والفاجر وجميع متاع الدنيا عرض وقيل انهم كانوا يرتشون ويحكمون بجور وقيل انهم كانوا يرتشون ويحكمون بحق وكل ذلك عرض خسيس واراد بقوله هذا الادنى هذا العاجل وقيل اراد عرض هذا العالم الادنى وهو الدار الفانية ويقولون سيغفر لنا وهذا اخبار عن حرصهم على الدنيا واصرارهم على الذنوب اذا اشرف لهم شئ من الدنيا اخذوه حلالا كان او حراما ويتمنون على الله المغفرة وان يأتهم عرض مثله يأخذوه اى وان وجدوا من الغد مثله اخذوه وهذا دليل على اصرارهم وانهم تمنوا المغفرة مع الاصرار وقيل معناه ان الحلال حرام من الرشوة وغيرها بعد ذلك اخذوه واستحلوه ولم يرتدعوا عنه عن ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وقيل معناه لا يشبعهم شئ عن الحسن الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق معناه الم يؤخذ على هؤلاء المرتشين فى الاحكام القائلين سيغفر لنا اذا عوتبوا على ذلك الميثاق ان لا يقولوا على الله الا الحق معناه الم فى التورية ان لا يكذبوا على الله تعالى ولا يضيفوا اليه الا ما انزله على رسوله موسى ع فى التورية من الوعد والوعيد وغير ذلك وليس فيها ميعاد المغفرة مع الاصرار ودرسوا ما فيه اى وقرأوا ما فيه فهم ذاكرون لذلك وقيل انه معطوف على قوله ورثوا الكتاب والمعنى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ودرسوا ما فيه فضيعوه وتركوا العمل به والدار الآخرة خير للذين يتقون معناه ما اعده الله لاوليائه فى الدار الآخرة من النعيم والثواب للعاملين بطاعته خير للذين يجتنبون معاصى الله افلا تعقلون من قرا بالياء فمعناه افلا يعقل هذه الطايفة ومن قرا بالتاء فمعناه قل لهم افلا تعقلون ان الامر على ما اخبر الله به والذين يمسكون بالكتاب اى يتمسكون به والكتاب التورية اى لا يحرفونه ولا يكتمونه عن مجاهد وابن زيد وقيل الكتاب القرآن والمتمسك به امة محمد صلى الله عليه وآله عن عطاء واقاموا الصلوة انما خص الصلوة بالذكر لجلالة موقعها وشدة تأكدها انا لا نضيع اجر المصلحين اى لا نضيع جزاء عملهم ونوفيهم على ما يستحقونه

واذ نتقنا الجبل فوقهم كانه ظلة وظنوا انه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون آية اللغة النتق قلع الشئ من الاصل وكل شئ قلعته ثم رميت به فقد نتقته ومنه قيل للمراة الكثيرة الاولاد

نصف عشر جزء ٩

ع ١١

ناتق

ناتق لانها ترمي بالاولاد رميا هذا قول ابي عبيدة وقيل اصل النتق الرفع ومنه امراة ناتق لرفعها الاولاد ونتقت المراة فهي ناتق ومنتاق اذا كثر ولدها وهو قول ابن الاعرابي وقيل اصل النتق الجذب نتقت الغرب من البئر جذبته عن ابي مسلم الظلة كل ما اظلك اي سترك من سقف او سحابة او جناح حايط المعنى عاد الكلام الى قوم موسى عليه السلم فقال سبحانه واذ نتقنا الجبل فوقهم معناه واذكر يا محمد اذ قلعنا الجبل من اصله ورفعناه فوق بني اسرائيل وكان عسكر موسى فرسخا في فرسخ فرفع الله الجبل فوق جميعهم كانه ظلة اي غمامة وقيل سقيفة عن عطاء وظنوا انه واقع بهم اي علموا او ايقنوا عن الحسن وقيل معناه على ظاهره من الظن اي قوي في نفوسهم ذلك عن الرماني والجبائي خذوا اي وقلنا لهم خذوا ما اتيناكم بقوة اي خذوا ما الزمناكم من احكام كتابنا وفرايضه فاقبلوه بجد واجتهاد منكم في كل اوان من غير تقصير ولا توان واذكروا ما فيه من العهود والمواثيق التي اخذناها عليكم بالعمل بما فيه لعلكم تتقون اي لكي تتقوا ربكم وتخافوا عقابه وقد مضى تفسير هذه الاية في سورة البقرة مشروحا قوله تعالى واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين • او تقولوا انما اشرك اباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم افتهلكنا بما فعل المبطلون • وكذلك نفصل الايات ولعلهم يرجعون • ثلث آيات القراءة قرا ابن كثير واهل الكوفة ذريتهم على التوحيد والباقون ذرياتهم على الجمع وقرا ابو عمرو ان يقولوا او يقولوا بالياء والباقون بالتاء الحجة قال ابو علي الذرية قد تكون جمعا وقد يكون واحدا فمما جاء فيه جمعا قوله وكنا ذرية من بعدهم وذرية من حملنا مع نوح فمن افرد جعله جمعا فاستغنى عن جمعه لوقوعه على الجمع ومما جاء فيه واحدا قوله رب هب لي من لدنك ذرية طيبة ثم قال ان الله يبشرك بيحيى فهذا مثل قوله هب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من ال يعقوب واما قراءة ابي عمرو ان يقولوا بالياء فلان الذي تقدم من الكلام على الغيبة ومن قرا بالتاء فلانه جرى في الكلام خطاب ايضا فقال الست بربكم وكلا الوجهين حسن لان الغيب هم المخاطبون في المعنى الاعراب من ظهورهم بدل من قوله من بني ادم والمعنى اخذ ربك من ظهور بني آدم ذريتهم وقد ذكرنا الذرية وما قيل في تقديرها واشتقاقها فيما تقدم وقوله ان تقولوا تقديره كراهة ان تقولوا او لئلا يقولوا وقد مضى الكلام في امثاله المعنى ثم ذكر سبحانه ما اخذ على الخلق من المواثيق بعقولهم عقيب ما ذكره من المواثيق التي في الكتب جمعا بين دلايل السمع والعقل وابلاغا في اقامة الحجة فقال واذ اخذ ربك اي واذكر لهم يا محمد اذ اخرج ربك من بني آدم من ظهورهم اي من ظهور بني آدم ذريتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى اختلف العلماء من العام والخاص في معنى هذه الاية وفي هذا الاخراج والاشهاد على وجوه احدها ان الله تعالى اخرج ذرية آدم من صلبه كهيئة الذر فعرضهم على آدم وقال اني اخذ على ذريتك ميثاقهم ان يعبدوني ولا يشركوا بي شيئا وعلى ارزاقهم ثم قال الست بربكم قالوا بلى شهدنا انك ربنا فقال للملائكة اشهدوا فقالوا شهدنا وقيل ان الله تعالى جعلهم فهما عقلا يسمعون خطابه ويفهمونه ثم ردهم الى صلب ادم والناس محبوسون باجمعهم حتى يخرج كل من اخرجه في ذلك الوقت وكل من ثبت على الاسلام فهو على الفطرة الاولى ومن كفر وجحد فقد تغير عن الفطرة الاولى عن جماعة من المفسرين ورووا في ذلك اثارا بعضها مرفوعة وبعضها موقوفة ويجعلونها تاويلا للاية ورد المحققون هذا التاويل وقالوا انه مما يشهد ظاهر القرآن بخلافه لانه تعالى قال واذ اخذ ربك من بني آدم ولم يقل من آدم وقال من ظهورهم ولم يقل من ظهره وقال ذريتهم ولم يقل ذريته ثم اخبر تعالى بانه فعل ذلك لئلا يقولوا انهم كانوا عن ذلك غافلين او يعتذروا بشرك ابائهم وانهم نشاوا على دينهم وهذا يقتضي ان يكون لهم اباء مشركون فلا يتناول الظاهر ولد آدم لصلبه وايضا فان هذه الذرية المستخرجة من صلب آدم لا يخلوا من ان جعلهم الله عقلاء او لم يجعلهم كذلك فان لم يجعلهم عقلاء فلا يصح ان يعرفوا التوحيد وان يفهموا خطاب الله تعالى وان جعلهم عقلاء واخذ عليهم الميثاق فيجب ان يتذكروا ذلك ولا ينسوه لان اخذ الميثاق لا يكون حجة على الماخوذ عليه الا ان يكون ذاكرا له فيجب ان نذكر نحن الميثاق ولانه لا يجوز ان ينسى الجمع الكثير والجم الغفير من العقلاء شيئا كانوا عرفوه وميزوه حتى لا يذكره واحد منهم وان طال العهد الا ترى ان اهل الاخرة يعرفون كثيرا من احوال الدنيا حتى تقول اهل الجنة لاهل النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا ولو جاز ان ينسوا ذلك مع هذه الكثرة لجاز ان يكون الله تعالى قد كلف الخلق فيما مضى ثم اعادهم اما ليثيبهم واما ليعاقبهم ونسوا ذلك وذلك يؤدي الى التجاهل والى صحة مذهب التناسخية وحكي عن علي بن عيسى عن ابي بكر بن الاخشيد انه جوز ان يكون خبر الذر صحيحا غير انه قال ليس تاويل الاية على ذلك ويكون فائدته انه انما فعل ليجروا على الاعراق

الكريمة فى شكر النعمة والاقرار لله سبحانه بالربوبية كما روي انهم ولدوا على الفطرة وحكى ابو الهذيل فى كتاب الحجة ان الحسن البصري واصحابه كانوا
يذهبون الى ان نعيم الاطفال فى الجنة ثواب عن ايمان فى الذر وثانيها ان المراد بالاية ان الله سبحانه اخرج بنى آدم من اصلاب ابائهم الى ارحام امهاتهم
ثم رقاهم درجة درجة علقة ثم مضغة ثم انشاهم كلا بشرا سويا ثم حيا مكلفا واراهم اثار صنعه ومكنهم من معرفة دلائله حتى كانه اشهدهم وقال لهم
الست بربكم فقالوا بلى فعلى هذا يكون معنى اشهدهم على انفسهم دلهم بخلقه على توحيده وانما اشهدهم على انفسهم بذلك لما جعل فى عقولهم من الادلة الدالة
على وحدانيته وركب فيهم من عجايب خلقته وغرايب صنعته وفى غيرهم فكانه سبحانه بمنزلة المشهد لهم على انفسهم وكانوا فى مشاهدة ذلك و
ظهوره فيهم على الوجه الذى اراده الله وتعذر امتناعهم منه بمنزلة المعترف المقر وان لم يكن هناك اشهاد صورة وحقيقة ونظير ذلك قوله فقال
لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طايعين وان لم يكن منه سبحانه قول ولا منهما جواب ومثله قوله تعالى شاهدين على انفسهم بالكفر ومعلوم
ان الكفار لم يعترفوا بالكفر بالسنتهم لكنه لما ظهر منهم ظهورا لا يتمكنون من دفعه فكانهم اعترفوا به ومثله فى الشعر وقالت له العينان سمعا وطاعة
وحدرتا كالدر لما يثقب وكما يقول القايل جوارحي تشهد بنعمك وكما روى عن بعض الخطباء من قولهم سل الارض من شق انهارك وغرس اشجارك
واينع ثمارك فان لم تجبك حوارا اجابتك اعتبارا ومثله كثير فى كلام العرب واشعارهم ونظمهم ونثرهم وهو قول الرماني وابى مسلم وابن
الاخشيد وثالثها انه تعالى انما عنى بذلك جماعة من ذرية آدم خلقهم واكمل عقولهم وقررهم على السن رسله عليهم السلم بمعرفته وبما يجب من
طاعته فاقروا بذلك واشهدهم على انفسهم به لئلا يقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين او يقولوا انما اشرك اباؤنا من قبل فقلدناهم فى ذلك
فنبه سبحانه على انه لا يعاقب من له عذر رحمة منه لخلقه وكرما وهذا يكون فى قوم خاص من بني آدم ولا يدخل جميعهم فيه لان المؤمن لا يدخل فيه
لانه بين ان هؤلاء الماخوذ ميثاقهم كان لهم سلف فى الشرك ولان ولد آدم لصلبه لم يؤخذ من ظهور بنى آدم فقد خرجوا من ذلك وهو اختيار
الجبائى والقاضي وقوله شهدنا حكاية عن قول الملئكة انهم يقولون ذلك اى شهدنا لئلا يقولوا ذكره الازهري عن بعضهم وقال ان قوله قالوا
بلى تمام الكلام وهذا خلاف الظاهر وما عليه المفسرون لان الكل قالوا شهدنا من قول من قال بلى وان اختلفوا فى كيفية الشهادة على ان
الملئكة لم يجر لها ذكر فى الاية ويبعد ان يكون اخبارا عنهم ان يقولوا يوم القيمة معناه لئلا يقولوا واذا صاروا الى العذاب يوم القيمة انا كنا
عن هذا غافلين لم ننبه عليه ولم تقم لنا حجة به ولم يكمل عقولنا فنتفكر فيه او يقولوا اي او يقول قوم منهم انما اشرك اباؤنا من قبل حين بلغوا
وعقلوا وكنا ذرية من بعدهم اى اطفالا لا نعقل ولا نصلح للفكرة والنظر والتدبر وعلى التاويل الاخير فمعناه اي انما قررتكم بهذا لئلا تواطئوا على لسان
الانبياء او تقولوا انما اشرك اباؤنا من قبل فنشئنا على شركهم احتجاجا بالتقليد وتعويلا عليه اى فقد قطعت حجتكم هذه بما قررتكم به من معرفتى
واشهدتكم على انفسكم باقراركم بمعرفتكم اياى افتهلكنا بما فعل المبطلون معناه ولان لا يقولوا افتهلكنا بما فعل اباؤنا من الشرك وتقديره انا لا نهلككم
بما فعلوه وانما نهلككم بفعلكم انتم وكذلك نفصل الايات معناه انا كما بينا لكم هذه الايات كذلك نفصلها للعباد ونبينها لهم وتفصيل الايات
تمييزها ليتمكن من الاستدلال بكل واحدة منها ولعلهم يرجعون اي ليرجعوا الى الحق من الباطل قوله تعالى واتل عليهم نبا الذي اتيناه اياتنا
فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الارض واتبع هويه فمثله كمثل الكلب
ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا باياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ساء مثلا القوم
الذين كذبوا باياتنا وانفسهم كانوا يظلمون من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون اربع آيات اللغة
النبا الخبر العظيم عن الامر العظيم ومنه اشتقاق النبوة نبأه الله جعله نبيا واخلد الى كذا وخلد اليه سكن اليه واخلد اكثر واصله اللزوم على الدوام
ورجل مخلد اذا ابطا عنه الشيب واخلد الى الارض لصق بها قال مالك بن نويرة بابناء حي من قبايل مالك وعمرو بن يربوع اقاموا فاخلدوا اللهث
ان يدلع الكلب لسانه من العطش واللهاث حر العطش وفى حديث سعيد بن جبير فى المراة اللهثى انها تفطر فى رمضان وقيل هو النفس
الشديد من شدة الاعياء الاعراب نصب مثلا لانه تفسير للمضمر فى ساء التى هى بمعنى بئس فيكون فعلا ماضيا غير متصرف وتقديره ساء المثل
مثلا وفى الكلام حذف آخر وتقديره ساء المثل مثلا مثل القوم ثم حذف المثل الاول لدلالة المنصوب عليه وحذف الثاني لقيام المضاف اليه
مقامه ولان المعنى مفهوم المعنى ثم امر الله سبحانه نبيه صلى الله عليه واله ان يقرا عليهم قصة اخرى من اخبار بني اسرائيل فقال واتل
اى واقرأ عليهم يا محمد نبا الذي اتيناه اي خبر الذي اعطيناه اياتنا اى حججنا وبيناتنا فانسلخ منها اى خرج من العلم بها بالجهل كالشئ ينسلخ من جلده

فاتبعه الشيطان اي تبعه وتبع واتبع بمعنى وقيل معناه لحقه الشيطان وادركه حتى اضله فكان من الغاوين اي من الهالكين وقيل من الخائبين
عن الجبائي واختلف في المعني به فقيل هو بلعام بن باعور عن ابن عباس وابن مسعود وكان رجلا على دين موسى وكان في المدينة التي قصدها موسى
وكانوا كفارا وكان عنده اسم الله الاعظم وكان اذا دعا الله تعالى به اجابه وقيل هو بلعم بن باعورا من بني هاب بن لوط عن ابي حمزة الثمالي و
مسروق قال ابو حمزة وبلغنا ايض والله اعلم انه امية بن ابي الصلت الثقفي الشاعر وروى ذلك عن عبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو وسعيد بن
المسيب وزيد بن اسلم وابي روق وكانت قصته انه قد قرأ الكتب وعلم ان الله سبحانه مرسل رسولا في ذلك الوقت ورجا ان يكون هو ذلك
الرسول فلما ارسل محمد صلى الله عليه وآله حسده ومر على قتلى بدر فسال عنهم فقيل قتلهم محمد فقال لو كان نبيا ما قتل اقرباءه واستنشد رسول الله
اخته شعره بعد موته فانشدته لك الحمد والنعماء والفضل ربنا ولا شيء اعلا منك جدا وامجد مليك على عرش السماء مهيمن لعزته تعنو الوجوه
وتسجد وهي قصيدة طويلة حتى اتت على اخرها ثم انشدته قصيدته التي فيها وقف الناس للحساب جميعا فشقي معذب وسعيد والتي فيها
عند ذي العرش يعرضون عليه يعلم الجهر والسرار الخفيا يوم ياتي الرحمن وهو رحيم انه كان وعده ماتيا رب ان تعف فالمعافاة ظني او تعاقب
فلم تعاقب بريا فقال رسول الله صلى الله عليه وآله آمن شعره وكفر قلبه وانزل الله فيه قوله واتل عليهم نبا الذي اتيناه الاية وقيل انه ابو عامر
بن النعمن بن صيفي الراهب الذي سماه النبي صلى الله عليه وآله الفاسق وكان قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوح فقدم المدينة فقال للنبي
صلى الله عليه وآله ما هذا الذي جئت به قال جئت بالحنيفية دين ابراهيم قال فانا عليها فقال عليه السلم لست عليها لكنك ادخلت فيها
ما ليس منها فقال ابو عامر اماتت الله الكاذب منا طريدا وحيدا فخرج الى الشام وارسل الى المنافقين ان استعدوا السلاح ثم اتى قيصر واتى بجند
ليخرج النبي صلى الله عليه وآله من المدينة فمات بالشام طريدا وحيدا عن سعيد بن المسيب وقيل المعني به منافقوا اهل الكتاب الذين كانوا
يعرفون النبي صلى الله عليه وآله كما يعرفون ابناءهم ويكون معنى فانسلخ منها اعرض عن ايات الله وتركها فاتبعه الشيطان اي خذله الله
وخلى بينه وبين الشيطان عن الحسن وابن كيسان وقيل انه مثل ضربه الله لمن عرض عليه الهدى فابى ان يقبله عن قتادة وقال ابو جعفر ع
الاصل في بلعم ثم ضربه الله مثلا لكل مؤثر هواه على هدى الله من اهل القبلة وقيل ايض في الايات التي اوتيها اقوال اخر منها ان المراد به المعجزات الدالة
على صدق الانبياء فلم يقبلها وعري عنها يعني فرعون عن ابي مسلم فكانه قال اتل عليهم نبأ فرعون اذ اتيناه حجج الدالة على صدق موسى فلم يقبلها
ومنها ان الايات الايمان والهدى والدين عن الحسن ومنها انها النبوة عن مجاهد وهذا لا يجوز لان الانبياء منزهون عن ذلك فانهم حجج الله
على خلقه ولو شئنا لرفعناه بها اي بتلك الايات والهاء في رفعناه تعود الى الذي اتاه الله اياته فانسلخ منها معناه ولو شئنا لرفعنا منزلته
بايمانه ومعرفته قبل ان يكفر ولكن بقيناه ليزداد الايمان فكفر عن الجبائي وقيل معناه ولو شئنا لحلنا بينه وبين ما اختاره من المعصية وهذا
اخبار عن كمال قدرته عن البلخي والزجاج ولكنه اخلد الى الارض اي ركن الى الدنيا ومال اليها عن سعيد بن جبير والسدي ومعناه ولكنه
مال الى الدنيا بايثار الراحة والدعة في لذة واتبع هواه اي وانقاد لهواه في الركون الى الدنيا واختيارها على الاخرة ثم ضرب له مثلا فقال
فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث معناه فصفته كصفة الكلب ان طردته وشددت عليه يخرج لسانه من فمه
وان تركته ولم تطرده يخرج لسانه من فمه ايض وتحمل عليه من الحملة لا من الحمل والمعنى ان وعظته فهو ضال وان لم تعظه فهو ضال في كل حال كما ان
كل شيء يلهث فانما يلهث في حال الاعياء والكلال الا الكلب فانه يلهث في كل حال ومثله قوله سبحانه سواء عليهم ادعوتموهم ام انتم صامتون وقيل
انما شبهه بالكلب في الخسة وقصور الهمة وسقوط المنزلة ثم وصف الكلب باللهث على عادة العرب في تشبيههم الشيء بالشيء ثم يأخذون في
في وصف المشبه به وان لم يكن ذلك الوصف في المشبه وذلك يكثر في كلامهم عن ابي مسلم وقيل شبهه بالكلب اذا اخرج لسانه من الفم مثل الكلب
ولهثه في هذا الموضع صياحه ونباحه وقيل ان هذا مثل للذي يقرأ القرآن فلا يعمل به عن مجاهد ذلك مثل القوم الذين كذبوا باياتنا معناه ذلك
صفة الذين يكذبون بايات الله قال ابن عباس يريد اهل مكة كانوا يتمنون هاديا يهديهم ويدعوهم الى طاعة الله فلما جاءهم من لا يشكون في
صدقه كذبوه فلم يهتدوا لما تركوا ولم يهتدوا لما دعوا بالرسول والكتاب فاقصص القصص اي فاقصص عليهم اخبار الماضين لعلهم يتفكرون
فيعتبرون ولا يفعلون مثل فعلهم حتى لا يحل بهم ما حل بهم ثم وصف الله سبحانه هذا المثل الذي ضربه وذكره بانه ساء مثلا اي بئس مثلا مثل القوم
الذين كذبوا باياتنا ومعناه بئست الصفة المضروب فيها المثل او قبح حال المضروب فيه المثل لان المثل حسن وحكمة وصواب وانما القبيح

صفتهم وانفسهم كانوا يظلمون اى وانما نقصوا بذلك انفسهم ولا ينقص ذلك شيئا لان عقاب ما يفعلونه من المعاصي يحل بهم والله سبحانه لا يضره
كفرهم ومعصيتهم كما لا ينفعه ايمانهم وطاعتهم من يهد الله فهو المهتدي كتبت ههنا بالياء ليس بالقرآن غيره بالياء واثبت الياء ههنا في اللفظ
جميع القراء ومعناه من يهديه الله الى نيل الثواب كما يهدي المؤمن الى ذلك والى دخول الجنة فهو المهتدي للايمان والخير ومن يضلله
الله عن طريق الجنة وعن نيل الثواب عقوبة على كفره وفسقه فاولئك هم الخاسرون خسروا الجنة ونعيمها وخسروا انفسهم والانتفاع
بها وقيل المهتدي هو الذي هداه الله فقبل الهداية واجاب اليها والذي اضله الله هو الذي اختار الضلالة فخلى الله بينه وبين ما اختاره
ولم يمنعه منه بالجبر عن البلخي قوله تعالى ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون
بها ولهم آذان لا يسمعون بها اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين
يلحدون في اسمائه سيجزون ما كانوا يعملون وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون ثلث آيات
القراءة قرا حمزة يلحدون بفتح الياء والحاء حيث كان ووافقه الكسائي وخلف في النحل والباقون يلحدون بضم الياء وكسر الحاء الحجة قال
ابو الحسن لحد والحد لغتان ولحد في الكلام اكثر قال الشاعر ليس الامام بالشحيح الملحد وفي القرآن ومن يرد فيه بالحاد اللغة الذرء
والانشاء والاحداث والخلق نظاير قال علي بن عيسى الاسم كلمة تدل على المعنى دلالة الاشارة والفعل كلمة تدل على المعنى دلالة الافادة والصفة
كلمة ماخوذة للمذكور من اصل من الاصول لتجري عليه تابعة له والالحاد العدول عن الاستقامة والانحراف عنها ومنه اللحد الذي يحفر في جانب
القبر خلاف الضريح الذي يحفر في وسطه وروى ابو عبيد عن الاحمر لحدت جرت وملت والحدت ماريت وجادلت ابو عبيدة لحدت
والحدت بمعنى واحد الاعراب اللام في قوله لجهنم لام العاقبة كما في قوله فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وانما التقطوه ليكون لهم قرة
اعين كما قالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك ومثله في قول الشاعر وام سماك فلا تجزعي فللموت ما تلد الوالدة وقول الآخر وللموت تغذوا
الوالدات سخالها كما لخراب الدهر تبنى المساكن وقول الآخر اموالنا لذوي الوراث نجمعها ودورنا لخراب الدهر نبنيها وقول الآخر يا ام وجرة
بعض الوجد واعزى في ثكل والدة للموت ما تلد قال علي بن عيسى هي لام الاضافة تذكر مرة على معنى العلة ومرة على معنى شبه العلة المعنى لما بين
سبحانه امر الكفار وضرب لهم الامثال عقبه ببيان حالهم في المصير والمآل فقال ولقد ذرأنا اي خلقنا لجهنم يعني خلقناهم على ان عاقبتهم
المصير الى جهنم بكفرهم وانكارهم وسوء اختيارهم ويدل على هذا المعنى قوله سبحانه وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فاخبر انه خلقهم
للعبادة فلا يجوز ان يكون خلقهم للنار وقوله وما ارسلنا من رسول الا ليطاع ولقد صرفناه بينهم ليذكروا في نظاير لذلك لا تحصى والمراد
بالآية كل من علم الله تعالى انه لا يؤمن ويصير الى النار لهم قلوب لا يفقهون بها الحق لانهم لا يتدبرون ادلة الله سبحانه وبيناته ولهم اعين لا
يبصرون بها الرشد ولهم آذان لا يسمعون بها الوعظ لانهم يعرضون عن جميع ذلك اعراض من ليست له آلة الادراك وقد مر تفسيره في سورة
البقرة عند قوله صم بكم عمي الآية اولئك كالانعام اي هؤلاء الذين لا يتدبرون آيات الله ولا يستدلون بها على وحدانيته وصدق انبيائه
اشباه الانعام والبهائم التي لا تفقه ولا تعلم بل هم اضل من البهائم فانها اذا زجرت انزجرت واذا ارشدت الى طريق اهتدت وهؤلاء لكفرهم
وعتوهم لا يهتدون الى شيء من الخيرات مع ما ركب الله فيهم من العقول الدالة على الرشاد الصارفة عن الفساد ولم يذكر بل ههنا للرجوع عن
الاول ولكن للاضراب عنه مع بقائه وقيل انما قال بل هم اضل من الانعام لان الانعام لم تعط آلة المعرفة والتمييز فضيعوها ولم ينتفعوا بها
ولان الانعام وان لم تكن مطيعة لم تكن عاصية وهؤلاء عصاة فهم اسوء حالا منها اولئك هم الغافلون عن آياتي وحججي وعن الاستدلال
والاعتبار بتدبرها والتفكر فيها دون البهائم التي هي مسخرة مصرفة وقيل الغافلون عما يحل بهم في الآخرة من العذاب ولله الاسماء الحسنى
اخبر سبحانه ان له الاسماء الحسنى لحسن معانيها مثل الجواد والرحيم والرازق والكريم ويقال ان جميع اسمائه داخلة فيه وانها كلها حسنة
متضمنة لمعان حسنة فمنها ما يرجع الى صفات ذاته كالعالم والقادر والحي والاله والقديم والسميع والبصير ومنها ما هو صفات فعله كالخالق
والرازق والمبدع والمحيي والمميت ومنها ما يفيد التنزيه ونفي صفات النقص عنه كالغني والواحد والقدوس ونحو ذلك وقيل المراد
بالحسنى ما مالت اليه النفوس من ذكر العفو والرحمة دون السخط والنقمة فادعوه بها اي بهذه الاسماء الحسنى فدعاؤه بها ان يقال يا الله
يا رحمن يا رحيم يا خالق السموات والارض وكل اسم لله سبحانه فهو صفة مفيدة لان اللقب لا يجوز عليه فانه بمنزلة الاشارة الى الحاضر وقد ورد

عشر ١٢

في

فى الحديث ان لله تسعة وتسعين اسما مائة الا واحدة من احصاها دخل الجنة انه وتر يحب الوتر اورده مسلم فى الصحيح وذروا الذين
يلحدون فى اسمائه اى دعوا الذين يعدلون باسماء الله تعالى عما هى عليه فيسمون بها اصنامهم ويغيرونها بالزيادة والنقصان فاشتقوا اللات
من الله والعزى من العزيز ومناة من المنان عن ابن عباس ومجاهد وقيل ان معنى يلحدون فى اسمائه يصفونه بما لا يليق به ويسمونه بما
لا يجوز تسميته به وهذا الوجه اعم فايدة ويدخل فيه قول الجبائى اراد تسميتهم المسيح بانه ابن الله وفى هذا دلالة على انه لا يجوز ان يسمى الله
سبحانه الا بما سمى به نفسه سيجزون ما كانوا يعملون فى الاخرة وقيل فى الدنيا والاخرة وممن خلقنا امة يهدون بالحق اخبر سبحانه ان من جملة
من خلقه جماعة وعصبة يدعون الناس الى توحيد الله تعالى والى دينه وهو الحق يرشدونهم اليه وبه يعدلون اى وبالحق يحكمون
وروى ابن جريج عن النبى صلى الله عليه وآله انه قال هى لامتى بالحق ياخذون وبالحق يعطون وقد اعطى القوم بين ايديكم مثلها ومن قوم
موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون وقال الربيع بن انس قرا النبى صلى الله عليه وآله هذه الآية فقال ان من امتى قوما على الحق حتى
ينزل عيسى بن مريم وروى العياشى باسناده عن امير المومنين على ع انه قال والذى نفسى بيده لتفترقن هذه الامة على ثلث وسبعين
فرقة كلها فى النار الا فرقة وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون فهذه التى تنجو وروى عن ابى جعفر وابى عبد الله عليهما السلم
انهما قالا نحن هم النظم قيل فى وجه اتصال هذه الآية بما قبلها وجهان احدهما انه لما بين فى الاية المتقدمة حال قوم من الكفار
يغفلون عن الحق بين فى هذه الاية ان من جملة ما خلق من يهدى الى دينه بالحق ويحكم بالعدل والاخر انه يتصل بقوله ذرأنا وكانه قال
خلقنا قوما صنعتهم كذا وقوما صنعتهم كذا قوله تعالى وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ
أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ
يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ خمس آيات
القراءة قرا اهل العراق ويذرهم بالياء والجزم كوفى غير عاصم والباقون ونذرهم بالنون والجمع الحجة من قرا بالنون فالتقدير وانا
نذرهم ومن قرا بالياء رده الى اسم الله تعالى اى وهو يذرهم ويكون مقطوعا عن الاول على الوجهين ولم يكن جوابا ومن جزمه فانه عطفه
على موضع الفاء وما بعده من قوله فلا هادى له ومثله فى الحمل على الموضع قوله فاصدق واكن لانه لو لم يلحق الفاء لقيل لولا اخرتنى اصدق
لان معنى لولا اخرتنى اخرنى اصدق ومثله قول الشاعر انى سلكت فاننى لك ناصح وعلى انتقاصك فى الحياة وازدد وقول ابى داود فابلونى
بليتكم لعلى اصالحكم واستدرج نويا حمل استدرج على موضع الفاء المحذوفة من قوله فلعلى اصالحكم وموضعه جزم اللغة الاستدراج
اصله من الدرجة وهو ان يوخذ قليلا قليلا ولا يباغت كما يرتقى الراقى الدرجة فيتدرج شيئا بعد شىء حتى يصل الى العلو وقيل اصله
من الدرج الذى يطوى وكانه يطوى منزلة بعد منزلة كما يطوى الدرج ويقال درج القوم اذا مات بعضهم فى اثر بعض والاملاء
التاخير والامهال من الملى يقال مضى عليه ملى من الدهر وملاوة من الدهر بضم الميم وفتحها وكسرها اى قطعة منه واصل الاملاء الاستمرار
على العمل من غير لبث من امليت الكتاب ومنه الملا للفلاة ذات الحر والسراب لاستطالة المكث فيه والمتين القوى والشديد واصله من
المتن وهو اللحم الغليظ الذى عن جانب الصلب وهما متنان والكيد والمكر واحد والجنة الجنون واصله الستر والملكوت هو الملك الاعظم
للمالك الذى ليس بمملك المعنى لما ذكر سبحانه المؤمنين بمحمد صلى الله عليه وآله الهادين بالحق ذكر بعده المكذبين باياته فقال والذين
كذبوا باياتنا التى هى القرآن والمعجزات الدالة على صدق النبى صلى الله عليه وآله وكفروا بها سنستدرجهم من حيث لا يعلمون الى الهلكة
حتى يقعوا فيه بغتة كما قال سبحانه بل تاتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها وقال فياتيهم بغتة وهم لا يشعرون فيقولوا هل نحن
منظرون وقيل يجوز ان يريد عذاب الاخرة اى نقربهم اليه درجة درجة الى ان يقعوا فيه وقيل هو من المدرجة وهى الطريق ودرج اذا
مشى سريعا اى سناخذهم من حيث لا يعلمون اى طريق سلكوا فان الطرق كلها على ومرجع الجميع الى لا يغلبنى غالب ولا يسبقنى
سابق ولا يفوتنى هارب وقيل انه من الدرج اى نستطويهم فى الهلاك ونرفعهم عن وجه الارض يقال طويت فلانا وطويت امر فلان
اذا تركته وهجرته وقيل معناه كلما جددوا خطيئة جددنا لهم نعمة عن الضحاك ولا يصح قول من قال ان معناه نستدرجهم الى الكفر والضلال
لان الاية وردت فى الكفار وتضمنت انه يستدرجهم فى المستقبل فان السين يختص المستقبل ولانه جعل الاستدراج جزاء على

خمس

كفرهم وعقوبة فلابد من ان يريد معنى آخر غير الكفر وقوله واملي لهم معناه وامهلهم ولا اعاجلهم بالعقوبة فانهم لا يفوتونني ولا يفوتني عذابهم
ان كيدي متين اي عذابي قوي منيع لا يمنعه مانع ولا يدفعه دافع وسماه كيدا لنزوله بهم من حيث لا يشعرون وقيل اراد ان جزاء كيدهم متين
والقول هو الاول اولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة معناه اولم يتفكر هؤلاء المكذبون بمحمد صلى الله عليه وآله وبنبوته في اقواله وافعاله فيعلموا
انه صلى الله عليه وآله ليس بمجنون اذ ليس في اقواله واحواله ما يدل على الجنون وتم الكلام عند قوله اولم يتفكروا ثم ابتدأ فقال ما بصاحبهم من
جنة اي ليس به جنون وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وآله صعد الصفا وكان يدعو قريشا فخذا فخذا الى توحيد الله ويخوفهم عذاب
الله فقال المشركون ان صاحبهم قد جن بات ليلا يصوت الى الصباح فانزل الله هذه الآية عن الحسن وقتادة ان هو الا نذير مبين اي ما هو
الا معلم بموضع المخافة ليتقى وبموضع الامن ليجتبى ومعنى مبين بين امره وقيل مبين لهم عن الله امره فيهم ثم قال اولم ينظروا معناه اولم يتفكروا
في ملكوت السموات والارض وعجيب صنعها فينظروا فيها نظر المستدل المعتبر فيعرفوا بان لهما خالقا مالكا ويستدلوا بذلك عليه وما
خلق الله من شيء وينظروا فيما خلق الله من اصناف خلقه فيعلموا بذلك انه سبحانه خالق جميع الاجسام فان كل شيء خلقه الله تعالى دلالة
واضحة على اثباته وتوحيده وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم اي اولم يتفكروا وينظروا في ان عسى ان يكون قد قرب اجلهم وهو اجل
موتهم فيدعوهم ذلك الى ان يحتاطوا لدينهم ولانفسهم مما يصيرون اليه بعد الموت من امور الآخرة ويزهدوا في الدنيا وفيما يطلبونه من
فخرها وشرفها وعزها ومعناه لعل اجلهم قريب وهم لا يعلمون فباي حديث بعده اي بعد القرآن يؤمنون مع وضوح الدلالة على انه كلام
الله المعجز اذ لم يقدر احد منهم ان ياتي بسورة مثله وسماه حديثا لانه محدث غير قديم من يضلل الله فلا هادي له قد ذكرنا معناه ويذرهم
في طغيانهم يعمهون معناه ويتركهم في ضلالتهم يتحيرون والعمه في القلب كالعمى في العين **قوله تعالى** يَسْئَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ اَيَّانَ
مُرْسٰيهَا قُلْ اِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا اِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمٰوَاتِ وَالْاَرْضِ لَا يَأْتِيكُمْ اِلَّا بَغْتَةً يَسْئَلُونَكَ كَاَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ
اِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللّٰهِ وَلٰكِنَّ اَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ آية **اللغة** ايان معناه متى وهو سؤال عن الزمان على وجه الظرف للفعل قال الشاعر ايان تقضي
حاجتي ايانا اما ترى لنجحها ابانا والساعة ههنا الساعة التي يموت فيها الخلق والارساء الاثبات ومرسيها مثبتها ومنه الشيء يرسو فهو
راس اذا ثبت وارساه غيره والحفي المستقصي في السؤال واحفى فلان بفلان في المسئلة اذا اكثر عليه والح قال الاعشى فان تسألي عني
فيا رب سائل حفي عن الاعشى به حيث اصعدا ومنه احفى شاربه اذا استقصى اخذه وحفيت الدابة تحفى حفى مقصور اذا كثر عليها
المشي والحفاء ممدود المشي بغير نعل **الاعراب** الكاف في يسئلونك المفعول الاول عن الساعة في موضع المفعول الثاني وايان
مرسيها يتعلق بمدلول السؤال والتقدير قائلين ايان مرسيها فايان مرسيها في موضع رفع بالابتداء وايان خبره وبغتة مصدر في موضع الحال
من الضمير في ياتيكم **النزول** قيل جاء قوم من اليهود فقالوا يا محمد اخبرنا عن الساعة متى هي ان كنت نبيا فنزلت الآية عن ابن عباس وقيل
قالت قريش يا محمد متى الساعة فنزلت الآية عن قتادة والحسن **المعنى** لما تقدم الوعيد بالساعة سالوا عن وقتها فقال سبحانه يسئلونك
يا محمد عن الساعة وهي الساعة التي يموت فيها الخلق عن الزجاج وقيل هي القيامة وهو وقت قيام الناس في الحشر عن اكثر المفسرين وقيل
هو وقت فناء الخلق عن الجبائي ايان مرسيها اي متى وقوعها وكونها عن الزجاج وقيل مرسيها منتهاها عن ابن عباس وقيل قيامها عن
قتادة والسدي قل يا محمد انما علمها عند ربي اي انما علم وقت قيامها ومجيئها عند الله تعالى لم يطلع عليه احدا من خلقه وانما لم يخبر سبحانه
بوقتها ليكون العباد على حذر منه فيكون ذلك ادعى لهم الى الطاعة وازجر عن المعصية لا يجليها لوقتها الا هو اي لا يظهرها ولا
يكشف عن علمها ولا يبين وقتها الا هو فلا يعلم احد سواه متى يكون قبل وقتها وقيل معناه لا ياتي بها الا هو عن مجاهد ثقلت في السموات
والارض ذكر فيه وجوه احدها ثقل علمها على اهل السموات والارض لان من خفي عليه علم شيء كان ثقيلا عليه عن السدي وغيره قال ابو علي
الفارسي اصل هذا قولهم احطت به علما اي دل لي فصرت لعلمي به غالبا عليه فخف علي ولم يثقل كما يثقل ما لا تعلمه عليك وثانيها ان معناه
عظمت على اهل السموات والارض صفتها لما يكون فيها من انتثار النجوم وتكوير الشمس وتسيير الجبال وغير ذلك عن الحسن وابن جريج
وثالثها ثقل وقوعها على اهل السموات والارض لعظمها وشدتها ولما فيها من المحاسبة والمجازاة عن الجبائي وابي مسلم وجماعة ورابعها ان المراد
نفس السموات والارض اي لا تطيق السموات والارض حملها لعظمها وشدتها عن قتادة والمعنى انها لو كانت احياء لثقلت عليها تلك الاحوال

من انفطار السموات وانكدار النجوم وتسيير الجبال وغيرها لا تاتيكم الا بغتة اى فجأة لتكون اعظم واهول يسئلونك كانك حفى عنها معناه يسئلونك عنها كانك حفى بها اي عالم بها قد اكثرت المسئلة عنها عن مجاهد والضحاك واصله من احفيت فى السؤال عن الشئ حتى علمته اى استقصيت به وروي عن ابن عباس انه قرأ كانك حفى عنها فعلى هذا يكون عنها الجار والمجرور الذى هو عنها محذوف والدلالة الحال عليها كما يكون فى التقدير الاول يكون الجار والمجرور الذي هو بها محذوف والدلالة عليها ايض الا ترى انه اذا كان حفيا بها فلا بد ان يسال عنها كما انه اذا سال عنها فليس ذلك الا لحفاوته بها وقيل فيه معنى اخر وهو ان يكون تقديره يسئلونك عنها كانك حفى بهم اى بار بهم فرح بسؤالهم والحفاوة فى المسئلة هى البشاشة بالمسؤل عنه وقيل معناه كانك معنى بالسؤال عنها فسالت عنها حتى علمتها وعلى هذا فان السؤال يوصل بعن فلما وضع قوله حفى موضع السؤال وصله بعن وتقديره كانك حفى بالمسئلة عنها او تسال عنها فتعلمها قل يا محمد انما علمها عند الله لا يعلمها الا هو وانما اعاد سبحانه هذا القول لانه وصله بقوله ولكن اكثر الناس لا يعلمون وقيل اراد بالاول علم وقت قيامها وبالثانى علم كيفيتها وهيئتها وتفصيل ما فيها عن الجبائى قال وهذا يدل على بطلان قول الرافضة ان الائمة منصوص عليهم باعيانهم امام بعد امام الى يوم القيمة لانه لو كان كذلك لوجب ان يعلم اخر الائمة ان القيامة تقوم بعده وذلك خلاف قوله قل انما علمها عند الله وهذا ضعيف لانه غير ممتنع ان يعلم اخر الائمة ان لا امام بعده وان لم يعلم وقت قيام الساعة لانه لا يعلم وقت وفاته بعينه هذا اذا قيل ان الساعة وقت فناء الخلق او موتهم واذا قيل ان الساعة عبارة عن وقت الحشر فقد زالت الشبهة لانه اذا علم انه يفنى الخلق بعده لا يجب ان يعلم متى يحشر الخلق على انه قد وردت الرواية ان التكليف يزول عند موت اخر الائمة لظهور اشراط الساعة وامارات قيامها نحو طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة وغير ذلك ومع هذا فيجوز ان لا يعلم وقت قيام الساعة قوله تعالى قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ آية

النزول قيل ان اهل مكة قالوا يا محمد الا يخبرك ربك بالسعر الرخيص قبل ان يغلو فنشتريه فنربح فيه وبالارض التى تريد ان تجدب فنرتحل منها الى ارض قد اخصبت فانزل الله هذه الاية المعنى قل يا محمد لا املك لنفسى ضرا ولا نفعا الا ما شاء الله ان يملكنى اياه فاملكه بتمليكه اياي ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير ههنا محذوف اخر وهو قوله ولا اعلم الغيب الا ما شاء الله ان يعلمنيه ولو كنت اعلم الغيب لادخرت من السنة المخصبة للسنة المجدبة ولاشتريت وقت الرخص لوقت الغلاء وقيل معناه لاستكثرت من الاعمال الصالحة قبل اقتراب الاجل ولم اشتغل بغيرها ولاخترت الافضل فالافضل عن مجاهد وابن جريج وقيل معناه لو كنت اعلم ما اسال عنه من الغيب لاستكثرت من الخير اى لاجبت فى كل ما اسال عنه من الغيب فى امر الساعة وغيرها عن الزجاج وما مسنى السوء اى وما اصابنى الضر والفقر وقيل معناه وما بى جنون كما زعمون فيكون ابتداء وقيل معناه وما مسنى التكذيب منكم لانى اذا كنت عالما بكل شئ اجبت عن كل ما اسال فتصدقونى ولا تكذبونى وقيل وما مسنى سوء من جهة الاعداء لانى كنت اعلم ذلك فاتحرز منه ان انا الا نذير مخوف بالعذاب وبشير مبشر بالثواب لقوم يؤمنون خصهم بالذكر لانهم المنتفعون بذلك كقوله انما تنذر من اتبع الذكر وان كان ينذر غيرهم ايض وفى قوله الا ما شاء الله دلالة على فساد مذهب المجبرة لان الافعال كلها لو كانت مخلوقة لله لما صح الاستثناء منها لان احدا لا يملك عندهم شيا وفى قوله لو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير دلالة على ان للقدرة قبل الفعل لانها لو كانت مع الفعل لما امكنه الاستكثار من الخير اذا علم الغيب النظم وجه اتصال الاية بما قبلها انه لما تقدم اجابة القوم بانه لا يعلم الغيب عقبه بان علم الغيب يختص بالمالك للنفع والضر وهو الله سبحانه عن ابي مسلم وقيل ان الاية فى معنى جواب سؤالهم ايض فكانه قال اذا انا لا املك ان اسوق الى نفسى نفعا ولا ان ادفع عنها ضررا فكيف اعلم الغيب قوله تعالى هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ خمس ايات القراءة

قرا اهل المدينة وابو بكر شركا بكسر الشين والتنوين على المصدر لا على الجمع وهو قراءة الاعرج وعكرمة والباقون شركاء بضم الشين والمد

نصف الحزب ع ١٣

عشر

على الجمع وروى فى الشواذ قراءة يحيى بن يعمر فمرت به خفيفه وقرا نافع لا يتبعوكم وفى الشعراء يتبعهم بالتخفيف والباقون يتبعوكم بالتشديد
الحجة من قرا شركا فانه حذف المضاف وتقديره جعلا له ذا شرك او ذوى شرك فالقراتان على هذا يؤولان الى معنى واحد فان معنى جعلا
له شركاء جعلا له ذوى شرك والضمير فى له يعود الى اسم الله ومن قرا فمرت به خفيفه فانه ينبغى ان يكون اصله التشديد كقراءة الجماعة
الا انه حذفه تخفيفا لثقل التضعيف قالوا مست يده اى مسستها وقال ابو زيد خلا ان العتاق من المطايا احسن به فهن اليه شوس
اى احسسن به وقيل انه من المرية اى شكت احملت ام لا وعن الحسن شكت اغلام ام جارية وروى ان عبد الله بن عمرو قرا فمارت به وهو
من قولهم مار يمور اذا ذهب وجاء وقرا ابن عباس فاستمرت به ومعناه مرت به مكلفه نفسها ذلك لان استفعل ياتى فى اكثر الامر لمعنى
الطلب ومن قرا لا يتبعوكم فانه فى المعنى مثل القراءة الاخرى قال ابو زيد رايت القوم فاتبعتهم اتباعا اى ذهبت معهم واتبعتهم اتباعا اذا
سبقوك فاسرعت نحوهم وتبعتهم مثل اتبعتهم فى المعنى اتبعهم تبعا المعنى لما تقدم ذكر الله سبحانه ذكر عقيبه ما يدل على وحدانيته فقال
هو الذى خلقكم والخطاب لبنى آدم من نفس واحدة يعنى آدم عليه وجعل منها زوجها يعنى حواء عليها السلم ليسكن آدم اليها ويانس
بها فلما تغشيها اى فلما اصابها كما يصيب الرجل زوجته يعنى وطئها وجامعها حملت حملا خفيفا وهو الماء الذى حصل فى رحمها وكان
خفيفا فمرت به اى استمرت بالحمل على الخفة تقوم وتقعد وتجئ وتذهب كما كانت من قبل لم يمنعها ذلك الحمل عن شئ من التصرف فلما
اثقلت اى صارت ذات ثقل كما يقال اثمرت الشجرة صارت ذات ثمر وقيل معناه دخلت فى الثقل كما يقال اصاف دخل فى الصيف واشتى
دخل فى الشتاء والمعنى لما كبر الحمل فى بطنها وتحرك وصارت ثقيلة به دعوا الله ربهما يعنى آدم وحواء سالا الله تعالى عند كبر الولد فى بطنها
لئن آتيتنا صالحا اى اعطيتنا ولدا صالحا عن ابى مسلم وقيل نسلا صالحا اى معافى سليما صحيح الخلقة عن الجبائى وقيل بشرا سويا عن ابن
عباس وقيل غلاما ذكرا عن الحسن لنكونن من الشاكرين لنعمتك علينا قال الجبائى وانما قالا ذلك لانهما ارادا ان يكون لهما اولاد يونسونهما
فى الموضع الذى كانا فيه لانهما كانا فردين مستوحشين وكان اذا غاب احدهما عن الآخر بقى الآخر مستوحشا بلا مونس ويحتمل ان يكون
اراد بقوله صالحا مطيعا فاعلا للخير مصلحا غير مفسد فلما آتيهما الله صالحا كما التمساه جعلا له شركاء فيما آتيهما اختلف فيمن يرجع الضمير
الذى فى جعلا اليه على وجوه احدها انه يرجع الى النسل الصالح اى المعافى فى الخلق والبدن لا فى الدين وانما ثنى لان حواء كانت
تلد فى كل بطن ذكرا وانثى يعنى ان هذا النسل الذى هم ذكر وانثى جعلا له شركاء فيما اعطاهما من النعمة فاضافا تلك النعم الى الذين اتخذوهم
آلهة مع الله تعالى من الاصنام والاوثان عن الجبائى وثانيها انه يرجع الى النفس وزوجها من ولد آدم لا الى آدم وحواء عن الحسن وقتادة
وهو قول الاصم قال ويكون المعنى فى قوله خلقكم من نفس واحدة خلق كل واحد منكم من نفس واحدة ولكل نفس زوج هو منها اى
من جنسها كما قال تعالى ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها فلما تغشى كل نفس زوجها حملت حملا خفيفا وهو
ماء الفحل فلما اثقلت بمصير ذلك الماء لحما ودما وعظما دعا الرجل والمراة ربهما لئن آتيتنا صالحا اى ذكرا سويا لنكونن من الشاكرين
وكانت عادتهم ان يئدوا البنات فلما آتيهما يعنى الاب والام صالحا جعلا له شركاء فيما آتيهما لانهم كانوا يسمون عبد العزى
وعبد اللات وعبد مناة ثم رجعت الكناية الى جميعهم فى قوله فتعالى الله عما يشركون فالكناية فى جميع ذلك غير متعلقة بآدم و
حواء ولو كانت متعلقة بهما لقال عما يشركان وقال ابو مسلم تقدير الآية هو الذى خلقكم والخطاب لجميع الخلق من نفس واحدة يعنى
آدم وجعل من ذلك النفس زوجها وهى حواء ثم انقضى حديث آدم وحواء وخص بالذكر المشركين من اولاد آدم الذين سالوا ما
سالوا وجعلوا له شركاء فيما آتيهما قال ويجوز ان يذكر العموم ثم يخص البعض بالذكر ومثله كثير فى الكلام قال سبحانه هو الذى يسيركم
فى البر والبحر حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة فخاطب الجماعة بالتسيير ثم خص راكب البحر بالذكر وكذلك هذه الآية اخبرت
عن جملة البشر بانهم مخلوقون من آدم وحواء ثم عاد الذكر الى الذى سال الله تعالى ما سال فلما اعطاه اياه ادعى له الشركاء فى عطيته
قال وجائز ان يكون عنى بقوله هو الذى خلقكم من نفس واحدة المشركين خصوصا اذا كان كل واحد من بنى آدم مخلوقا من نفس واحدة
وزوجها وذكر قريبا من قول الاصم وقد يجئ مثله فى التنزيل وغيره قال سبحانه والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهداء فاجلدوهم
والمعنى فاجلدوا كل واحد منهم وثالثها ان الضمير يرجع الى آدم وحواء عليهما السلم ويكون التقدير فى قوله جعلا له شركاء جعل اولادهما

شركا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فصار جعلا وهذا مثل قوله سبحانه اتخذتم العجل واذ قتلتم نفسا والتقدير واذ قتل اسلافكم نفسا واتخذ اسلافكم العجل فحذف المضاف وعلى هذا الوجه تكون الكناية من اول الكلام الى آخره راجعة الى آدم وحواء ع ويقويه قوله سبحانه فتعالى الله عما يشركون ورابعها ما رواه العامة انه يرجع الى آدم وحوا وانهما جعلا لله تعالى شريكا في التسمية وذلك انهما اقاما زمانا لا يولد لهما فمر بهما ابليس ولم يعرفاه فشكوا اليه فقال لهما ان اصلحت حالكما حتى يولد لكما اتسميانه باسمي قالا نعم وما اسمك قال الحرث فولد لهما فسمياه عبد الحرث ذكره ابن فضال وقيل ان حواء حملت اول ما حملت فاتاها ابليس في غير صورته فقال لها يا حواء ما يؤمنك ان تكون في بطنك بهيمة فقالت لادم لقد اتاني آت فاخبرني ان الذي في بطني بهيمة واني لاجد له ثقلا فلم يزالا في هم من ذلك ثم اتاها فقال ان سألت الله ان يجعله خلقا سويا مثلك ويسهل عليك خروجه اتسميه عبد الحرث ولم يزل بها حتى غرها فسمته عبد الحرث برضا آدم وكان اسم ابليس عند الملائكة الحارث وهذا الوجه بعيد تاباه العقول وتنكره فان البراهين الساطعة التي لا يصح فيها الاحتمال ولا يتطرق اليها المجاز والاتساع قد دلت على عصمة الانبياء عليهم السلم فلا يجوز عليهم الشرك والمعاصي وطاعة الشيطان فلو لم نعلم تاويل الاية لعلمنا على الجملة ان لها وجها يطابق دلالة العقل فكيف وقد ذكرنا الوجوه الصحيحة الواضحة في ذلك على ان الروايات الواردة في ذلك قد طعن العلماء في سندها بما هو مذكور في مواضعه ولا يحتاج الى اثباته فان الآية تقتضي انهم اشركوا الاصنام التي تخلق ولا تخلق لقوله ايشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون وفي خبرهم انهم اشركا ابليس اللعين فيما ولد لهما بان سموه عبد الحرث وليس في ظاهر الآية لابليس ذكر وحكى البلخي عن جماعة من العلماء انهم قالوا لو صح الخبر لم يكن في ذلك الا اشراكا في التسمية وليس ذلك بكفر ولا معصية واختاره الطبري وروى العياشي في تفسيره عنهم عليهم السلم انه كان شركهما شرك طاعة ولم يكن شرك عبادة وقوله ايشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون توبيخ وتعنيف للمشركين بانهم يعبدون مع الله تعالى جمادا لا يخلق شيئا من الاجسام ولا ما لا يستحق له العبادة وهم مع ذلك مخلوقون محدثون ولهم خالق خلقهم وان خرج الكلام مخرج الاستفهام ولفظة ما انما تستعمل فيما لا يعقل فدل ذلك على ان المراد بقوله جعلا له شركا انهم اشركوا الاصنام مع الله تعالى لا ما ذكروه من اشراك ابليس وانما قال وهم يخلقون على لفظ العقلاء وان كان الاصنام جمادا لانه اراد به الاصنام والعابدين لها جميعا فغلب ما يعقل على ما لا يعقل ويجوز ان يكون على انهم يعظمونها تعظيم من يعقل ويصورونها على صورة من يعقل فكنى عنهم كما يكنى عن العقلاء كقوله الشمس والقمر رايتهم لي ساجدين ولا يستطيعون لهم نصرا ولا انفسهم ينصرون اي ويشركون به ويعبدون من لا يستطيع نصر عابديه ولا نصر نفسه بان يدفع عن نفسه من اراد به الضر ومن هذه صورته في غاية العجز فكيف يكون الها معبودا وان تدعوهم الى الهدى لا يتبعوكم قيل معناه وان دعوتم الاصنام التي عبدوها الى الهدى فانها لا تقبل الهدى عن ابي علي الجبائي بين بذلك ضعف امرها بانها لا تهدي غيرها ولا تهتدي بانفسها وان دعيت الى الهدى وقيل معناه ان دعوتم المشركين الذين اصروا على الكفر الى دين الحق لم يؤمنوا وهو نظير قوله سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون عن الحسن سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون اي سواء عليكم دعاؤهم والسكوت عنهم وانما قال ام انتم صامتون ولم يقل ام صمتم في مقابلة ادعوتموهم ليفيد الماضي والحال فان المقابلة كانت تدل على الماضي فحسب وصورة اللفظ يدل على معنى الحال ومثله قول الشاعر سواء عليك الفقر ام بت ليلة باهل القباب من نمير بن عامر قوله تعالى إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنْظِرُونِ آيتان القراءة قرا ابو جعفر وحده يبطشون ههنا وفي القصص والدخان بضم الطاء والباقون بكسرها وقرا هشام ويعقوب كيدوني بياء في الوقف والوصل وافقهما ابو جعفر وابو عمرو واسمعيل في الوصل والباقون بغير ياء في الحالين وقرا يعقوب تنظروني بياء في الحالين الحجة بطش يبطش ويبطش والكسر افصح وقال ابو علي الفواصل من الكلام التام تجري مجرى القوافي لاجتماعها في ان الفاصلة آخر الآية كما ان القافية آخر البيت وقد الزموا في القوافي حذف هذه الياءات قال الاعشى فهل يمنعني ارتياد البلاد من حذر الموت ان ياتين والياء التي هي لام كذلك نحو قوله يلمس الاحلاس في منزله بيديه كاليهودي المصل ومن اثبت فلان الاصل الاثبات المعنى ثم اتم سبحانه الحجة على المشركين بقوله ان الذين تدعون من دون الله يعني الاصنام يريد تدعونهم الهة عباد امثالكم

اعراف

اي مخلوقة امثالكم عن الحسن وقيل مملوكون امثالكم عن الكلبي وقيل امثالكم في التسخير انهم مسخرون مذللون لامر الله عن الاخفش
ولما كانت الاصنام غير ممتنعة مما يريد الله بها كانت في معنى العباد فان التعبيد التذليل وطريق معبد موطوء مسلوك ومنه قوله وتلك نعمة
تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل اي ذللتهم واتخذتهم ضربا من الخدم فادعوهم هذا الدعاء ليس الدعاء الاول والمراد به فادعوهم في مهماتكم و
لكشف الاسواء عنكم فليستجيبوا لكم هذه لام الامر على معنى التعجيز والتعجيب كما قالوا هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين قال ابن عباس معناه فاعبدوهم
هل يثيبونكم او يجازونكم ان كنتم صادقين ان لكم عندها منفعة وثوابا او شفاعة ونصرة ثم فضل سبحانه بني آدم عليهم فقال الهم ارجل يمشون
بها اي الهؤلاء الاصنام ارجل يمشون بها في مصالحكم ام لهم ايد يبطشون بها التي تأخذون في الدفع عنكم ومعنى البطش التناول والاخذ
بشدة ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم اذان يسمعون بها اي ليس لهم هذه الحواس ولكم هذه الحواس فانتم افضل منهم فلو دعوتموهم ف
عبدتم من له الحيوة ومنافعها للزمكم الذم واللوم بذلك لانها مخلوقة مربوبة فكيف تعبدون من هم افضل منه ثم زاد سبحانه في تهجينهم فقال
قل يا محمد ادعوا شركاءكم اي هذه الاوثان التي تزعمون انها الهة وتشركونها في اموالكم تجعلون لها حظا من المواشي وغيرها وتوجهون عبادتكم
اليها اشراكا بالله لها ثم كيدون باجمعكم ولا تنظرون اي لا تؤخروني ومعناه ان معبودي ينصرني ويدفع كيد الكايدين عني ومعبودكم لا يقدر
على نصركم فان قدرتم لي على ضر فاجمعوا انتم مع اصنامكم وتظاهروا على كيدي ولا تمهلوني في الكيد والاضرار فان معبودي يدفع كيدكم عني

قوله تعالى ان وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون

ثلث ايات

المعنى

ثم بين سبحانه بعد انه ناصر نبيه وحافظه فامره
ان يقول للمشركين ان وليي اي حافظي وناصري ودافع شركم عني الله الذي نزل الكتاب اي القران يريد في بنصره كما انزله علي وهو يتولى الصالحين
اي ينصر المطيعين له المجتنبين معاصيه تارة بالدفع عنهم واخرى بالحجة والذين تدعون من دونه الهة لا يستطيعون نصركم اي لا يقدرون
على ان ينصروكم ولا ان يدفعوا عنكم ولا انفسهم ينصرون كرر هذا لان ما تقدم فانه على وجه التقريع والتوبيخ وما ذكره هنا فانه على وجه
الفرق بين صفة من تجوز له العبادة وصفة من لا تجوز له العبادة فكانه قال من اعبده ينصرني ومن تعبدونه لا يقدر على نصركم ولا على
نصر نفسه وان تدعوهم يعني ان دعوتم هؤلاء الذين تعبدونهم من الاصنام الى الهدى اي الى الرشد والمنافع عن الجبائي والفراء وقيل
معناه وان دعوتم المشركين الى الدين عن الحسن لا يسمعوا اي لا يسمعوا دعاءكم وتراهم فاتحة اعينهم نحوكم على ما صورتموهم عليه من الصور
قال الجبائي جعل الله انفتاح عيونهم في مقابلتهم نظرا منهم اليهم مجازا لان النظر تقليب الحدقة الصحيحة نحو المرئي طلبا لرؤيته وذلك لا يتاتى
في الجماد ويقال تناظر الحايطان اذا تقابلا وقيل معناه لا يعقلوا ومنه سمع الله لمن حمده وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون الحجة يعني مشركي
العرب عن الحسن والسدي ومجاهد

قوله تعالى خذ العفو وامر بالمعروف واعرض عن الجاهلين واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم

آيتان

اللغة

تقدم ما قيل في العفو عند قوله قل العفو في سورة البقرة والعرف ضد النكر ومثله
المعروف والعارفة وهو كل خصلة حميدة تعرف صوابها العقول وتطمئن اليها النفوس قال الشاعر لا يذهب العرف بين الله والناس والنزغ
الازعاج بالاغواء واكثر ما يكون ذلك عند الغضب واصله الازعاج بالحركة نزغه ينزغه نزغا وقيل النزغ الفساد ومنه نزغ الشيطان بيني و
بين اخوتي اي افسد قال الزجاج ادنى حركة ما يكون من الشيطان ادنى وسوسة

المعنى

لما امر الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله
بالدعاء اليه وتبليغ رسالته علمه محاسن الافعال ومكارم الاخلاق والخصال فقال خذ العفو اي خذ يا محمد ما عفا من اموال الناس
اي ما فضل من النفقة وكان رسول الله يأخذ الفضل من اموالهم ليس فيها شيء موقت ثم نزلت اية الزكوة فصار منسوخا بها فان هذه
السورة مكية عن ابن عباس والسدي والضحاك وقيل معناه خذ العفو من اخلاق الناس واقبل الميسور منها عن مجاهد والحسن ومعناه
انه امره بالتساهل وترك الاستقصاء في القضاء والاقتضاء وهذا يكون في الحقوق الواجبة لله وللناس وفي غيرها وهو في معنى الخبر المرفوع
احب الله عبدا سمحا بايعا ومشتريا قاضيا ومقتضيا وقيل هو العفو في قبول العذر من المعتذر وترك المواخذة بالاساءة وروي انه لما
نزلت هذه الاية سال رسول الله جبرائيل عن ذلك فقال لا ادري حتى اسال العالم ثم اتاه فقال يا محمد ان الله يامرك ان تعفو عمن ظلمك
وتعطي من حرمك وتصل من قطعك وامر بالعرف يعني بالمعروف وهو كل ما حسن في العقل فعله او في الشرع ولم يكن منكرا ولا قبيحا عند

عشر